

أ.د. عقيل حسين عقيل

الفاعلون من الإرادة إلى التأهب

تأليف

أ.د. عقيل حسين عقيل

2017م

المحتويات

6	المقدمة.....
10	الإرادة
18	الإرادة تحدي الصّعب:
24	الإرادة تمكين:
32	الإرادة قوّة:.....
34	الإرادة قوّة مناعة:
35	القرار قوّة إرادة:.....
39	تقويض الإرادة:
50	مُدعِمات الإرادة:
59	التهيؤ
59	التهيؤ يقظة:
65	التهيؤ في مواجهة التهيؤ:.....
72	مكوّنات التهيؤ:
73	تهيؤ مادّي عقلي:
77	تهيؤ مادّي نفسي:
80	تهيؤ مادّي نفسي عقلي:.....

84	تهَيُّو مَادِّي نَفْسِي عَقْلِي رُوحِي:
88	مَعْيَارِيَةِ التَّهَيُّو:
91	مَعْطِيَاتِ التَّهَيُّو:
93	تَقَابُلِ التَّهَيُّوَات:
95	صُورِ التَّهَيُّو:
116	أَرْكَانِ التَّهَيُّو:
120	مَسْتَوِيَّاتِ التَّهَيُّو:
130	التَّهَيُّو لِلْحَدَثِ الْخَارِجِي:
132	تَّهَيُّو الْأَشْيَاء:
142	أَنْوَاعِ التَّهَيُّو:
146	زَمَنِ التَّهَيُّو:
147	التَّهَيُّو بَيْنَ الْأَنَا وَالْآخَر:
152	أَسْبَابِ التَّهَيُّو:
153	التَّهَيُّو لِمَعْرِفَةِ الْخَالِق:
166	الْوَعْيِ يُمْكِنُ مِنَ التَّهَيُّو:
172	التَّهَيُّو لِلرَّفْض:
175	التَّهَيُّو لِلتَّطَرُّف:

179	 التهيؤ للخوف:
185	 الاستعداد
185	 Readiness: الاستعداد
187	 أنواع الاستعداد:
194	 الاستعداد تنوع:
201	 إعداد العدة
213	 إعداد العدة يُرهب المخيفين ويقضي على الخوف:
220	 التأهب
232	 المتأهب على الدّراية:
233	 المتأهب والقلق:
236	 التأهب استبصار:
242	 علاقة التأهب بالإرادة:
249	 علاقة التأهب بالتهيؤ:
253	 علاقة التأهب بالاستعداد:
255	 المستويات القيمة للتأهب
255	 التأهب الذاتي:
262	 التأهب التطلعي:

267	 التأهّب الانسحابي :
275	 التأهّب الأناني (Egoism)
283	 التأهّب الموضوعي (Objectivity)
293	 صدر للمؤلّف
294	 مواضيع المؤلّفات
305	 المؤلّف في سطور

المقدمة

الفاعلون هم الأشخاص الذين كسروا الوهن في أنفسهم حيويّة، فأصبحت إراداتهم شروفاً مع الشّروق، ولا سكينه لهم إلّا باستمداد القوّة، وهم لا يتقدّمون لفعل شيء إلّا والأمل يسابقهم إليه ابتسامه.

وهناك، لا شيء ينتظرهم إلّا المأمول رغبة، وهناك أيضا تكون ساعة الوصول فوزا بالمأمول فرحة، ومن بعدها آفاق لم تكن في الحسبان تتفتّح مع الشّروق زهرة نرد.

وهذا لا يعني أنّ السّبيل إلى نيل المأمول ممهد؛ بل فيه من الصّعاب ما فيه، ولكن الفاعلون هم المتحدّون، وفي المقابل الصّعاب لا تصمد، وهناك تكون الهزيمة والنّصر (هزيمة الصّعاب ونصر الفاعلين).

فالفاعلون، وإن كانت صعاب تواجههم؛ همّ التحديّ بداية قبلوا التحديّ، ونهاية إرادتهم كسبت مناعة؛ فلا تردّد، ومن بعدها كان التهيؤ عدّة فاستعدّوا.

فالفاعلون وإن استعدّوا فالخوف لا يفارقهم؛ فالخوف من
الفشل لا علاج له إلاّ التحديّ، فتهيّأوا خوفاً، ثمّ استعدّوا له وتأهبوا؛
فلم يكن في سبيلهم مواجهه. بل الدافع والمحفّز هو التحديّ.

ومن هنا أقدم مؤلفنا (الفاعلون من الإرادة إلى التأهب) للقراء
الكرام، ونحن قد فرزنا وصحّحنا شيئاً من الخلط بين مفاهيم:

. الإرادة.

. التهيّؤ.

. الاستعداد.

. العدة.

. التأهب.

وكلّ هذه لم تكن غايات في ذاتها، بل الغاية من ورائها
(الإقدام على الفعل)؛ أوضحنا كلّاً منها، وتركنا الفعل تفصيلاً حيث
لا اختلاف ولا خلاف على مفهومه ودلالته.

ومن هنا، فالفاعلون هم المتميزون إرادة، كونهم لا يقدمون على
فعل شيء إلاّ عن رغبة، وكذلك كونهم لا يقدمون على فعل شيء إلاّ
إذا أصبح ذلك الشيء أملاً في نفوسهم؛ فيحدّدون له الأهداف
الواضحة، ويرسمون له الخطط، ويؤرّبون أولويّاتهم وفقاً لفروضهم

وتساؤلًا لهم التي ولدت في نفوسهم الحيّرة المحفّزة على البحث والعمل
معا.

ولأنّ الإرادة هي الحيويّة المحفّزة على العمل؛ فالفاعلون كلّهم
إرادة؛ فمتى ما فكّروا استنتجوا، ومتى ما استنتجوا عرفوا، ومتى ما
عرفوا تهيّأوا لما يجب أن يكون؛ فيسعون لإعداد العدة من أجله، ثم
يستعدّون علما ومعرفة وإمكانات، مع تأهيل بدني لتحمل الأعباء
المتربّبة على حمّل المسؤولية تجاه الفعل المستهدف إنجازه.

ولأنّ الفعل يتطلّب فاعلين، إذن لكلّ فعلٍ نوع خاصّ به من
الفاعلين؛ ومن هنا فالأعمال العظيمة تستوجب توافر المتخصّصين
الذين لهم من الدّراية ما لهم، ولهم من الخبرة ما لهم، ومع ذلك؛ فإن لم
يكونوا متأهّبين لأداء الأفعال؛ فلا قيمة لتخصّصاتهم وإن تنوّعت
وتعدّدت.

ولهذا؛ فكثير من الأفعال لا تُنجز بالرّغم من توافر المتخصّصين
واليد العاملة، ومن هنا ارتئينا، تبيان الأهمية لكلّ من الإرادة والتهيؤ
والعدة والاستعداد والتأهّب، كما ارتئين ضرورتها وأهميّتها في صنّع
المستقبل وإحداث النّقلة لما هو أجود.

وعليه: فلا فاعلون إلّا والإرادة تملأ عقولهم وأنفسهم، ولا
فاعلون إلّا وحيويّة التهيؤ تدفعهم، ولا فاعلون إلّا والعدة بين أيديهم،

ولا فاعلون إلّا والاستعداد قد أصبح على أكمله، ولا فاعلون إلّا
والرّوح المعنوية تأهباً قد نضجت.

ولذلك يعدّ التأهب في زمنه لحظة ما قبل الإقدام على الفعل
سواء أكان الفعل في اتجاه التقدّم أم في اتجاه أخذ خطوات إلى
الخلف، وكلّ حسب إرادة وتحيؤ واستعداد المتأهب، فمن تأهب
للانسحاب لأسباب موضوعية؛ فلم يعدّ أمامه إلّا الانسحاب، ومن
تأهب لإحداث النقلة فلم يعدّ أمامه إلّا الأخذ بأفعالها.

أ.د. عقيل حسين عقيل

الإرادة

الإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرغبة تجاه كل ما من شأنه أن يحقق الرضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمّل ما يترتب عليه من أعباء ومسؤوليات، وهي وثيقة الصلة بالوعي بعزيمة تحقيقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وتزيده ثقة، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنّها الإرادة؛ فهي الدّالة على معرفة الحقيقة ولو تمّ إنكارها اضطرارا.

وعليه ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعي الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكر ولم يتنهأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هي قيمة تحقيق المكانة التي يسعى الناس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهاناً بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك

أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتعظّل لن تكون له حاشية إلا من المتعظّين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحريّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها، ولهذا يسعى الإنسان دائما لنيل الاعتراف لأجل تبوؤ مكانة اجتماعية أو علمية وإنسانية.

وهنا ينبغي أن نتميّز بين الإرادة الفردية والإرادة العامة؛ فالإرادة الفردية هي في حدود الخصوصية التي تتساوى فيها مع خصوصيات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامة؛ فهي التي يتمّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعية وقانونية، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجودة. ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلاّ بوعي تام بما سيحمّله الإنسان مع وافر الرضا بما سترتبّ عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكن الإنسان من تحمّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمّا الإقدام على الفعل

بدون توافر الإرادة فقد لا يحقق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا
بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلَّى
فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتَّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا
يترتَّب ندم في نفس من أقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلِّ شيء
قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي؛ فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة؛
فعليك ألا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن
تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقَّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعا¹.

فالإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلَّا بوعي تام
بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرضا بما سيترتَّب على ما أقدم عليه
من أخذ ببديل على حساب بديل آخر، سواءً أكان ذلك المترتَّب
سالبا أم موجبا.

ولأنَّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ في دائرة
المتوقَّع تُمكن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردد، أمَّا الإقدام
على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقق للفعل إنجازا بأسباب
الخوف والتردد.

¹ عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39. 43.

ويتصوّر كثير من الناس أنّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك لكان المسميان لمعنى واحد، والدليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك؛ فإنّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتخذ قرارها فيه.

والاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقا لما تملّيه القيم، أو ما تملّيه المصلحة، أو حتّى ما تملّيه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقا لتفضيلاته، أو وفقا لما هو أقلّ ضررا، أو لما هو أكثر ضررا من غيره؛ فأصحاب الشر لا يفضّلون غيره بإرادة، وأصحاب الخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يستطيع الإنسان أن يُرتّب بدائله وفقا للمتاح مع مراعاته الظرف الزماني والمكاني ولكلّ خصوصية لا تتطابق مع خصوصيات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والاختيار والرغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم

في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسن الأحوال وتقوّم من قِبَل الواعين بما يجب وبما لا يجب لتكون السبيل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمّ تقييم تلك القيمة وصولاً إلى قرار الضّروّة الإرادية للاستبدال؛ فالتعويض مثلاً هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة².

الإرادة، التي لا اختيار إلّا بها، ولا تقليد إلّا بها؛ فهي متى ما كانت واعية بما يراد، كان الاختيار صائباً، ومتى كانت غير واعية بما يُراد؛ فلا تكون إلّا خاطئة.

الإرادة قوّة اتخاذ القرار بلا مؤثرات خارجية كالجحّة، فيها تحدّد الأهداف وتنجز، وبها تحدّد الآمال وتنال، وهي التي تعطي للتخير معنى ودلالة، وهي التي لا تسقط إلّا والحرية منعدمة. ولذلك فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكن من التدبّر وحمل المسؤولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف التقدّم والارتقاء.

² عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة المنتقى للطباعة والنشر، بيروت، ص 117، 2011م.

ومع أنّ الإنسان خُلِقَ على التّسيير فيما لا طاقة له به، فإنّه كذلك خُلِقَ على التّخيير فيما لا تسيير فيه؛ فهو بالنّسبة للمستحيل والمعجز مسيّر، أمّا بالنّسبة لدائرة الممكن؛ فهو مخيّر بين متوقّع وغير متوقّع وفقا للإرادة والمقدرة.

فالإنسان خُلِقَ على الفطرة والتقليد، وهو في أحسن تقويم، ثمّ جاء الإنبناء ميسّرا لما تعسّر أمامه، ذلك لأنّه المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه، ولا تخيير له في ثنائية وجوده. بل التّخيير كان بأسباب الاختلاف الذي خُلِقَ عليه جنسا ونوعا، ولهذا، الإنس غير الملائكة والجنّ، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصية تجعله مختلفا عن خصوصيات الغير، وهكذا تكون الإرادة؛ فهي مع أنّها من حيث المعنى واحدة، فإنّها من حيث الممارسة فهي بين تسيير وتعسير ولكلّ حسب ظروفه الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدّوقية.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلِقَ مخيّرًا؛ فهو يفكر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونية. ولأنّه مخيّر إرادة؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك

كما يشاء، ذلك لأنّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛
هو بين يديه إرادة.

لقد تطوّر الفكر الإنساني من الاستئناس للقطرة، إلى الأخذ
بالتقليد تخييراً؛ فكان إرادة بين مفترق طرق العشوائية الفكرية؛ مرّة
يأخذ بما يؤدّي إلى الارتقاء، ومرّة يأخذ بما يؤدّي إلى الانحدار، حيث
عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛
فانتسعت الهوة بينه وبين تلك المكانة ارتقاء؛ فكانت الدّويّة بين يديه
سلوكاً على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأَنَّها
الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بواقع، ومع ذلك جعلته
الظروف يفكر في نفسه ومن حوله وما حوله، فبدأت الفكرة تلد بعد
الفكرة حتى استقام أمره فكراً؛ فانتبه إلى أهميّة الأديان حتى أثارت وعياً
تجاه ما يجب، ولكنّ الانتكاسات ظلّت تحفّه حتى أصبح كلما بنى
حضارة أو أسّس ثقافة، هدّها بيديه، وهنا تكمن العلة التي تستوجب
حلاً يعيد بناءها عن إرادة.

وهنا يختلف الإنسان عن بقية الكائنات التي يظنّ البعض أنّها
متطورة، وهي في حقيقة أمرها بلا تطوّر، وذلك لسبب رئيس وهو:
أنّها لا تمتلك الإرادة؛ فالإرادة وعياً هي خاصيّة إنسانية، بها خلّق
الإنسان متميّزاً بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص
وصفات بقية الكائنات؛ فالإنسان في دائرة الممكن إرادة يتذكّر ما يؤلم

وما يفرح، ويؤهل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي الوقت ذاته يفكر في كيفية تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

وعليه:

الإرادة تمكّن من:

. تقبّل الآخر بلا مكاره.

. تفهم الظروف بغاية الاستيعاب.

. الرّفص عندما يكون الرّفص كسر قيد.

. تقديم التنازلات متى ما لزمّت موضوعيا.

. الانسحاب عندما يصبح التقدم مؤدّيا إلى مزيدٍ من الألم.

. المشاركة عندما تكون المشاركة فعّالة.

. التوافق عندما يكون التوافق منقذا.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمل المسؤوليات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

الإرادة تحدّي الصّعب:

الإرادة مع أنّها قوّة يُمكن أن تنجز ما لم يكن متوقّعا، ولكنّها تفاديا لما يؤلم تأخذ مساحة من التجنب، وهذا لا يعني أنّها تستسلم له، بل إنّها تبحث عن كيفية التخلّص منه حتى لا يترك أثرا وفيه تكمن العلل.

ولأنّ الارتقاء الإرادي ممكن؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم بإرادة، لا بدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة.

ومع أنّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب. وعليه:

فالقاعدة: (تحدّي الصّعاب إرادة) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها قهرا).

ولأنّ الممكن إرادة يُمكن من تحدّي الصّعاب، فلم لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيؤ للعمل لا مكان فيه للتردد في نفس المتهيئ لأدائه، ولذلك فمن يتوقّع أنّ أداء العمل ميسّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وتنفيذه.

فامتلاك الإرادة في دائرة الممكن يمكن من الارتقاء، الذي فيه المواجهة موجبة مع ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ والاستعداد والتأهب إرادة، بلغ القناعة المحفزة والدافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيأون ويستعدّون ويتأهبون إلى ارتكاب أعمال التطرّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقدّمون على تنفيذها دون تردد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكلّ قوّة، أمّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزناد مرتعشة، وهنا تكمن العلة.

إذن؛ فمن تهيأ واستعدّ عن إرادة للعمل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيأ لما يُغيّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكّر وتذكّر وقبّل إرادة أنّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحجّة، ومن هنا؛ فكلّما توقّرت الأفكار والحجج

تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيؤ الإرادي للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيؤ الإرادي متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيؤ للقول إراديا يؤدي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيؤ للعمل يؤدي إلى الاستعداد لأنّ يُفعل بعد تأهب.

ومع أنّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعدادا؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيب كلّاً من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتبة على الإرادة والتهيؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما.

ومع أنّه لا إمكانية للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، حتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمة.

فالتأهب إرادة يُوجج في النفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهب للشيء بعد تهيؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنقذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذا؛ فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاء
لابدّ وأن يكون متأهّباً لما يترتّب عليه من ردّت فعل، وإلا سيفاجأ بما
هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيلة والحذر
ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل
الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان،
ولا تمّدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا،
تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحاً
مسانداً.

فالصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيداً من الجهد
دون أن تكون مستحيلة التحقيق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه
الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها إرادة مع مزيد من
الثبات وبذل الجهد الممكن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو
بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به.

لذا؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعاب
يملاً نصفها، ومن هنا، وجب العمل بإرادة على تدليل الصّعاب كي
تيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم
من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي

الصَّعَاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد إرادة، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرَّغم من الصَّعاب. وعليه:

إذا أردت تحدّي الصَّعاب إرادة فعليك بالآتي:

. ألاّ تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقَّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقَّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصَّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. أصمّد؛ فالصَّعب لا يصمد. أي عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض، ولهذا عليك بقبول التحدي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصَّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس

له بدّ إلا أن يقدرَك صلحا وتصالحا وعفوا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ} 3.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فلم لا يواجهه
إلا من البعض؟

أقول:

لأنّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائما الواعون
والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّق يعملون على إحقاقه تحديا وقهرا
للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّّه لا يصمد إذا ما
حدثت معه المواجهة تحديا ورغبة وإرادة، ولهذا الصّعب يقهر والباطل
ييطل، ولكن لا يكون ذلك إلا على أيدي الصّامدين.

. أقبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها
مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من
الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد
نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

³ الأحزاب 25.

. أَهَبْ نَفْسَكَ لِلْعَمَلِ إِِرَادَةً تَجِدُ الْعَمَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَهَبْ
نَفْسَكَ لِلتَّحَدِّيِ إِِرَادَةً تَجِدُ نَفْسَكَ مُتَحَدِّيًا، وَأَهَبْ نَفْسَكَ لِمُوَاجَهَةِ
الصَّعَابِ إِِرَادَةً تَجِدُ الصَّعَابَ مُسْتَسْلِمَةً.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكنة من
بلوغ رفعة الشّان، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل
في دائرة الممكن إِِرَادَةً بَيْنَ مُتَوَقَّعٍ وَغَيْرِ مُتَوَقَّعٍ، وَالْعَامِلُونَ عَلَيْهَا هُمْ
وَحْدَهُمْ يَتَهَيَّأُونَ لَهَا، وَيُسْتَعِدُّونَ إِلَيْهَا، وَيَتَأَهَّبُونَ لِتَحَدِّيِ الْأَمْرِ
الصَّعْبِ، ثُمَّ يَفْعَلُونَ وَيَعْمَلُونَ حَتَّى يَبْلُغُوا الْغَايَاتِ غَايَةً بَعْدَ أَمَلٍ.

الإِِرَادَةُ تُمَكِّنُ:

مع أنّ للإِِرَادَةَ عِلَاقَةً بِالطَّبِيعَةِ الْخَلْقِيَّةِ الَّتِي خُلِقَ الْإِنْسَانُ
عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا تَظَلُّ فِي حَاجَةٍ لِلتَّدْعِيمِ بِمَا يُمْكِّنُ مِنْ امْتِلَاكِ الْقُوَّةِ الَّتِي لَا
تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَضْعَفُ وَيُحِيدُ بِالإِِرَادَةِ الضَّعِيفَةِ عَمَّا لَا يَجِبُ الْحِيَادُ عَنْهُ
كَمَا حَصَلَ مَعَ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا أَغْوَاهُ الشَّيْطَانُ فَعَصَى
رَبَّهُ عَنْ إِِرَادَةِ وَلَيْسَ عَنْ إِكْرَاهِ شَيْطَانِي، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَ
مُسِيرًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، اخْتَارَ الْإِنْحِدَارَ إِِرَادَةً مِنْ قَمَّةِ الْخَلْقِ (فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) إِلَى مَا قَلَّ مِنْ شَأْنِهِ بِأَسْبَابِ الْغَفْلَةِ وَضَعْفِ الإِِرَادَةِ
حَتَّى أَصْبَحَ أَقْلَ شَأْنًا عَمَّا خُلِقَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَمَا لَامَسَ الْقَاعَ سُفْلِيَّةَ
أَخْلَاقِيَّةٍ أَخَذَتْ الصَّحْوَةَ وَالْحَيْرَةَ تَمَلُّانَ نَفْسَهُ نَدْمًا؛ فَاسْتَغْفَرَ لَذَنْبِهِ عَنْ
إِِرَادَةٍ؛ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

فآدم الذي خُلق على الفطرة، خُلق معتدلاً في أحسن تقويم، ولكن عندما حاد آدم عن الفطرة إرادة، وجد نفسه منحدرًا بأسباب مخالفته قواعد البقاء الدائم ارتقاء، الذي من بعده أصبح الهبوط أمراً واقعاً حيث لا مكان للتخيير؛ فالتخيير فرصة تمنح من أجل حُسن الاختيار عن إرادة، ولكن من يعمل على إضاعة الفرص ارتقاء؛ فالفرص ارتقاء قد لا تتكرر، وفي المقابل فرص الانحدار تتعدّد وتنوّع وتتضاعف بكثيرٍ. ومن هنا؛ فالإنسان الذي خُلق على التسيير والتخيير، كان مسيراً وفقاً للطبيعة الخَلقية، وفي المقابل كان للتخيير فسحة الإرادة التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشجرة المنهي الأكل منها.

وعليه؛ فالإرادة مطلقة بيد الخالق يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، وهو على كلّ شيء قدير، أمّا الإرادة على المستوى البشري؛ فهي لا تخرج عن دائرة الممكن؛ ولهذا كان الوجود عن قوّة وإرادة فعّالة، ممّا جعل مشيئة الوجود بيد الموجد بالقوّة، والقوّة الفعّالة يمكن أن تكون مطلقة، ويمكن أن تكون نسبية ممكنة؛ فالخالق يخلق بالقوّة المطلقة، والصّانع يصنع بالقوّة النسبيّة، ومن هنا؛ فالإنسان يمتلك القوّة التي تستوجب حُسن تصرّف عن إرادة؛ فإن كان التصرّف عن إرادة حرّة، كان الإنسان مسؤولاً عن تصرفاته سلبيّاً وإيجاباً، ومن ثمّ؛

فالتسيير مطلقا بالقوة، والتخيير نسبيا بالإرادة حيث لا إكراه ووفقا للمقدرة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وحقّ الدّين مصدر الفضائل والقيم، لا إكراه فيه، فكلّ شيء بين النّاس عن إرادة؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذا وجب قول الحقّ وترك النّاس أحرارا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم (جهلا أو تعلّما)، وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ إرادة وارتقاء.

ولأنّ الأخلاق ارتقاء هي أساس المعاملة الحسنة؛ فالأخذ بها إرادة، لا شكّ أنّه يجعل الإنسان على المحبّة بدلا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما، {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} 4. أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنّ مشيئة الخالق هي الفاعلة، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} 5. لذلك، كان محمّد داعيا إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق ارتقاء؛ فالأخلاق تُعدّ قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السلوك إرادة يصبح سلوكها قَمّة. ومن أراد أن يكون قَمّة؛ فعليه بالأخلاق الحميدة ارتقاء وإرادة.

⁴ يونس 99.

⁵ يونس 99.

ولو عدنا لزمن الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام؛ فلا وجود
للأنظمة الحاكمة التي أصبحت تعمل على تقييد الإرادة ما
استطاعت؛ فالأمر في تلك الأزمنة كان بين السّماء والأرض إنباء
ورسالات (أنبياء ورُسل). أمّا ما بعد الرّسالات والرّسل؛ فأصبح الأمر
بين النّاس شورى، وفقا للإرادة والرّغبة والمقدرة والحاجة المتطوّرة،
{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} 6، والشورى هنا لم تكن خاصّة بالمسلمين،
بل هي الحلّ؛ فمن شاء الحلّ؛ فعليه بها ديمقراطية بلا مكاره. {وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} 7.

وعليه: هناك علاقة واضحة بين الإرادة والاختيار؛ فالاختيار
لا يكون إلّا وفق الرّغبة والمعرفة وبعد تبيّن، أمّا الإرادة؛ فلا تكون إلّا
بامتلاك الحرّية حيث لا قيود ولا مظالم.

ولهذا؛ فالاختيار، إن أحسن تدبّرا وعن إرادة ومقدرة أحدث
الثقلة إلى ما هو أكثر ارتقاء، وإن لم يُحسن الاختيار؛ فسيؤدّي
بأصحابه إلى السّفليّة والانحدار والدّونية، ممّا يجعل السلوك الانحرافي في
حاجة للتقويم حتى لا تسود المفساد والمظالم (هيمنة وحرمانا).

⁶ الشورى 38.

ولذا؛ فإن كانت الإرادة حرّة، فتحت كلّ السُّبل أمام الإنسان في دائرة الممكن سلبيّا أم إيجاباً، وفي المقابل إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة؛ فلا يجد العمل سبيلاً للإنجاز، ولا يجد الإنسان سبيلاً للتقدّم تجاه المأمول.

ولأنّ الإرادة الإنسانية لا تكون إلّا عن دراية مع حُسن تدبّر ومقدرة على التمييز والاختيار؛ فهي المحرّك والمحقّز الأساسي لبناء الإنسان والنّظر إليه قيمة رفيعة، ومن ثمّ؛ فينبغي أن يمكّن الإنسان ممّا يمكّنه من التقدّم والارتقاء وإحداث النُّقلة إلى ما هو مأمول علماً ومعرفة وتقنية، إلى جانب ترسيخ قيم الاحترام والتقدير والاعتبار والتسامح والتعاون.

ولأنّ الإرادة مركزها ذهن العاقل، فهي ميسّرة السبيل أمامه لأنّ يعمل بفاعلية، ومن ثمّ ليس له إلّا أن يرتقي إن أحسن اختياره وتدبّره، ولكن إن لم يحسن اختياره وتدبّره؛ فلا سبيل له إلّا الانحدار الذي من بعده يكون الندم والألم، وهما: إن ألما بالإنسان جعلاه في حاجة لمنقذ.

فالإرادة إن كبحت بأيّ علّة، ستعود إلى الذّهن لتقييم المواقف، ومن ثمّ تقويم الحالة وتوجيه السلوك البشري إلى اتخاذ ردّات فعل تكون حساباتها في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فعلى سبيل المثال: الإنسان عندما يعطش سيتوجّه إلى مصادر المياه ليروي

ظمأه رغبة وإرادة وضرورة مُلحة، وهذا هو الأمر الطبيعي الذي يتوافق مع الفطرة، ولكن إن مُنع من ذلك؛ فليس له إلا قبول دفع الثمن حتى النهاية استجابة أو اقتتالا، وهكذا إن جاع؛ فليس له إلا التوجّه إلى مصادر إشباع الحاجة (حياة أو موتا)، ولذلك؛ فعندما تتطابق الفطرة مع الإرادة تصبح الغرائز أكثر ضغطا على أصحابها، ولا إمكانية للتخلّص منها إلا إشباعا أو القبول بدفع الثمن.

ومن ثمّ؛ فالتوجّه للبحث عن مصادر بقاء الحياة تقليدا يتوافق مع الفطرة، أمّا المقاتلة من أجل الحياة تقليدا؛ فلا يتوافق معها، ولهذا؛ فالكائن العاقل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يتذكّر ويتدبّر ويفكّر بما يتطابق مع فطرته دون أن يقصر ذلك عليها؛ ممّا يدعوه أحيانا إلى ما هو ممكن تقليدا، أمّا بقيّة الكائنات فلا تُدبّر أمرها إلا تقليدا متماثلا مع الفطرة، ولذلك؛ فهي كمن يراوح في مكانه بلا أمل، حيث لا مستقبل تدركه سوى الفطرة التي خُلقت عليها بلا تخيير.

وعليه: الإرادةُ امتلاك زمام الأمر بلا سلطان خارجي، بما يتمكن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونها يُقهَر، وهي الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحرّية، حيث لا إرغام من أحدٍ، ومن هنا؛ فهي منبع الأمل للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيم والكرامة الإنسانية.

والإرادة عندما تكون حرة تمارس تمكن الأفراد والجماعات مما يشاؤون دون أن تكون مشيئاتهم على حساب حاجات الآخرين ومشبعاتها، ولهذا إن لم تُفسح المجالات أمام الإنسان اختياراً تظل الإرادة مجرد مفهوم ليس إلّا؛ فأهمية الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال، حتى يتمكن الناس من بلوغ ما يأملون عملاً وسلوكاً، ومن ثمّ؛ فالتمكن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤولية من يتولّى مسؤولية سواء أكانت أسرية أم اجتماعية أم وطنية أم إنسانية.

ولأنّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، والإرادة وثيقة الصّلة بالوعي بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

ولأنّ الإرادة تمكينا هي منبع أمل؛ فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكن الإنسان من تحمّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازاً بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازُه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمّل ما يترتب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ فلا يترتب عليها ندم، ولهذا؛ فلكلّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السلطان ولا يحيدون عنه، وكأّنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأّنّ الشعب (كلّ الشعب) لا يوجد فيه أحد مؤهل لممارسة الحرّية.

ولذلك في مقابل هذه القواعد المنظّمة للممارسة الحرّية تظهر الاستثناءات من قبل الأنا (الشخصانية)، ممّا يجعل من وضع نفسه على قمّة سلّم السلطان مهيمنا على كلّ أمر سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردا، حتى وإن نصّب نفسه شرطيا مدّعي سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصّب نفسه واعظا ومرشدا بما أنّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلّا مطاردا حتى النّهاية.

ولهذا؛ فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التآزّلات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبا مع توافر الرّغبة، ولهذا؛ يفقد من هو على قمّة سلّم السلطان مكانته، ويفقد الشرطي

سلاحه، والواعظ حُجَّتْه التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحية مستبدلاً بلا ثمن.

وعليه؛ فإنّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إيجاباً بها يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عن إرادة عملاً يرجو الإصلاح أملاً وارتقاء.

وبعض من الناس يتصوّر أنّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك؛ فإنّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتخذ قرارها فيه.

الإرادة قوّة:

الإرادة قوّة من يمتلكها يمتلك زمام أمره؛ فهي النشاط الواعي الذي يقدّم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردّد، ولذلك فالتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكلّ وعي وتحمل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلّا بقدره، وقرار، وتنفيذ، ومسؤولية، وتهيب نفسي.

ولهذا قوّة الإرادة will هي التي تُمكن الإنسان من ممارسة الحرية.

وعليه فالقاعدة هي:

- . قوّة الإرادة.
- . اتخاذ القرار.
- . تنفيذ القرار.
- . حمل المسؤولية.
- . تنمية القدرة.
- . التهيؤ النفسي.
- . قبول التحدي عدلا.
- . التمسك بصنع المستقبل المأمول.
- . لا يأس ولا قنوط.
- والاستثناء هو:
- . ضعف الإرادة.
- . عدم المقدرة على اتخاذ القرار.

. عدم المقدرة على تنفيذ القرار.

. التخلي عن حمل المسؤولية.

. عدم تنمية القدرة.

. عدم التهيؤ النفسي.

. الأخذ بالأمر الواقع والاستسلام إليه.

. الخوف من المستقبل ولا عمل من أجله.

. اليأس والقنوط يسيطران على النفس.

الإرادة قوّة مناعة:

ولأنّ الإرادة عزيمة، وفيها من الصّبر ما فيها، وفيها من التحدي ما فيها، ولا مكان فيها للقنوط واليأس؛ فهي قوّة يجب أن تستثمر علما ومعرفة ومقدرة، ومتى ما بلغ الإنسان هذه القوّة؛ فلا خوف عليه، ولهذا لا تجعل الخوف قيّدا عليك، بل اجعله من أجل صنع المستقبل قيّدا بين يديك تضعه في أيدي كلّ ما من شأنه أن يشكل خطرا.

وعليه:

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، والاستسلام لما لا يجب. ولهذا على الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والمتخصصين في علوم الاقتصاد والتنمية البشرية أن يعملوا جميعاً من أجل ما يقوي الإرادة لتكون للشعوب إرادة صلبة عليها يتكسر الضعف والوهن والجبن واليأس. وعليهم أن يستثمروا قوة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصية الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرقى الذوقي والأخلاقي، حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى ما هو سالب. ومن هنا توظف قوة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصائبة، التي تُمكن الأفراد من إحداث التّغلب على مستويات الطموح المتطوّرة عبر الزمن.

القرار قوة إرادة:

بطبيعة الحال من يمتلك اتخاذ القرار يمتلك الإرادة الممكنة من اتخاذه، ومع أنّ القرار يتّخذ، ولكن اتخاذه لم يكن الغاية، بل الغاية الإقدام على تنفيذه، وتحمل ما يترتب على تنفيذه من دفع ثمن شريطة ألا يقدم الإنسان نفسه إلى التهلكة.

وتكمن قوة القرار في اتخاذه بمسؤولية، وفي درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره. ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل

نوايا وتصميمات مجردة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافدا وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ومن هنا؛ فلا تتحقّق المنجزات ولا تحدث إلا بقرار؛ أي: لا تنجز المهام والأعمال إلّا به، والقرار في دائرة الممكن المتوقّع هو الوعي بما يجب. أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فهو عدم الوعي بما يجب.

ومع أنّ كلّ شيء بقرار ولا شيء بدون، فإنّ القرار لا يخرج عن كونه في دائرة الممكن (متوقّع أو غير متوقّع)، وبما أنّنا نعرف أنّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن. إذن لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يساوي (كلّ شيء ممكن)، وبما أنّه لا مستحيل في دائرة الممكن. إذن علينا بقبول تحدّي الصّعاب دون خوف ودون تراجع؛ ومن لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبل رفيع، ومن لا يُسرّع قوّة وتدبّرا لتحدي الصّعاب لن يجد له مكانا ليضع قدميه عليه، أمام الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرّصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويّا وكان تنفيذه قويّا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النّقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة القرار بقوّة اتخاذه.

ولذا فقوة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحققه وما يترتب على إنجازه.

. قوة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه كلّ من يتعلق الأمر بهم أفرادا أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لما كان متوقّعا.

. إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكلّ من لا يتوقّعه.

أمّا قوة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوة القرار ذاته.

. قوة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

. قوة التنفيذ.

. قوة الهدف.

. قوة الخطة.

. قوة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السّلبات.

. الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه؛ فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسؤولاً عما فعل بإرادته سواء أكانت مسؤولة أم غير مسؤولة، وعلينا أن نميّز بين المسؤولة وغير المسؤولة.

- الإرادة غير المسؤولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

- الإرادة المسؤولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا فلا إرادة دون موضوع واضح، ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيؤ واستعداد وتأهب.

فالإرادة مسؤولية والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا {8، ولنا أن نقول: إِنَّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسؤولية التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط، لأنّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدّسه، ومن ثمّ؛ فالإرادة تجعل الإنسان مسؤولاً لأنّه لا بدّ أن يكون على وعي بما يقدم على فعله⁹.

تقويض الإرادة:

التقويض إحاطة ومحاصرة لا تسمح للإرادة أن تتمدّد بحرية؛ فهي تحدّ منها أو أنّها تمنعها منعاً باتاً؛ فالإرادة بالرغم من أنّها قيمة إنسانية حميدة، فإنّها عبر التاريخ تتعرّض إلى التقويض.

ولهذا نزلت الرسالات الإلهية من أجل تحريرها من ذلك التقويض الذي جعل النَّاس يَتَّخِذُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فكان التوحيد كسر لتلك القيود والأطواق من أجل حرّية الإنسان، ولكنّ الصراع بين الخير والشرّ لم ينته بعد مع أنّ الحقّ أصبح بيننا والظلم بيننا؛ فاهتدى من اهتدى، وكفر من كفر، وأشرك من أشرك، وضلّ من ضلّ، وطغى من طغى؛ فالذين اهتدوا اختاروا الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح سبلاً، والذين ضلّوا وطغوا اختاروا الفساد والإفساد وسفك الدماء بغير حقّ سبلاً، ولهذا الصّراع والصّدام بين المصلحين

⁸ الأحزاب 72.

⁹ منطق الحوار ص 173.

والمفسدين دائما يشتدّ إلى أن يحسم الأمر الذي به تتخلّص الشعوب من أولئك المارقين.

فالمارقين الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُلطة في بلدانهم حكموا النَّاس بإرادة ضالة، كما كان حال فرعون الذي قال كما جاء في القرآن الكريم: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}10؛ فهؤلاء لا يرون شيئا يعلو على رؤاهم ومن يخالفهم في رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد والمكر والدسائس حتّى إقصائه بعد أن يلبّس بكمّ من التّهم التي تلقى إليه، ليدان بتلك القوانين التي سنّت من أجل الطّاعة للظلمة، ولكن لأنّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعية، ترفضها الإرادة الإنسانية كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويجول بينها وبين ممارسة الحرية بأسلوب ديمقراطي، ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة لا بدّ له أن يرفض بقوة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، ومن قيّد النَّاس بها، ومن أمر بوضع القيد في الأيدي والطوق في الأعناق.

ولأنّ الإرادة قوّة فاعلة متى ما أطلق إليها العنان بلا مظالم؛ فهي على علاقة قوّة مع قيمة الرّفص؛ فالرّفص كونه فعلا متحقّقا لا يكون إلّا عن إرادة، ولهذا فالإرادة هي القوّة الدافعة للإقدام على

¹⁰ غافر 29.

الفعل؛ فالفعل في دائرة الممكن يتحقّق بالقوّة، ولكنّه ليس دائما متحقّقا بإرادة، فالإكراه والإجبار يقودان إلى تحقيق الفعل بالقوّة حتّى ولو كان الفاعل غير راضٍ.

أمّا إذا بلغ حال الفاعل درجة الرّفّض فإنّ الإرادة تكون ضمنيّا متحقّقة بفعل الرّفّض؛ فالرّفّض قول يقال في مواجهة أو عن خطاب ورسالة، أو أن يكون فعلا متحقّقا عملا وسلوكا على أرض الواقع.

ولأنّ الإرادة إشهار عزم مع وضوح نيّة؛ فالرّفّض كونه فعل متحقّق قولاً وعملاً وسلوكاً؛ فهو المعبر الحقيقي والموضوعي عن مستوى الشخصيّة الرافضة، وهو المظهر لوجهة نظرها ومدى تمسّكها بقضيّتها إنّ كان الرّفّض خير معبر عنها بإرادة.

وهنا تصبح الإرادة إعلاناً صريحاً عن امتلاك الرّفّض لزام أمر الرّفّض، ممّا يجعل الملاحظين والمقوّمين خير واقفٍ على المشاهد والملاحظ الذي يعكس حقيقة الرّفّض عن إرادة.

فالإرادة قيمة مشيئيّة اختيارية تتمركز على الرّغبة والوعي، ومع أنّ الإرادة موجبة فإنّ المترتب عليها اختياراً قد يكون موجبا وقد يكون سالبا؛ فالإنسان بإرادته يؤمن، وبإرادته يكفر، أو يُشرك، أو يضل، أو يسرق، أو يكذب، أو ينافق، وكلّ هذه المتنوّعات اختيارية،

ولكنّها قد تكون عن وعي، وقد تكون عن غفلة أو جهل، {وَقُلِ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} 11.

فقيمة الإرادة تصميم واعٍ يُمكن الفرد والجماعة والمجتمع من
اتخاذ القرار الذي يتعلّق بأمرهم سواء أكان هذا الأمر سياسة داخلية
أم خارجية أم سلماً أم حرباً، ولذا لا يُتخذ القرار إلا بعد معرفة تامة
بما يجب وفقاً لدائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع؛ فبالإرادة تُحدّد
الأهداف وتُرسَم الخطط ويتمّ الإقدام على تنفيذها بكلّ حرّية.

وعليه: الإرادة هي قيمة الحرّية في اختيار الخير أو الشرّ أو
اتخاذ المواقف المحايدة بأسباب عدم التبيّن، أو لأسباب الخوف
والنفاق، وبالتالي لا حرّية بدون إرادة ولا إرادة بدون حرّية؛ فهنا تكون
الإرادة قيمة حميدة ذات خصوصية، وذلك لتعلّقها بالإنسان الحرّ
وعلاقاته بما يُقدّم إليه من اختيارات متنوّعة، وبما يرغب وما لا يرغب،
أمّا الحرّية فيغلب عليها الطابع السّياسي الذي قد يجد الإنسان نفسه
معه في حالة تكيّف حتّى وإن كانت لا تمده بما يحقّق له التّوافق.

وعلى المصلحين والتربويين وولاة الأمور أن يعملوا على تقوية
إرادة الذين يتعلّق أمرهم بهم حتّى لا يكونوا منهزمين أثناء مناقشتهم
فيما يتعلّق بهم من أمر، أو يكونوا مستسلمين لأمرٍ واقع ليس
بموجب، وأن يعملوا جادّين على تفطّينهم من الغفلة التي قد تلمّ بهم

¹¹ الكهف 29.

وتبعدهم عن ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمل مسؤولياتهم دون إكراه.

وهنا، تُعدّ الإرادة قيمة تعاقدية بين التخيير والاستطاعة ينبغي أن تقوّى لأجل أن تتّسع الهوة بين الأفراد، وبين ما يؤدّي بهم إلى الإكراه أو الإجبار والإقصاء؛ فبالإرادة تمارس الحرّية، وتتأكد السيادة، ممّا يجعل النتائج المتوصّل إليها مرضية للفاعل حتّى وإن كانت نتائجها سالبة.

ومع أنّ الإرادة تُمكن من ممارسة الحرّية اختياريًا، إلّا أنّ الإرشاد للحقّ بالحقّ حقّ على من يعلم ويؤمن ويدرك العواقب؛ فهناك القاصر والجاهل والمغرّر به؛ فلا داعي للإفساد، ولا داعٍ للتّسفيه، أي لا داعٍ أن يسقّه الحاكم إرادة الشّعب في التعبير عن رأيه، ولا داعي للقمع بما أنّ الإرادة لم توظّف في باطل أو سفك دم بغير حقّ.

ثمّ من واجب المتعلّم أن يُعلّم ويُعلّم من لم يتعلّم ولم يَعْلَم بما علّم به من معارف خيرة تسهم في تقويّة الإرادة وتوجّحها لما يفيد وينفع الجميع، وعلى أولياء الأمور حقّ الرّعاية الحقّة؛ فالأنبياء من قبل بشّروا وهدوا وبلّغوا ما أنزل عليهم من وحيٍ وحرّضوا به الأقوام والشّعوب والقبائل وسكان القرى والمدن والكافّة وتركوا للإنسان الحرّية الإرادية في الاختيار طاعة لأمر الله، ولذا فمن يطع الله لا يمكن أن

يقبل بطاعة من دونه إلا لأمرٍ هو جزء منه، {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} 12.

ومع أنَّ في دائرة الممكن امتلاك الإرادة هو امتلاك للحرية الشخصية، فإنَّ هذه الحرية لا وجود لمطلقيتها؛ فالإطلاق أمره بيد خالق الإطلاق، ولهذا بالإرادة في الحياة الدنيا هناك من كَفَرَ وهناك من يكفر، أمَّا في الحياة الآخرة فلكلِّ حسابته ثوابا أو عقابا، ولأنَّ الإرادة فضيلة خيرة أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلَاة والسَّلَام أن لا يفرض شيئا على النَّاس، بل عليه البلاغ، وعليه بالمشاورة في كلِّ أمرٍ يتعلَّق بالنَّاس، ثمَّ جعل من بعده أمر النَّاس شورى بينهم حيث لا إكراه في الدين، {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} 13 ثمَّ قال تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} 14.

إذا كلَّ مقيدي الإرادة عبر التاريخ هم معادون لممارسة الحرية ديمقراطيا، ولهذا فالزَّمن كفيل بترويضهم وفي المقابل إرادة الشَّعب متى ما تمكَّنت من المبادرات المفاجئة حققت نصرا.

ومع أنَّ الإرادة لا إكراه فيها إلا أنَّ المعرفة الحقَّة تُسهم إسهاما كبيرا في استنارة الإرادة بالموجبات تحليلا وتحريما، ونفعا وضرا حتَّى يتمَّ

¹² البقرة 256.

¹³ آل عمران 159.

¹⁴ الشورى 38.

الأخذ بما يجب عن إرادة ووعي، ويتم الانتهاء عما لا يجب إرادة ووعيا، ولهذا فبالإرادة يتم تبين الحق والحكم به عدلا وكل في دائرة الممكن حسب الاستطاعة.

ولأنَّ الإرادة لا تقبل ظلما، وجب سيادة الاعتبار بين الأنا والآخر حتى لا تتصادم الإرادتان؛ فليس كل ما يُراد بإرادة يجب أن يؤخذ أو يتم، بل يجب أن يُقدَّر الآخر الذي يمتلك الإرادة ومعطياتها ومستوجباتها كما يمتلكها الأنا، وإن لم تراع قيمة الإرادتين تقدير واعتبار واعتراف يحدث الرِّفْض وقد ينجم الصدام، {وَأَمْرًا مُؤْمَنَةً إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا} 15.

في هذه الآية الكريمة شرطان للإرادة:

. الشرط الأول على المرأة بقوله تعالى: (إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) أي إن وهبت نفسها إرادة للنبي أن يستنكحها.

. الشرط الثاني على المرأة أيضا؛ فإن كانت بإرادتها قد وهبت نفسها للنبي؛ فعليها أن تحترم وتقدر إرادته تجاهها (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا)؛ أي عليها أن تعرف هل هو راغب أن يستنكحها؛ فإن كان راغبا تطابقت الإرادتان، وإن لم تتطابق الإرادتان؛ فعليها تقدير ذلك تقديرا عاليا. ولهذا عند المسلمين عقد النكاح يستوجب الموافقة

15 الأحزاب 50.

الإرادة من المستهدفين بعقد النكاح، لتكون قيم الاحترام والاعتراف والتقدير والاعتبار سائدة بين الأنا والآخر (الزوجين).

الإرادة معرفة ووعي بما يجب وبما لا يجب، وهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب مع تحمّل ما يترتب عليه من أعباء ومسؤوليات، وهنا تكون الإرادة وثيقة الصلة وعيا بفعل يحققها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

فالإرادة هي قيمة تحقيق المكانة التي يسعى الناس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهاناً بهم، سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتعظّ لن تكون له حاشية إلا من المتعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع؛ فلا داعي للغفلة ولا داعي لاستغفال الآخرين.

ولأنّ الإرادة قيمة إنسانية؛ فهي حاجة لكلّ إنسان على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي؛ فيها تُشبع الحاجات التي ستظلّ مشبعاتها مطلبا إلى أن يتمّ الحصول عليها إرادة أو أن يتمّ انتزاعها بالقوّة انتزاعا.

إنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلَّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتَّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمَّ لا يترتَّب ندم عليها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية تعيد الأمور إلى ما يجب، وفي مقابل ذلك استثناء إفسادي يؤدِّي إلى ما لا يجب، وللتوضيح نقول:

القاعدة الإصلاحية: هي التي تقود إلى الإصلاح وبلوغ الحلِّ ممَّا يجعل النَّاس يتمسِّكون بما يتعلَّق بشؤونهم، ومنها:

. التمسك بالدين والدِّفاع عنه، حتَّى ولو كان بعض المنتميين إليه غير ملتزمين بأداء معتقداته.

. صون العرض والدِّفاع عنه.

. التمسك بالهوية والدِّفاع عنها.

. صون الوطن والدِّفاع عنه.

. ممارسة الحقوق وأخذها بإرادة أو بقوة.

. أداء الواجبات في مقابل حقوقٍ تمارس، وتؤديها بإرادة أو

بقوَّة.

. حمل المسؤوليات يجعل المواطن مركزا ولا آخر غيره.

. إصلاح الأرض وإعمارها وسلامة بيئتها بُعد إنساني
ومسؤولية عامة.

. تعلّم المفيد والأخذ بما هو مفيد يؤسّس للموضوعية قاعدة
بين الأنا والآخر.

وفي مقابل هذه القواعد تظهر الاستثناءات من قبل الأنا أو
الآخر، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه مهيمنا في خانة الاستثناءات مطارداً
حتى وإن نصّب نفسه شرطياً مدّعياً سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ
القوانين بحزم، أو حتى وإن نصّب نفسه واعظاً ومرشداً بما أنّه في دائرة
الاستثناءات؛ ولذا سيظلُّ مطارداً بالقوّة حتى يعود إلى ما يُرسّخ تلك
القواعد التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية
عن إرادة.

ولذا فكلّما اشتدت المطاردة واشتدّت التآزّلات وهُدّد
الآخرون بالموت من قبل من هم في دائرة الاستثناءات أصبح الموت
عندهم مطلباً مع توافر الرّغبة، ولهذا يفقد الشرطي سلاحه والواعظ
حُجّته التي بها يلاحق الآخرين ويصبح هو الضحيّة بلا ثمن.

وعليه: فالموت الذي هو سلب الحياة، يتحوّل إلى قيمة عالية
تنال الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملاً يرجو الإصلاح
بتحرير الوطن أو صدّ خطر يحاك ضده أو ضدّ الشرف والدين والقيم
الحميدة والفضائل الخيّرة.

إنّ المتهيّئين لأداء الأفعال بإرادة هم الذين يمتلكون زمام أمرهم فيستطيعون اتخاذ القرار المناسب من وجهة نظرهم التي قد لا تكون سليمة ومناسبة لأداء الفعل أو الإقدام عليه؛ فيدفعون الثمن مضاعفا حتّى يكتشفوا ما يجب ليتخذوا إليه سبيلا، ويكتشفوا ما لا يجب وينتهوا عنه إرادة دون تردّد، وإن تردّدوا تزداد التآزّلات تأزّما، ممّا يترتب على هذه التآزّلات أفعالا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تملؤها المفاجآت التي في كثيرٍ من الأحيان تكون نتائجها مؤلمة.

ولأنّ الإرادة لا تقف عند حدّ اتخاذ القرار؛ فهي تمتدّ لتنفيذه، وإلى الأسلوب المناسب لذلك، والطريقة التي تُتبع إجراءات وسلوكيا حياله، ولذا فالإرادة دائما سابقة على الفعل وبها يُنقّذ، أي لو لم تسبق الفعل قد لا يُنقّذ أو يُنقّذ بأثر سالبٍ، ولهذا فالإرادة قوّة موجبة لا ينبغي الإغفال عنها، وعن أهمّيّتها، وعمّا يترتب على أوجه استخدامها المتعدّدة.

ولأنّ التنفيذ فعل؛ فقد يكون تنفيذه بإرادة، وقد يكون بالإجبار والإكراه، ولكلّ ردّة فعلٍ موجبة وسالبة ولكلّ ثمن، ولأنّ ثمن الإكراه سالب؛ فيجب الانتهاء عنه حتّى في الدّين المنزّل من عند الله تعالى، حيث لا إكراه في الدين، ولهذا بالإرادة ينبغي أن يُقيّم الأنا والآخر ما يفعلون وإلا سيّتعرّضون إلى التقويم الذي لا يكون إلّا حيث ما يكون الاعوجاج.

التقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة
لزمانٍ، وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمانٍ آخر، ومن يتق الحق يجد
الحق له مخرجاً، ومن يقبل أن يُقيّم ما وصل إليه يتمكّن من بلوغ ما
هو أعظم، ومن لا يقبل سيكون الزمان كفيلاً بترويضه كما رؤض
كثيراً من الطّغاة.

وعليه: لا قيمة لممارسة الحقوق بدون إرادة، ولا قيمة ولا أهمية
لأداء الواجبات ما لم تكن عن إرادة، ولا قيمة وأهمية لحمل
المسؤوليات ما لم تكن هي الأخرى عن إرادة، أي لا قيمة ولا اعتباراً
ولا تقديراً ولا اعترافاً لأي شيء بالإكراه والإجبار والإرغام بغير حقّ.

مُدَعِمَاتُ الإرادة:

الإرادة قرار قابل للتحقق، والمحفّزات القيمية تدعمها تجاه تنفيذ
الفعل متى ما كان التهيؤ حلقة من حلقاتها ومن هذه المدعمات:

سلامة القصد:

القصد هو مدى سلامة النية الدافعة لإظهار فعل الإرادة قولاً
وعملاً وسلوكاً؛ فإن لم تكن المقاصد واضحة قد توصف الإرادة بما لا
يتطابق مع الفعل الظاهر إرادَةً، ولهذا ينبغي سلامة القصد حتّى
تتجسّد الإرادة فيما يتمّ الإقدام عليه من أفعال مستهدفة الإنجاز.

وضوح القيمة:

الإرادة قيمة عندما تكون محررة من القيد، وهي تسبق أي فعل ينال التأييد والاعتراف والتقدير العام، ومن هنا فإنّ وضوح القيمة يحفز الإنسان على اليقظة والاندفاع بمسؤوليّة تامّة قرارا وتنفيذا مع القبول بما هو مترتب على تحرير الإرادة.

وضوح الهدف:

وضوح الهدف في ذهن الإنسان يحفّزه على تحقيقه وفقا لما يجب، أمّا غموضه؛ فلا يجعله إلا متخبّطا بين إقدام وإحجام، وهنا توجب الضّرورة وضوح الهدف أولا في عقل الإنسان الذي يمتلك معطيات اتخاذ القرار، ثمّ بعد ذلك يتم الإقدام على تحقيق الهدف في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

سلامة الغاية:

ولأنّ الأهداف يتمّ تحقّقها؛ فالغايات البعيدة يتمّ بلوغها، ذلك لأنّ الغايات هي المقصد البعيد المترتب على تحقيق أهداف وإنجاز أغراض، ممّا يجعل الغايات مكن الحلّ الذي يأمله الإنسان عن إرادة وقصد.

معرفة الصلاحيات:

الصلاحيات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به للمسؤول الذي عندما يفعل يكون مسؤولا مُقدّرا، وعلى الخصوص عندما

تكون الصلاحيات شرعية مستمدة من الفضائل الحيرة والقيم الحميدة، ومن يود أن يكون مسؤولاً يجب أن يكون واعياً قبل أن يفعل وإلا سيكون في دائرة الاستثناء ظالماً، مما يستوجب رفض مظالمه ومواجهته عن إرادة من أجل الإصلاح، وإلا الرّحيل.

. معرفة الاختصاصات:

الاختصاصات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به؛ فعندما يلتزم المسؤول بالحركة داخل مجال الامتداد الموضوعي يعدّ متّزناً ومعتدلاً في الحركة الموجبة، وعندما يخرج عن ذلك يقع في دائرة المحاسبة والمساءلة، حيث تعدّ أفعاله سالبة أو منحرفة أو متطرفة، ولكي تؤدّي المسؤولية بإرادة في دائرة الإيجابية ينبغي أن تتماثل الصلاحيات مع الاختصاصات، ومن يعمل بغير اختصاص لا يستغرب إن واجهه قصاص شديد في الوقت غير المتوقع.

التبني عن وعي:

التبني عن وعي نشاط ذهني فكري للعقل يدلّ على وجود علاقة بين الأنا والموضوع، وبه يتمكن الإنسان من المعرفة والدراية التامة، كما أنّه يُمكن من التمييز والمقارنة وحسن الاختيار بين الأفعال الموجبة والأخرى السالبة، ومن لم يُميّز بين هذا وذاك لا يظنّ أنّ الآخرين لا يميّزون، وعندما يبلغون التمييز الحقّ لن يتأخروا عن الإقدام

على الإصلاح وقبول دفع الثمن الذي لا يُخيفهم في شيء يقبلونه
بإرادة حتى ولو كان ثمنه فقدان حياة.

بلوغ الإدراك:

الإدراك غاية الشيء والإحاطة به هو كما هو، فمن بلغ
الشيء أدركه معرفة وحسًا، ومن بلغ ذلك وجب عليه حسن التصرف
فيما أدرك، ولا ينسى أن غيره إن أدرك أنه أدرك ولم يتدارك الأمر
إعمارًا وإصلاحًا أو تربية وإرشادًا وحفظًا من الفساد والإفساد،
سيجد نفسه بداية ملوما، ووسطا مهملا، وفي النهاية يُحكم عليه بأنه
منحرف يستوجب التقويم بكل الوسائل إلى أن يشهد الحق أو أن
يكون الحق شاهدا عليه.

ولهذا فمن يقبل التقويم لفكره وحاله وظرفه يتمكن من فهم
الحقيقة وتفهم ما يحيط به من ملابسات وتأزمات، وكذلك يتمكن
من التقويم الذي به يتم التصحيح وتغيير الأحوال إلى ما هو أفيد
وانفع للجميع دون استثناء لأحدٍ على حساب آخر.

فالتقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة
لزمانٍ وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمانٍ آخر، ومن يتق الحق يتمكن من
معرفة الحل ويمكنه الإقدام عليه بإرادة، ومن يقبل أن يُقَيَّم ما وصل إليه
يتمكن من بلوغ ما هو أعظم.

وعليه:

الإرادة على المستوى الإنساني ذات علاقة بمراد (مطلبٍ أو هدفٍ أو غايةٍ أو مأمولٍ)، وهي لا تكون إلا في دائرة الممكن. أمّا إرادة المطلق جلّ جلاله؛ فلا حدود لها، كونه خالقها، وهو المهيمن، وأمره لا يكون إلا نافذا.

ولأنّ الإرادة على المستوى البشري هي قيد البحث؛ فلا شيء يكون مرضيا إلا من خلالها، وبالتالي أيّ تجاوزا لها يعد عائقا أمام نفوذها، ولأنّها كذلك؛ فلا تهيؤ بدونها، ولا استعداد بدونها، ولا تأهب بدونها، ولا فعل مرضٍ بدونها. أي: فلا إمكانية لممارسة الحرية بدونها.

إذن الإرادة يمكن أن تكون:

. إرادة مطلقة وهذه إرادة الله تعالى. {اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} 16،
وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ} 17.

¹⁶ البقرة 253.

¹⁷ البقرة 117.

. إرادة اتباع، وهي المأمور بها من عند الله لتكون في مرضاته طاعة، والقيام بها قياما بفرائض، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ} 18.

. إرادة اختيار وبها الإنسان قد تميّز تدبّر وتفكّر وتدبّر، {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} 19، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} 20.

. إرادة دستورية وقانونية، تعطي صلاحيات واختصاصات مقيدة لمن يتولى منصبا مسؤولا في إدارة دولة، أو شركة، أو مؤسسة وما يشابهها. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} 21. هذه الآية الكريمة تستوجب ألا يغفل الإنسان الإرادة عن طاعات ثلاث:

. طاعة الله.

. طاعة الرسول.

¹⁸ الحشر 7.

¹⁹ آل عمران 152.

²⁰ هود 118، 119.

²¹ النساء 59.

. طاعة أولي الأمر من الناس (منكم)، وهم الذين يتم اختيارهم
أرادة تامة ليكونوا أولي أمر، فتكون طاعتهم هي طاعة الأمر الذي
أقره الناس، ثم انتخبوا أو اختاروا له من يتولى إدارته؛ فتكون طاعته
مرتبطة بالتزامه بالأمر الذي هو من عند الناس، أي من الأمر الذي
كلفه به وكلفوه إليه، ليكون مسؤولا، ولهذا فلن تكون له طاعة إذا
خرج عن الأمر الذي هو من عند الناس.

وهنا وجب التمييز بين أولي الأمر وهم الوالدين أو من يتولى
الأمر بعدهما من الإخوة، وبين أولي الأمر منك وهم الذي يتم
انتخابهم بإرادة.

وعليه:

. قوّ إرادتك.

. امتلك إرادتك لتتمكن من الإقدام.

. امتلك إرادتك تزدد قوّة.

. امتلك إرادتك تتمكن من الاستيعاب.

. حفّز على ممارسة الحرّية حتى يتم التمسك بالإرادة.

. استثمر الإمكانيات المتاحة عن إرادة حتى يقوى رأس المال

الاجتماعي.

. استثمر الطّاقات البشرية عن إرادة تمتلك قلوب النّاس.

ولأن الفرد قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة. لذا فمن
يريد أن يكون قويًّا فعليه:

1. أن يقوِّي الإرادة.

2. أن يصمّم عن وعي ما يجب بلا تتردّد.

3. أن يبادر إرادة وتهيؤا واستعدادا وتأهبًا للإقدام على إنجاز
الفعل.

4. أن يخطط علميًّا؛ فالتخطيط العلمي يبعد عن العشوائية.

5. أن يتحدّى الصّعاب؛ فتحديها يرسخ قيمة الإرادة.

6. أن ينتزع الخوف من نفسه؛ فانتزاعه يحرّر الإرادة.

7. أن يتفاعل مع الجماعة على كلّ موجب حتى تترسخ
الإرادة.

8. الإرادة تمكّن من المشاركة متى ما تهيأ واستعدّ وتأهب
النّاس إليها.

9. التطلّع مع المتطلعين لكلّ مفيد نافع يفتح آفاق التقدّم
أمام الارتقاء الإرادي.

10 . اتخاذ القرار عن إرادة يستوجب تنفيذه عن إرادة وإلا
ستكون الانتكاسة.

التهيؤ

التهيؤ يقظة:

التهيؤ يقظة، هو صحوة تبحث عن منفذ يتم من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غاية أو أملاً، واليقظة هي انتباه بعد غفلة، تمكن من تنفيذ الفعل.

ولأنّ التهيؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفاً، وتحقيق ما كان غرضاً، وبلوغ ما كان غاية، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهب يؤخذ في الحسبان.

ولأنّ التهيؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحقّز على ما يجب، وهو صحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتماماً، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحُجّة، والبرهان من البرهان، إنّهُ منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

فالتهيؤ يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنّهُ الحالة التي يبدو

عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع؛ فالتهيؤ نضج طبيعي ونضج معرفي بما سيأتي لأن يُفعل، كنضج الثمار لأن تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزواج؛ وكالتهيؤ للصلاة والصيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيؤ لا يتم إلا بمجموعة من التفاعلات المحفزة للقوى الكامنة في الإنسان قبل الاستعداد لإرادة لفعل مخصوص؛ إنه الحركة بعد السكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وعليه:

. هيئ نفسك لما يجب حتى لا تفقدك الشهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

. التفت إلى نفسك وأعمل على ما يحقق لها الطمأنينة.

. فكّر حتى يولد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزم.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

. هيئ نفسك للعمل فهو المنقذ من الحاجة.

. هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

. هيئ نفسك لغير المتوقع تجد المتوقع بين يديك ميسرا.

ومن هنا؛ فالتهيؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيؤ بإرادة مرحلة متكاملة قبل الاستعداد والتأهب لأداء الفعل الذي كان مأمولاً.

ولأن التهيؤ قبلي فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئاً مفعولاً، ولو لم يكن الشيء متهيئاً للظهور ما كان ذلك الشيء ماثلاً أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيؤ هو المؤسس للهئية التي سيكون الشيء مصوراً عليها بالتمام؛ وكلّ فعل لا يكون فعلاً إلا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن الذي سيفعله وعقله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين الناس لابدّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد ثمّ التأهب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تنهياً معطيته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين الناس مفعولاً ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجد الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتعبين ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انخيازا بغير حقّ.

ولأنَّ التَّهَيُّؤَ دائماً يسبق إعداد العُدَّة والفعل والسَّلوٰك والعمل،
لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقَّق على أرض الواقع إلَّا بعد أن
يكون لها هيئة في أذهان المبدعين لها وعقولهم، ولهذا، لا يمكن أن
يصنع الإنسان شيئاً إلَّا بعد أن تنهياً له صورته متكاملة؛ فالسَّكِّين
على سبيل المثال: لو لم تنهياً صورته في عقل من صوَّره بعد تهيُّؤ، ما
كان السَّكِّين على الصُّورة التي هو عليها دليلاً شاهداً بين أيدينا؛ فقد
تهياً في عقل صانعه من حيث كونه صلباً ومتيناً وحادّاً أحد الطَّرفين أو
حادّاً من طرفيه، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدِّي أو
سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلَّا
بعد تهيُّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلَّا بعد تهيُّؤه في
العقول، ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيُّؤه؛ فهي لو
لم تكن قد تهيَّأت من قَبْل في العقل البشري ما كانت أفعالاً متحقِّقة
على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة فبعد أن تنضج في عقل
المفكِّر أو المتدبِّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنقَّدة ممَّا يجعل المتهيّئ
في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب
لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيَّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة حيث لا شكل ولا مظهر له سوى الأثر السلبي الذي يمسّ النّفس الإنسانيّة، إلا أنّ أثره لا يكون سائداً في النّفس البشريّة إلّا بعد الإعداد له إعداداً مادّياً، أي: إعداداً لما يُظهِره وليس إعداداً لإظهاره. ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنّ هناك من يُرهبها عتاداً وُعُدّةً وتأهباً واستعداداً.

إذن يتهيأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليّة التي بها يستطيع أن يدرك أنّ الخوف سيظل سائداً بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفاً القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّةً وعتاداً واستعداداً واستيعاباً مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادراً على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ القوّة العقلية وتهيئها ولفتها للمخاطر بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيؤ للفعل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولّدة القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره، ولذلك فمن يتوقّع أنّ أداء الفعل أمرٌ ميسّر

قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل، ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابلة لأن تُفعل ولو تعسّرت على البعض، ومن هنا تلد الخوارق من الخوارق.

فالتهيؤ كونه إيقاظا عقليا؛ فهو يسبق القول والفعل والسلوك والعمل؛ الذي بدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّي إلّا بمقابل ولا تُقدّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيؤ إيقاظا هو المحدث للفعل والمحقق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قبل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقق للتفاخر من قبل المقدمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق فلم لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكن من تفاديه بسلام؟ ولم لا يتهيأ الجميع للسلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض أنّ هذا القول لا يزيد على كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع أنّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياذ عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهمية خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرب من قيم حميدة وفضائل خيرة تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه، وذلك بهدف غرس الثقة المتبادلة وبغاية تغيير الحاضر تجويداً، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

التهيؤ في مواجهة التهيؤ:

ولأنّ التهيؤ حيوية تتمدّد من السكون إلى الحركة؛ فهي ستكون حيوية ذات أثرٍ موجب أو سالب على المتهيئ ومحيطه الاجتماعي، وستكون في المقابل لها ردّات الفعل بين قبولٍ ورفض.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل فكما يتمّ التهيؤ لأداء الأفعال؛ فكذلك يتمّ التهيؤ يقظة لمواجهةها بأفعالٍ مضادة لها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيؤون لارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقدّمون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المهربين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكلّ قوّة، أمّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزناد مرتعشة في حالة ما إذا كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الآن والآخر؛ ممّا

يجعل أفعال المنقّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك فمن تهيّأ واستعدّ لفعل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ يقظة لما يُغيّره عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكّر وتدكّر وقبّل إرادة أنّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحجّة، أي: دائما عندما يتوافر حُسن النية تكون المعلومة الصائبة وحدها هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة وقهرها حجة، ولكن إذا لم تتوافر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائما تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيؤ وتهيؤاته التي يقوم عليها يتوقف على معرفة المصادر المغذية له، والفلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والروح والنفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النظر عن سالبها وموجبها، ولهذا يجب أن ينتبه الإنسان إلى الآتي:

. مراجعة القيم لتثبيت المفيد والمرضي وتصحيح المشوّه منها.

. مراجعة المناهج والمقررات التعليمية وجعلها مواكبة لحركة

التغيير والتطوّر، وأن تكون ملبية لحاجات المتعلمين إلى المعرفة.

. أن تكون المقررات التعليمية مستفزة لعقول المتعلمين حتى
تشدهم إليها وتقودهم إلى ما يجب.

. أن تكون عقول المعلمين مستنيرة بالمعرفة الواعية والمتجددة
ومتفهمة لمراحل النمو وما ينبغي أن ينتبه إليه.

وكلما توافرت الأفكار والحجج تجاه القضية الخارجية مثار
الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيؤ للحدث أسرع، وكلما
تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيؤ متباطئة لحين
استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يؤدّ الوقوف عليه.

فالتهيؤ لا يكون إلا بمعطيات خلقية وحُليّة، ومزيج من
الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف
والأحاسيس؛ فالتهيؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك
على الشعور الداخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجاً من
القوى العقلية والجسمانية والروحية وهي في آنٍ واحدٍ تُعدُّ حالته في
لحظة التهيؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل من خلال تناسق قوى
العقل والجسد والروح لتكون متهيئة على البدء لأن تستعدّ للفعل متى
شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

وتُعد لحظة التهيؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل
والعواطف، إذ أنّ التهيؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرة بين
العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا

يكون الإنسان في وضع التهيؤ. والذي يحجب التهيؤ عن الاستعداد وصولاً إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكم به لحين اتخاذ القرار، ولهذا فلا تهيؤ بلا إرادة، ولا إرادة فاعلة بدون تهيؤ.

والتهيؤ مع أنّه نفسي وعقلي، فإنّ أصحابه الذين تهيّأوا إلى ما تهيّأوا إليه هم في حاجة إلى توجيه وإرشاد من الذين لهم في ميادين المعرفة والتجربة والخبرة باع كبير، ولهذا فعلى من يتهيأ لما يشاء ألا يغفل عن استشارة المؤهلين للمشورة قدوة أو معرفة أو خبرة وتجربة.

وللتهيؤ مصادر منها:

. الفضائل الخيرة.

. القيم الحميدة.

. المقررات الناجحة.

. الحواضن الاجتماعية الواعية.

. وسائل الإعلام المرشدة.

. مراكز البحوث المتقدمة.

. الأندية الرياضية المتطلّعة.

. مراكز التأهيل والتدريب المعدة تقنيّة.

. الأفكار المفتحة والتي يمكن استمدادها استنارة، ومن ثمّ تُكتسب وتمكّن من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السالبة والموجبة التي تتأثر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنّ الإرادة هي سلسلة الممكّنات من اتخاذ القرار الذي به يتم الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السلب والإيجاب.

إنّ الأفكار التي تغذي العواطف وتستفزّ المشاعر وتوجّه الأحاسيس، هي التي تدفع الإنسان فكرياً ثمّ تدفعه سلوكياً ليكون على ما يكون عليه من تهيؤ وإرهاب. لذلك فمتهينات اليقظة كامنة في العواطف بتعدد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوج نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثر سلباً عليه، وأمّا إذا اشتدت العاطفة فإنّها تستدعي معظم الأفكار الخاصة بالحدث بمؤثرات خارجيّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعوراً داخلياً يؤجج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطاً من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدراً يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهة يقظة من الضمير الذي يُقدّر الأنا والآخر دون تحيُّز، ولذا عند ما يُصرف النظر عن الفكرة المنشّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي

تدفع التهيؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

ولهذا فالتهيؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتخذ إلا بإرادة؛ فالتهيؤ للقول يؤدي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة، والتهيؤ للفعل يؤدي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهب.

ولسائل أن يسأل:

هل يمكن للإنسان أن يُقدّم على تحقيق مُنجز غير متوقّع دون أن يتهيأ له؟

تحقيق أو إنجاز غير المتوقّع ليس بالأمر الهين؛ فهو لا يمكن أن يتحقّق هكذا ضربة عشواء، بل يتحقّق بحسن التدبّر الذي لو لم يكن صاحبه متهيّئاً له ما كان متحقّقاً أو منجزاً؛ فغير المتوقّع لو لم يتهيأ له وتُحدّد له الأهداف وترسم الخطط من أجله ما كان فعلاً منجزاً بين الأيدي.

التهيؤ قيمة حميدة يجعل الإنسان على حالة من التطلّع لما يجب قبل أن يحين وقت وجوبه، وهو يقظة مسبقة بالفعل المتوقّع قبل وقوعه.

فالتهيؤ يعكس إدراك الإنسان لما هو ممكن وفقا للواقع الذي سيكون عليه، ولهذا يكون الإنسان منتظرا الزمن الذي سيأتي، ليقدم على الفعل أثناء وجوب أدائه وفقا للخطة المرسومة والمعتمدة دون تأخير، ومن هنا نجد المتحفّزين والمتدافعين في حالة حركة مع حركة سُنن الحياة، وهم يحققون المنجزات جهودا تبذل.

التهيؤ كونه تخميناً في لحظة الصّحوة دائماً يسبق القول والفعل والسلوك والعمل؛ فبدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّي إلّا بمقابل، ولا تُقدّر إلّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيؤ هو المحدث للفعل والمحقق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين، وما يحقق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصف الإرهاب من قبل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقق للتفاخر من قبل المقدّمين عليه إرادة.

التهيؤ لا ينجز الفعل مباشرة (بمجرد اكتمال التهيؤ أو وضوحه) بل التهيؤ يزيج العقل من التخمين في الشيء إلى البحث عن العدة ثمّ الاستعداد لما يأمل أن يقوم به أو يواجهه أو يفعله؛ أي لا يمكن أن يكون التهيؤ غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه أعظم وهي بلوغ المأمول.

ومن هنا تُحدّد لحظة التهيؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ إنّ التهيؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرة

بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيؤ. والذي يحجب التهيؤ عن الاستعداد وصولاً إلى الفعل هو الإرادة التي تتحكم به حين اتخاذ القرار عن وعي ودراية معرفية مع حسن تدبّر.

ولهذا فمصادر التهيؤ بالنسبة للإنسان، هي الأفكار المكتسبة والممكنة من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السالبة والموجبة، التي تتأثر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنّ الإرادة هي سلسلة الممكنات من اتخاذ القرار الذي به يتم الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السلب والإيجاب.

ومن ثمّ ينبغي على الإنسان أن يتهياً لما يجب، حتى لا تحدث له المفاجآت المؤلمة؛ فتصبح أحواله تتبدّل من حالة المبادرة إلى حالة البحث عن منقذ. وبالتالي ينبغي أن يبحث الإنسان عن أملٍ له يشغله اهتماماً وتفكيراً حتى تلد له الفكرة فكرة تلد حلاً.

مكونات التهيؤ:

التهيؤ كونه قيمة عقلية ونفسية؛ فهو الممكن من المعرفة المقصودة، والمحفّز على إحداث النّقلة إلى ما يمكن أن يؤدّي أو يفعل أو ينجز أو يتمّ الفوز به، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق لو لم تكن للتهيؤ مكونات قابلة للاستفزاز بما هو مشاهد ومجرّد، ومن هذه المكونات:

تَهْيُؤُ مَادِّي عَقْلِي:

مع أَنَّ العَقل هو مصدر التَهْيُؤِ، فَإِنَّه ذاته في حاجة لأن يهيأ، أي أَنَّ العَقل بطبعه يَمَكِّن من التَهْيُؤِ كما هو حال الكائنات غير العاقلة، ولكن القضايا الكبيرة تستوجب أن يلتفت العَقل إلى ملكاته مراجعة وتقييما حتى تستقيم ملكاته لإنتاج الفكرة التي لم تكن من قبل في دائرة العَقل متوقَّعة، ومن هنا وجب التفكير في غير المتوقع، مثلما يتم التفكير في المتوقع؛ فالإنسان الذي خُلِق في أحسن تقويم، خُلِق مقومًا على الهيئة والصورة {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} 22، أي خَلَقَكَ على المقدرة لأن تفعل ما تشاء مخيرًا في مشيئته تعالى، أي في خَلَقَكَ كانت الصورة التي أنت عليها تمشي سويًا والتي تستوجب حُسن الخُلُق الذي به تنال المكانة والتقدير، والذي به تصنع القدوة عملاً يحتذى به.

إِنَّ التَهْيُؤَ المَادِّي العضوي هو تَهْيُؤُ فطري، والمقصود به ما يتمتع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالاً معينة؛ فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيأة للنَّظر والأذن مهيأة للسمع، والقدم مهيأة للمشي، واليد مهيأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العَقل مهيأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات

22 الانفطار 7، 8.

العقل مع إحدى هذه الأعضاء، يتولّد تهَيُّؤٌ ثنائي جديد بين الأداة المادّية والجانب الدّهني.

ومع أنّ العقل ليس ذلك المادّي كما هو حال الحواس الأخرى، فإنّه حاسّة، بل هو ملكة الحواس جميعها؛ فبدونه مفاتيح السيطرة تُفقد من على كلّ الحواس؛ فلا القدمان تمشيان كيفما يجب، ولا العينين تبصران كما يجب، ولا السّمع والحركة والسّكون تكون كما هي من غير عقل سليم يضبطها توجيهها وسيطرة؛ ولهذا جاء التّهَيُّؤُ العقلي خَلْقاً مميّزاً للإنسان الذي خُلِقَ في أحسن صورة؛ أي أنّ العقل لم يُخلَقْ على الخُلُق، بل الخُلُق لا يكون إلّا مكتسباً؛ ومن هنا؛ فمن تهيأ عقلاً لأنّ يتعلّم لا شكّ أنّه سيتعلّم، وإذا تهيأ عقلاً لأنّ يعمل لا بدّ وأن يعمل، وهكذا؛ فالإنسان مهياً خَلْقاً ليكون المخلوق الأرقى، ولكن في بعض الأحيان الإنسان ينحدر إلى السّفلية والدّونية طمعاً أو ضعفاً وشهوة. ولو فكّر الإنسان في نفسه ولمّ خلقه الله في أحسن صورة، وشاء له أن يكون خليفة في الأرض لأدرك أنّ رسالة صعبة ستكون عبء على ظهره، ولأنّها الرّسالة؛ فهي واجبة الأداء مع حسن التدبّر والتذكّر والتفكّر الذي يمكّن من حُسن المعرفة التي لا يتمّ استيعابها إلّا بالتّهَيُّؤ.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلُق مسيراً في أحسن تقويم، فإنّه اختياراً انحدر في غفلة حتى أصبح أقلّ شأنًا عمّا خُلِقَ عليه، وعندما

لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملآن نفسه ندما؛
فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ذلك لأنّه المخلوق على الارتقاء،
ولكن بعلة الشهوة اختار أن يسلك سلوك المنحدرين دونية؛ فأصبح
التّع سُفليّة يلاحقه منذ تلك السّاعة التي انحدر فيها؛ حيث لا
منقذ له بعلل الاختيار انحدارا.

فالإنسان الذي خُلق على قمة التّشوّ ارتقاء، لو لم ينحدر
بداية، لكان إلى يومه هذا على قمة الزّمن الحاضر في حُسن خُلقه
وحُسن خُلقه. ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا
ينبغي، ولأنّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا
المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء،
وبأية علة؛ فليس له إلّا التّهوض، وهذه قاعدة أيضا.

ومع أنّ الإنسان خُلق على الارتقاء، فإنّه انحدر رغبة وغفلة،
ثمّ انتبه لأمره ارتقاء؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، وجعله من
المكرّمين، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} 23. ومع أنّهم
المفضّلون، فإنّ بعضهم غير مقدّر لهذا التفضيل؛ فمنهم من ضلّ،
ومنهم من اهتدى، وهم لا يزالون مختلفين وسيظلون كذلك. أي متى

²³ الإسراء 70.

ما هيئاً الإنسان نفسه إلى الإقدام على الموجب أصبحت أفعاله موجبة، ومتى ما هيئاً نفسه إلى السالب أصبحت أفعاله سلبية.

وعليه؛ فعبّر التاريخ والمنحنى التكراري للسلوك والفعل البشري بين هبوط وصعود؛ فمع أنّ الإنسان خُلق ارتقاءً (سويّاً) على صراط مستقيم، فإنّ سلوكه وفعله انحدر إرادة عمّا خُلق عليه من ارتقاء واستقامة؛ فالإنسان لم يُخلق على الانحراف والحيوانية، بل هذه قابلة لأنّ تكون جزاء من سلوكه إذا تهيأ لها، وهذه لا تكون إلّا من تدبّر عقله وتهيئة نفسه، فلا يليق به أن يكون مثل ذلك الذي يمشي مكبّاً، {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 24، ومع ذلك، انحدر دونية عمّا خُلق عليه من حسن قوام وتقويم، عندما خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الأكل من تلك الشجرة، ومن هنا، كانت النقطة الصفريّة التي بدأ منها رسم المنحنى التكراري للسلوك الإنساني وفعله، ولم تكن النقطة الصفريّة من دونية إلى علوّ ورفعة، بل كانت من علوّ إلى دونية، وهذه أوّل مخالفة (أوّل استثناء) والتي أعقبتها استثناءات وفقاً لما هيئاً الإنسان نفسه إليه دونية وانحدارا. فهو الذي خالف حُسن الخلق الذي به تميّز عن غيره من تلك الزواحف ومكبّة الأوجه، ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق والتي إن تهيأ لها كانت

24 الملك 22.

صفة من صفاته الحسان، وإن تهيأ لما هو سفلي فليس له إلا السفلية والانحدار الذي لا يليق بمن خلُق على حُسن التقويم.

ولهذا؛ فمكوّنات التهيؤ لم تكن مقتصرة على الوجود المادّي فقط سواء أكانت المادّة (ماء، أم نارا، أم هواء، أم ترابا، أم كلّها مجتمعة)، بل كان الكون بأسره بين مادّة تلمس ومادّة تحتاج إلى معرفة، وبين روح يصعب إخضاعها للمشاهدة، وبين عقل يدرك كلّ شيء في دائرة الممكن، وبين نفس تتأثر سلبا وإيجابا كما أنّها تؤثر في غيرها سلبا وإيجابا. ولهذا فالكون مبنيّ على معطيات تتعدّد ويصعب عدّها، سواء أكانت طاقة، أم مجرّات، أم فراغا وظلمة، أم نجوما وكواكب، وهذه جميعها تتمدّد بين المستحيل بلوغا، والمعجز نشوءا ومعرفة، والممكن تيسيرا وصعوبة.

تهيؤ مادّي نفسي:

التهيؤ المادّي النفسي مكوّن معقّد بين الصّحوة والغفلة، وبين الحاجة ومشبعاتها، وبين المطلب والاستجابة، وبين المزاج والوعي، وبين المرونة والتصلّب، وبين المتهيئ والمأمول، وبين الصدق والتحايل، وبين الحقّ والواجب، والمشاركة والانطواء. وبين التخطيط والإقدام على العمل.

والتهيؤ المادّي لا يكون إلّا ملموساً على أرض الواقع وجوداً، وهو نتاج الفكرة المتبيّنة لأمرها، وما ينبغي أن يفعل من أجل النفس؛ فالنفس متى ما كانت مطمئنة تحفّزت إلى التدبّر الممكن من العمل المنتج نفعا.

ومن ثمّ؛ فإنّ اشتراك الأعضاء المادّية مع الجانب النفسي من انفعالات تدخل في تشكّلات التهيؤ؛ فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات منها:

- أن تكون خائفاً؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيؤ.

- أن تكون حذراً؛ فأنت مهياً لتركها وشأنها.

- أن تكون مرتعباً؛ فأنت مهياً لمواجهةها إمّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنّها ثلاثة احتمالات فإنّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به التّعبان؛ فالتّعبان لا يخيف، بل التّعبان مُرهّب، أي أنّ العاقل هو الذي يُخيف لأنّه عاقل قادر على التفكير والتذكّر والتحليل، ومع ذلك فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا التّعبان فهو غير عاقل وبالتالي القاعدة تنصّ على أنّ (العاقل يخيف وغير العاقل

يُرهب) أي أَنَّ الصَّاروخ والقنبلة النووية وأيِّ قنبلة أو سلاح فتّاك،
وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب، أمّا العاقل فمجال التفاوض
والتسامح حيّزه واسع، والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من
سيئ إلى أحسن كلّما أحسن الإنسان تصرّفه وتفكيره.

فما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلِق في أحسن
تقويم، ولم يُخلَق على الكمال، إنّه يدلّ على أَنَّ الإنسان بين التسيير
والتخير (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه،
ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخيريّة ذات علاقة بالإرادة
والرغبة والشّهوة، وهذه مكان العلل والضعف النفسي التي تجرّ لما لا
ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛
فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر
بين سُفلية وارتقاء، وكلّ حسب ما يهيئ الإنسان إليه إرادة.

وعليه:

. هيئ نفسك علما ومعرفة.

. هيئ نفسك بنية.

. هيئ نفسك تطلّعا.

. هيئ نفسك مشاركا.

. هيئ نفسك متفهّما.

. هيئ نفسك مخيراً.

. هيئ نفسك مستوعباً.

. هيئ نفسك منتجاً.

تهيؤ مادي نفسي عقلي:

التهيؤ كونه قيمة يمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه نفسه وعقله، ويمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه غيره. ولهذا كلما هيأ الإنسان نفسه كلما استغنى عن تهيئة الغير له، وهذه من موجبات التهيؤ، ولكن إذا قصر الإنسان عن تهيئة نفسه تجاه الأشياء وتجاه الآخرين فيكون في حاجة لمد يد العون لتأخذه بما يمكن أن يهيئه لما يجب.

والتهيؤ كونه مولود الفكرة والتفكير ومحاولة حُسن التدبر لا يمكن أن يكون مستقلاً بذاته، بل لا يكون على الدلالة والمعنى إلا إذا تجسّد في الشيء بعد أن ينضج فكرة تامّة، وهذا النوع من التهيؤ أعلى من التهيؤين السابقين، حيث تشترك فيه الأداة المادية والانفعال النفسي الذي مصدره الشعور، والجانب العقلي القائم على المعلومات وسلسلة الأفكار ذات العلاقة بموضوع التهيؤ؛ فالذين يُخرجون من ديارهم بغير حقّ يتهيأون مادياً ونفسياً وعقلياً للذود عن ديارهم وكرامتهم، حتّى يردّوا اعتبارهم واعتبار من له علاقة بهم؛ فهم متهيئون

نفسياً لردّ الاعتبار، ومتهيّئون مادياً بتقديم الأنفس والأموال التي بها تخاض الحروب، ومتهيّئون عقلياً برسم الخطط وفنون القتال وما يترتّب على الحروب من نتائج في النصر أو الهزيمة، ولذا تتداخل معطيات القوّة بين قوى النّفس وقوى المادّة وقوى العقل في صيرورة معرفيّة، تهيّؤ لما يجب عندما لا يغفل الإنسان عن أهميّة التحليل الموضوعي للصغيرة قبل الكبيرة، وإن لم يراع ذلك يجد نفسه أمام المواجهة التي لا تعرف الاستثناءات.

فالتهيّؤ المادّي والنفسي والعقلي هو حُسن تدبّر يستند على التخطيط ورسم السياسات تجنّباً للغفلة وما تتركه من أثرٍ سالبٍ؛ فبنو آدم عندما لا تكون لهم آمال، لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأّنه بلا رأس. ولذا؛ فلا ينبغي إغفال أهمية التهيّؤ المادّي والعقلي والنفسي إن أردنا سلامة ونجاحا وتقدما.

وعليه:

- إن تهيّأت ينسحب الجُبن من نفسك.

- إن تهيّأت تنسحب الغفلة من عقلك.

. إن تهيأت ينسحب الحمل من بدنك.

ومع ذلك لا يمكن أن يكون الارتقاء المتهياً له مادياً ونفسياً وعقلياً على حساب الغير، بل ينبغي أن يلتحم مع جهودهم المتهينة لجمع الشمل وزيادة الإنتاج، أو ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات.

وعليه؛ فمن يهيئ نفسه لارتكاب ما يسيء للغير أو أن يأخذ بما نُهي عنه؛ فسيجد نفسه من النادمين، كما ندم أبونا آدم بعد أن خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفاراً يهيئ نفسه للارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام التي أصبحت أملاً بعد أن كانت حقيقة بين يديه.

ولأنّ بني آدم مهَيَّأون بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وبين ما يؤدّي إلى التخلف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء يتهيأ الإنسان له مادياً ونفسياً وعقلياً حتى يكون عملاً منتجاً ومتقناً ومبدعاً ومرسّخاً لقيمة الإنسان، وفي المقابل التهيؤ للعمل الفاسد والرغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة،

ومن ثمّ؛ فالعقّة والأمانة والنّزاهة وتحمل أعباء المسؤولية ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا بأسباب ما يتهيأ له شخصانيا.

الارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إذا تهيأوا ماديا ونفسيا وعقليًا مع الرغبة عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغه إذا تهيأوا للظلم والتشدد والتطرّف، ولذا، في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فمن شاء الارتقاء تهيأ له وعمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار تهيأ له وعمل من أجله سُفلية²⁵.

فالإنسان عندما يتهيأ للنّهوض ينهض ويرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما يتهيأ إلى الانحدار يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانية في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان، {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا هُوَ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} 26.

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرين قيما هم مثل

²⁵ عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق . النشوء . الارتقاء، المجموعة الدولية

للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ص 243.

²⁶ الأعراف 166.

الحيوان الذي لا يتذكّر فيتعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه وبين من هو في دونيّة.

تهيؤ مادي نفسي عقلي روحي:

عندما يكون التهيؤ في الاتجاه الموجب تصبح الرّوح والمادة والعقل والنفس قوّة موحّدة في اتجاه البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض، وفي المقابل عندما تفارق النفس العقل، أو أن يفارق العقل النفس فلا إمكانية للتهيؤ تجاه ما يجب، بل حياة الإنسان تصبح في حاجة للعناية والرّعاية، ولهذا فالتهيؤ التّام الموجب هو الذي يمكن من بناء الأنا الموجبة والذّات المتفاعلة والنفس المطمئنة.

إنّها المعادلة الرّباعية التي تهيئ ما يجب أن يهيأ، كما أنّها تهيئ من يمكن أن يتهيأ لفعله أو عمله، إنّه أقوى مستويات التهيؤ لدى الإنسان حيث وجود التهيؤ الرّوحي القائم على يقينيّات الإيمان الكامنة في القلب، فضلا عن عناصر التهيؤ الأخرى الماديّة والنفسية والعقلية، ولأنّه روحي؛ فمكمنه القلب الذي يدرك اليقينيّات كلّما تطهّر من الغل، والحقد والكراهة والظلم والحسد، وكلّ ما هو ذميم الخلق.

وعليه:

فالتهيؤ للارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيرة والقيم الحميدة،
ارتفاعاً عن كلّ ما من شأنه أن يؤدي إلى الانحدار والسفلية، وذلك
من أجل بلوغ ما يُمكن من إحداث الثقل الممكنة من بلوغ الجنة
عيشاً رغداً. ومن هنا، وجب التهيؤ للعمل المحقّق للعيش النّعيم الذي
فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخطب العقل، وترضي
القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

التهيؤ مرحلة مخاض فيه الحيرة تلعب دوراً رئيساً في إيجاد مخرج
منقذ؛ فهي التي تملأ الفكر وتشغله قلقاً إلى أن يستبصر أملاً
يستوجب عملاً وجهداً يُبذل في سبيل بلوغه، وهي المخاض الذي
ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛
فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز
على حيرة جديدة من بعدها حيرت تُمكن من إضافة ما هو أفيد
وأففع.

ومن هنا؛ فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكن من
الإلمام بالمحير حتى يُقتنص له حلاً، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن
يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازاً أو ممكناً حتى يقتنص حيرة بها
يقتنص فكرة تلد له حلاً بعد تهيؤ.

والحيرة تعدّ معطية عقلية تميّز الإنسان تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وتستفز الذاكرة بما هو محيّر حتى توقظها إلى ما يجب التهيؤ إليه انتباها، ومن ثمّ؛ فالفكر الإنساني يتمركز على نضج الفكر، وصوغها في قضية تجيب على التساؤل الفلسفي المحيّر وهو: (كيف؟). ذلك لأنّ الفكر ملكة عقلية تثيرها مستفزات المشاهد والملاحظ والمجرد على السواء؛ فتتعامل معها تفحصا بلا إشارة قف، ولكن وفقا للمقدرة التي لا تكون إلّا تهيأ.

ولأنّ الكون قد هيأ للحياة نشوء؛ فنشئت الأرض فيه، ومنها الأزواج نشئت كما هو حال آدم وزوجه وغيرهما من الأزواج المعلومه وغير المعلومه، ثمّ من بعد نشوء الأزواج جاء النشوء التزاوجي من الأزواج كثرة؛ وهذا ما يلفت الإنسان لعقله تفكّرا ليهيئ نفسه لإنشاء ما هو ممكن حتى يبلغ المعجز معجزا والمستحيل مستحيلا. أي ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى كلّ شيء من حوله، ويتساءل:

كيف خلقت أشياء؟

كيف كانت الأشياء أشياء؟

ولماذا كانت على الاختلاف والتنوع؟

أي ينبغي أن تكون هذه التساؤلات معطية تلفت العقل الإنساني إليها لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع

حاجاته المتطورة، حيث كلما تهيأ الإنسان والتفت إلى الأشياء معجزة، اكتشف شيئاً جديداً يمدّه بالمزيد المعرفي؛ فالأرض كونها شيئاً مليئاً بالخامات والثروات الثمينة، فمن بلغها اكتشافاً ومعرفة تمكن من تشييد المزيد نشوء حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلاً، وفي المقابل من ثلّاه نفسه شهوة ولا يتهياً إلى المزيد المعرفي؛ فلن يجد نفسه إلا على حالة من الانحدار والدونية التي لا تزيده إلا قلة شأن.

ولأنّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع رُقيّاً؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب أن لا يصحّح ولا يقوم، كما صحّحه أبونا آدم وقومه ساعة حدوثه، وساعة كشف الله، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} 27. ذلك لأنّ الكلمات الصائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخلق الذي لا يتبدّل.

فالإنسان الذي خلّق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوم للارتقاء، وليس للدونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكراً وتدبّراً وتفكّراً؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختياراً، ولذلك ينبغي أن يتهياً بنو آدم ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النقلة الممكنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

27 البقرة 37.

معارية التهيؤ:

معارية التهيؤ تتعلق بجودته؛ فإن كان تهيؤا بغاية خيرة كانت معاييره قيما وفضائل، وإن كانت على غير ذلك؛ فقد تؤدي بصاحبها إلى ما يؤلم؛ فالمعايير هي تلك الثوابت التي على ضوئها يتم تقييم الأشياء قبولاً أو رفضاً، وهي التي لا تكون أحكامها مزاجية ولا شخصية، بل هي الأحكام الموضوعية ذات الاعتدال المتوازن حيث لا ميول عن الحقيقة وما يؤدي إلى إظهارها بين الناس بلا انحياز ولا مظالم.

وهي التي تمتد على السلم القيمي بين ما يقبله ويستحسنه ويُفضّله العقل الإنساني، ويُقدّم على فعله، وبين ما ينتهي عنه، ويرفضه ويُجرّمه ويقاومه، ويُجرّم أصحابه دون تردد. أمّا معادلة بين طرفين (من يقبل ومن يرفض) وبين هاتين الكفتين يسعى الإنسان لأن يكون مركزاً للتوازن والاعتدال الذي لا يؤسس إلّا على مظهرات الحقيقة (هي كما هي)؛ فمن يتهاى لها عن بينة يمتد إلى ما يمكن من بلوغ المأمول من ورائها، ومن لم يتمكن عن بينة تصبح تهيؤاته مجرد تهيؤات. والتهيؤات هنا تشير إلى ما يبدو للبعض ولا يبدو للغير، أو ما يبدو للبعض وهو لا يزيد على كونه تهيؤاً في حدّ ذاته.

ولهذا فمعيارية التهيؤ تتضح من خلال ما يؤديه تجاه المستهدف أو المأمول، فإن مكن التهيؤ أصحابه من بلوغ الغايات ومن بعدها نيل المأمولات؛ فإن ذلك لا يكون إلا نتاج جودة معاييره.

ولأنَّ عقل الإنسان معياري؛ فهو قادر على إجراء المقارنات والوصول إلى نتائج تمكّنه من التمييز بين الحلال والحرام، وتُهيئُه لأن يختار بإرادة حلالاً أم حراماً أو يتبع باطلاً أم صواباً؛ فالقيم التي تهَيِّئ الإنسان لأن يُقدِّم أو يُخجِم عن تأدية الأفعال، هي تلك القيم التي تسمح للعقل أن يجري مقارنات ويصدر أحكاماً قد تجعله في المواجهة مع من لا يُقدِّر حقّه في اتخاذ ما يشاءه من قرارات؛ فيكون الصدام بين من يؤيّد وبين من يعارض، ومن هنا تتولّد الأفكار التي تستدعي تصرفاً متوازناً، أو تصرفاً لا توازن فيه كلّ حسب استنتاجاته ومقاييسه التي اعتمدها لتقييم ذلك المقبول أو المرفوض، الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيؤ بالخروج لوضع الاستعداد، ومن ثمّ مباشرة الفعل، وإمّا كبح جماح العاطفة الذي يؤدي إلى التهذؤة وعودة الاتزان ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيؤ المتكوّن لدى الأنا أو الآخر لفعل قد أريد به الآتي:

. إنجاز هدف.

. تحقيق غرض.

. بلوغ غاية.

. نيل مأمول.

وبالتأمل في كلّ ما حولنا نرى أنّه مهياً من قبل الخالق لاستقبالنا نحن البشر، ومهياً كذلك ليكون مسخراً ومذلاً لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيؤ من الخالق ما كانت المخلوقات مستقرة على سطح الأرض التي خلقت وهئيت مُستقراً بالجاذبية التي يُسّرّ بها وسُيّرَ عليها؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقرّ شيء على وجه الأرض، ولما تيسّرت السبل للإنسان، وتأسّست العلاقة بين الأزواج إعماراً وإصلاحاً؛ فكانت للحياة مقوّمات من ماء، وهواء، ونور، ونار، وتراب، وحركة، وزمان، ولذلك تعدّدت ثروات الأرض لتشبع حاجات الإنسان المتهيئ لإعمارها.

ولأنّ التهيؤ من طبيعة المخلوقات، لذا فإنّ التهيؤ البشري لا يأخذ طابعاً عاماً مثل المخلوقات الأخرى التي طُبعت به غرائزها، بل يختلف من فردٍ لآخر، وذلك باختلاف مؤثّرات الفضائل والقيم التي عليها تأسّست الأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النّفس الإنسانية من مؤثّرات بيئية سلبية وإيجابية في تشكّل التهيؤ المعياري لدى الأفراد والجماعات والمجتمعات.

التهيؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء مادية وقضايا عقلية وانفعالات عاطفية ومسائل روحية،

وبتلاقح بعض منها مع بعضها الآخر، يتولّد نوع معين من التهيؤ المعيارى فى اتجاه قابل للخروج إلى مرحلة الاستعداد لممارسة الفعل، ولذا لا يمكن أن يكون أحاديّ المصدر، ومن خلال تداخل ما يستفزّ العقل والنفس والروح والبدن ينتج التهيؤ كمستجيب للمستفز أو المقلق أو المحيّر، لبحث عن باعث يشبع حاجة، بواسطة مكوناته الآتية:

. مادّية حركة وامتدادا ومشاهدةً.

. عقلية من سلسلة الأفكار الممكنة من التفكير والتدبّر والتدبّر.

. نفسية من انفعالات العواطف وضغوطات الأحاسيس والمشاعر.

. روحية من يقينيّات الإيمان.

معطيات التهيؤ:

معطيات التهيؤ للفعل هي تلك المستفزّات التي لا تُقبل بأيّ حال من الأحوال، ممّا يجعل الإنسان مهما بلغ من الجن ليس له إلّا أن يرفض ويتهماً لتقبّل المؤلم متى ما ترتّب عليها، ولكن لا يتقبّله رغبة بل تحدّيا تكون فيه المواجهة هي العنوان.

ومع أنّ منتجات التهيؤ مستفزة، فإنّها لا تقتصر على سالب، بل تتعدّاه إلى الموجب والمطمئن، حيث فيها من المحرّضات على العمل والبناء والإعمار ما فيها، وفي كثير من الأحيان تتجاوز المطالب الخاصّة إلى المأمولات العامّة.

فالتهيؤ في دائرة الممكن هو متوقّع وغير متوقّع وسالب وموجب؛ فمن النّاس من يتهيأ لأعمال الإصلاح والإعمار، ومنهم من يتهيأ لأعمال الإفساد وسفك الدماء بغير حقّ، وفي كلّ الأحوال مع أنّ التهيؤ مرحلة ما قبل الاستعداد والتأهب والفعل فإنّه لا يمكن أن يكون تهيؤاً إلّا بمعطيات وفيها من التضاد ما فيها، ومن هذه المتضادات:

. الحاجة وما يشبعها.

. القيام بالفروض، واتباع السّنن.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمل المسؤوليّات.

. نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام.

. غرس الثقة.

. الإقصاء والعدوان والإذلال والحرمان.

. التسفيه والاستغفال وتقديم الإهانات والمساس بالكرامة.

. الاحتكار والاستغلال ونشر الفساد.

. السخرية من الدين أو المساس به وما يتعلّق به من أمر.

. احتلال الأوطان أو القيام بأعمال الإرهاب.

. تزوير الحقائق وشهادة الزور والعمل على طمس الخصوصية.

. الاعتداء على الملكية الخاصة ومصادرة الرأى.

تقابل التهيّؤات:

العقل والفطنة والاحتراس والحيلة مفاهيم تتماثل ولا تتطابق، ممّا جعل للصدام والنزاع بداية ونهاية، فما يعتقدّه الأنا في بعض الأحيان صواباً قد يجهله الآخر أو يغفل عنه، وما يعتقدّه الآخر صواباً قد يجهله الأنا أو يغفل عنه، ولهذا تتسع الهوة بين الأنا والآخر بالمعلومة الخاطئة وتضيّق بالمعلومة الصّائبة، ولكلّ حساباته، ومهما اشتدّت قوانين الاحتراس والفطنة والحيلة ومهما بلغ العقل من التفكّر والتدكّر والتدبّر لا يكون مُحصّناً من الوقوع في الفخّ.

ولذلك فالتهيّؤات تتقابل عقلاً وغريزة وكأّمّا في مناظرة بين الأنا والآخر؛ فكما أنّ صيادا يتهيّأ لصيد الطريدة، عند مرحلة ما قبل

الاستعداد للزّمي، فإذا وصل إلى مرحلة الاستعداد، خضع لقرار الإرادة، وبالتالي فإنَّ الطريدة تنهياً هي الأخرى من خلال استشعارها الخوف عن طريق الغريزة، وهذا الخوف هو الذي جعلها تنهياً من أجل الاستعداد للفرار، ولهذا فالحيوان يستمدّ تهيؤّه من غرائزه، أمّا الإنسان فتهيؤاته مرتبطة بالعقل الذي به يتطلّع إلى المستقبل ويُميّز بين ما يجب الإقدام عليه دون تأخير، وما يجب الإحجام عنه دون تردد.

ولأنّ التهيؤ البشري لا يكون إلّا عن دراية ووعي؛ فإنّ الدّراية والوعي تستدعيان تقدير الآخر واستيعابه، وتفهم ظروفه التي تتغيّر مع تغيّرات العصر والتطوّرات التي بها يندفع إلى الأمام، لذا فوق الفراغ عند الشّباب ما لم يُملأ بدراية لا بدّ أن يُملأ بغيرها، وهنا قد تتولّد التّأزّيمات بين من يدري ولم يتهيأ لذلك، وبين من لا يدري فلم يضع اعتباراً للآخرين. لذلك ينبغي أن يكون وقت الفراغ مهياً للنّفع لا للضرر؛ فإذا لم يُحسّن استغلال أوقات الفراغ فإنّها تتحوّل إلى معطية لتدمير طاقات الإنسان كأن يلجأ الشّباب إلى تعاطي المخدّرات وتناول المسكّرات، ممّا يجعلهم على حالة من القلق والملل والتوتّر، وإلى كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحراف أو التطرّف.

ولذلك فالتهيؤات تتقابل في مساحة الحيرة العقلية والفكرية؛ فتتغلّب الواحدة على الأخرى في دائرة الاختيار؛ فيكون الظهور بما

هو مقنع للأنا وقد يكون مرضيا للغير أيضا، كلّ حسب معاييرهِ المستخدمة في عملية القياس الممكن من المعرفة عن بيئته.

وعليه لا عمل ينفع إلّا بعد تهيؤ للبناء والإعمار والإصلاح، ولا علم ينفع إلّا بعد تهيؤ لما هو أعظم، ولا تربية تنفع إلّا بعد تهيؤ بالفضائل الحيرة والقيم الحميدة التي يرتضيها الناس لتهديب الأخلاق وتقويم السلوك، وبناء القدوة الحسنة المتعظّة والتهئية لأن تعظ الآخرين عن حُسن سيرة ودون أيّ إكراه.

فالتهيؤ قوّة دافعة تجاه ما يجب من وجهة نظر المتهيّ، وهو تحفّز لإظهار ما هو متهيّ للظهور حتى يصبح بين أيدي الناس قابلا للمشاهدة والملاحظة، وهنا فالتهيؤ هو الحالة التي يبدو عليها المخلوق في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن الموجب والسّالب (المتوقّع وغير المتوقّع).

صور التهيؤ:

للتهيؤ صورتان رئيستان هما:

- التهيؤ القبلي: وهو الذي لم يسبق لأحد أن تهيأ به، إنّه تهيؤ الإبداع، إبداع شيء لم يسبق وجوده؛ فاكشف بأسباب الحاجة بعد تمكّن وغوص وبحث وتقصّ مُعمّق.

ولأنَّ التهيؤ دائماً يسبق العمليات الفكرية؛ فهو المحفّز على إبداع الجديد، ومن هنا يظهر التنافس بين المتنافسين في أخذ السبق ليكون الإبداع حقّ لمن سبق غيره إبداعاً.

التهيؤ القبلي يسبق الصّورة، أي أنّه المؤسّس لها؛ فالصورة أو الشّكل الذي نحن عليه كان متهيّئاً لدى الخالق قبل أن نخلق، وهكذا كلّ ما خلق كان التهيؤ سابقاً لما خلق، ولأنّ الأمر كذلك؛ فكل متهيّئ بالأمر كن، يكون صورة بإصدار أمر الكينونة التي يكون عليها متهيّئاً.

ولأنّ العقل هو مركز التهيؤ، وأنّ التهيؤ يحفّز على التدبّر، فهنا تظهر العلاقة بين من فكّر حتى تهيّأت له صورة المتهيّئ مع أنّها مازالت محتفية في الدّهن، كونها لم تر الشّمس بعد، وبين من يتهيّأ عقله إلى استقبالها هيئة كما ظهرت في ذهن وعقل صاحبها الذي كان له السبق في كشفها معرفة، لينقلها من الهيئة الدّهنية إلى الصّورة والشّكل المشاهد والملاحظ مع كشف قوانينها العلمية والعملية.

فنحن بني آدم خُلِقنا لنفكّر حتى نتبيّن؛ فإن تبيننا فهمنا وعرفنا وارتقت عقولنا لمعرفة المزيد حتى وإن كان مجرداً، ومع أنّنا لا نخلق، فإنّنا نستطيع أن نصنع من الشيء المخلوق أشياء تُخلق، فمتى ما تهيّئت الأشياء في عقولنا إبداعاً، أبدعناها شكلاً أو صورة، ولهذا دائماً التهيؤ يسبق الأشياء وجوداً، فنحن لا نخلق (لا نصنع) شيئاً إلّا

بعد تهيّأت صورته لنا قبل أن يكون صورة ماثلة وظاهرة للعيان. ولهذا؛
فالتهيّؤ سابق على القول والفعل، وبدونه لا يكون القول ولا الفعل،
وبذلك محدث التهيّؤ هو محدث الفعل والنقطة.

. التهيّؤ البعدي: هو ذلك التهيّؤ الذي يلاحق المخلوق
مشاهدة ويلاحق المنتج إبداعا، إنّه تهيّؤ استدعائي، أي أنّ المعرفة قد
سبق تلقّيها، وبالتالي يمكن أن يتمّ استدعاؤها؛ فتستدعى سواء
أكانت معلومة أم صورة أم شكلا من الأشكال التي وجدت الأشياء
عليها مختلفة، أي يُمكن أن تكون الأشياء السابقة في الذاكرة؛
فتستدعى بما يجعلها دليلا شاهدا بين الناس الذين من حقّهم أن
يخضعوها للاختبار والقياس والمنطق الذي يقبلها حجة إن كانت لها
مصادق، وفي المقابل يواجهها بحجج إن كانت على غير مصادق
تثبتها سابقة علمية (إضافة جديدة).

ومن هنا؛ فالبحث في مفهوم التهيّؤ لا يُعدّ من علم ما وراء
الطبيعة وإن كان يدخل فيه شيء من ذلك، إلّا أنّه بحث في التجريد
وإن كانت مرتكزاته واقعية، ومادام تجريديا؛ فإنّه يحتلّ المكانة الوسطى
بين الواقعي والميتافيزيقي.

ولذا فإنّ حدود معرفة التهيّؤ، تتوقّف على مستوى ملكات
العقل، وبما أنّ الملكات العقلية متفاوتة من شخص لآخر من حيث
القدرات، ومتباينة من حيث الأفكار والمعلومات، التي تعتبر أساس

البحث في مفهوم التهيؤ، لذلك يكون الاختلاف في التصورات لدى الناظرين فيه وفق ما يحمل هذا الناظر أو ذاك من أفكار تنجلي له تصورات التهيؤ في نفس المتهيّ، لمن يريد أن يقف على التهيؤ، وهذا لا يغيّر من نفس التهيؤ في نفسه شيئاً، بمعنى أنّ تصورك لحقيقة ما، لا يغيّر من حقيقة هيئتها شيئاً، وإنّ تغير منها ما تغير فلا تكون تلك الحقيقة هي الحقيقة.

ففي قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} 28، يظهر موسى عليه الصّلاة والسّلام متهيّاً لتلقي الأمر من ربه، ومتهيّاً للطريقة التي يتمّ بها كشف الجريمة، لذلك كان جوابه (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بينما قومه الذين لم يصلوا إلى مرحلة التهيؤ بهذه الطريقة في إحياء الموتى (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا) ثمّ بعد ذلك طلبوا توضيحاً يبيّن لهم معلومة تؤهلهم للتهيؤ، قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} 29؛ فلمّا لم يصلوا إلى تلك المرحلة استزادوا: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا} 30؛ فلم يزل يزدحم إلى أن وصلوا إلى حالة التهيؤ، أمّا تهيؤ موسى عليه الصّلاة والسّلام؛ فهو ثابت على حقيقته قبل تهيؤ قومه وبعد تهيؤهم.

²⁸ البقرة 67

²⁹ البقرة 68

³⁰ البقرة 69

إنَّ الوقوف على حقيقة التهيؤ وهيئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له والفلك الذي يدور فيه؛ فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنّفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النظر عن سلبها وإيجابها.

ومن ثمّ؛ فكلّما توافرت الأفكار والحجج تجاه القضية الخارجية، كانت استجابة التهيؤ للحدث أسرع، وإذا تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي نقف عليه من خلال قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} 31، لقد كان التهيؤ من موسى عليه الصّلاة والسّلام للإجابة عن منافع العصا وفوائدها! إلّا أنّ تحولها المفاجئ إلى أفعى، دفع عاطفة الخوف للسيطرة على العقل، عند ذلك تسمح الإرادة بالوصول إلى غريزة الفرار، غير أنّ قوله تعالى (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) ولّد تهيؤاً آخر لتحوّل الأفعى إلى عصا مرّة أخرى؛ فهذه العصا ليست كبقية العصيّ، وإمّا قد هيّأها الله تعالى لموسى عليه الصّلاة والسّلام لإظهار المعجزات من

³¹ طه 18-21

آيات الله تعالى، ومن جانب آخر هو تهيئة لموسى، لأن هذه العصا سوف يكون لها شأن كبير بما هي مهيأة له، ذلك أن الموقف مع سحرة فرعون يحتاج إلى هذا النوع من التهيؤ، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَالْقِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} 32، لقد كان موسى، مهيأ للحدث وإن كان لا يعلم ماهيته قبل حدوثه؛ فعندما خيره بين أن يبدأ فيلقى عصاه، أو أن يكونوا البادئين، وطلب منهم أن يكونوا أول من يلقي الحبال والعصي دليل على التهيؤ لهم، وهو لم يحسّ الخوف من العصي والحبال التي انقلبت إلى ثعابين، ولكن من احتمال أن يتلبس السحر على الناس بالمعجزة؛ فألقى موسى عصاه؛ فإذا بها تنقلب بقدرة الله حيّة كبيرة مخيفة لأنها مهيأة لهذا الانقلاب، وهو أيضا مهيأ لتحوّلات العصا، وليس كالمرة الأولى (حُذِّهَا وَلَا تَخَفْ) وإنما الآن أصبح لديه تهيؤ كامل، وابتلعت كلّ ما أعدّوه؛ فلمّا رأى السحرة تلك المعجزة بادروا إلى السجود موقنين بصدق موسى عليه الصّلاة والسّلام، وهذا ما هيأهم الله إليه، وهكذا بالتهيؤ تحدث الأشياء أو تُصنع.

ولم تكن العصا مهيأة لأن تنقلب أفعى فقط، وإنما كان لها تهيؤات مختلفة أوجدها بها المهيئ عز وجل حيث قال: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} 33؛ فأَيَّ عصا تضرب حجرا حتى ينفجر منه اثنتا عشرة عينا لو لم تكن مهيأة لهذا الأمر، ذلك أنَّ قوم موسى أشرفوا على الهلاك من العطش وهم في صحراء سيناء، ولما لم يجدوا ماء وشكوا ذلك إلى موسى، أمره الله أن يضرب الحجر بعصاه؛ فانفجر لهم الماء.

وأعظم من هذا هو تهيؤ هذه العصا لفلق البحر ورفقه حتى ينجو بقومه عندما أتبعهم فرعون وجنوده، حيث قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} 34؛ فعندما ضرب البحر بعصاه، انفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني إسرائيل، وكان كل طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم الثابت الذي لا يطغي واحد منها على الآخر؛ فهذا تهيؤ عصا موسى عليه الصلوة والسلام.

³³ البقرة 60

³⁴ الشعراء 61-63

وعليه: التهيؤ هو مزيج من الوعي والمعلومات والأفكار وأشياء فطرية، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الداخلي (الوجدان) من قضية خارجية؛ فالإنسان يمتلك مزيجاً من القوى العقلية والجسمانية والروحية في آنٍ واحدٍ، وهي كذلك في ذات الوقت هي حالاته في لحظة التهيؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال التوتّر المتناسق لقوى العقل والجسد والروح معاً؛ فتكون على هيئة قادرة على بدء الاستعداد متى شاءت وأين شاءت.

كما يكمن التهيؤ لدى الإنسان في العواطف التي لها صلة وثيقة بالغرائز؛ فالعاطفة هي التي تنشط الغريزة، وتجعل الإنسان في وضع التهيؤ، أمّا تجاوز التهيؤ إلى الاستعداد وخروج الاستعداد إلى الفعل فهذا أمر تتحكّم به الإرادة نتيجة الاستنتاج.

ونستطيع إن نحدّد لحظة التهيؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ أنّ التهيؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدفع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيؤ، والذي يحجب التهيؤ عن الاستعداد وصولاً إلى الفعل هو الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار الذي يسعى به إلى عملية التنفيذ والعمل.

وأما مصدر التهيؤ بالنسبة للعقل؛ فهو الأفكار المكتسبة المكوّنة للعقل، إذ إنّ العقل هو الاتزان في سلسلة الأفكار السالبة والموجبة، كما أنّ الإرادة هي سلسلة الأفعال المماثلة سلبيًا وإيجابيًا؛ فالإرادة هي التي تجعل من الإنسان راغبًا أو رافضًا وبلا ضغوط.

ولذلك فالأفكار هي التي تغذي العواطف، وكلّما تكاثرت الأفكار في قضية ما، اشتدّت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقًا من الفكرة يؤدّي إلى التهيؤ من أجل ما يمكن أن يفعل.

لذلك نقول المتهيّات كامنة في العواطف بتعدد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوج نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة سبات بحيث لا نشعر بوجودها، وأما إذا اشتدّت العواطف فإنّها تستدعي معظم أفكار عقلها الخاصّة بالحدث بمؤثرات خارجية عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورًا داخليًا يؤجج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطًا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرًا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه، وعند صرف النّظر عن الفكرة المنشّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي دفعت التهيؤ

للظهور إلى حين ظهور المؤثر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

إنّ السبب في قوّة العقل وسيطرته على عواطفه هو ذوبانها فيه، وذلك عندما يمتصّ قوى تلك العواطف الفكرية، كما أنّ سيطرة العواطف على العقل وتغلّبها عليه، هو ذوبانه فيها بامتصاصها أغلب أفكاره المقيّدة للإرادة، ولحظة الصّراع الناتجة عن الأفكار بين العقل من جهة والغريزة بدفع من العاطفة من جهة ثانية إنّما هي لحظة التهيؤ الذي يواجه حاجز الإرادة التي هي مرحلة بعد التهيؤ؛ فلا تهيؤ إلّا بإرادة، ولا إرادة إلّا بتهيؤ، ولكن يظلّ لكلّ مصطلح خصوصية في المعنى والدلالة حتّى وإن اشترك مع غيره أو اتّحد؛ فالإرادة قرار والتهيؤ تحفّز للقول أو الفعل الذي بشأنه يتّخذ القرار.

ولذا فالتهيؤ دائما يسبق حتّى يدفع لاتخاذ القرار الذي بدوره طبيعياً لا يتخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة. والتهيؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يفعل. ولكن ليس دائماً الاستعداد وإن سبقه تهيؤ يؤدّي إلى القول أو الفعل، وذلك بأسباب حدوث الاستجابة قبل القول والفعل، كأن ينتقل الخصم الذي بسببه كان التهيؤ والاستعداد للانتقال تفادياً لتوتّر المواقف التي لا تحمد عقباها، أو لحدوث غير المتوقّع في الزّمان والمكان المفاجئ، وأن يتمّ التسامح في دائرة الاعتراف بالذّنب ووجوب المغفرة

والتَّسامح، أو أن يحدث الله أمراً، قال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
السَّاعَةَ قَرِيبٌ} 35.

وهذا ما يفسّر لنا قوّة العقل بعد تسلّطه على العاطفة وفرض
سيطرته عليها، وكذلك العواطف أقوى ما تكون عندما تكبح جماح
العقل وتحتّمه وتخضعه لسيطرته؛ فيفسح المجال أمام الغريزة، وفي هذه
اللحظة أعظم ما يكون التهيؤ على أشده عندما يصطدم بالإرادة التي
هي باب الأفعال في الكبح أو السماح، ولولا فرض العقل سيطرته
على العواطف لما كان له النشاط المعهود من الحدة والانتباه بعد
تسكين العواطف واختفائها مؤقتاً كونها لاتزال قابلة للمستفزات
العقلية.

وعندما يأخذ من نشاطها تزداد ضعفاً ويزداد هو قوّة وانتباهاً.
هذا التبادل العكسي بين العقل والعاطفة إنّما جاء نتيجة المادّة
المشتركة التي تغذي كلّاً منهما على حدّ سواء، ألا وهي الأفكار،
ويتجلّى ذلك في اتّحاد العقل والعاطفة، أو موافقة العقل للعاطفة
كالحبّ والرّحمة مثلاً، لأنّ المنطق يفرض التّطابق الإيجابي، ولذلك
يكون الإنسان سريع الاستجابة في مثل هذه المواقف لتطابق العاطفة
والعقل في حال الاستنتاج الإيجابي؛ فتسمح الإرادة للتهيؤ إلى أن يخرج
إلى الفعل على وجه السّرعة، على العكس من المواقف التي يكون

³⁵ الشورى 17.

الاستنتاج فيها سلبيا أو ضررا يعود على الإنسان، لذلك يتأخر اتخاذ قرار الإرادة بسبب التردد، لأنَّ العقل يستغرق في الاستنتاج للوقوف على إيجابية النتائج، وفي هذا الموقف يكون التهيؤ في أطول أعمارهِ إذا قسنا ذلك بالزمن، قبل أن تَحمد العاطفة أو تسمح الإرادة بخروج التهيؤ إلى الاستعداد تلبية لنداء الغريزة.

ويتَّضح التهيؤ بوضوح العلاقة بين العقل والعاطفة والغريزة؛ فالجوع مثلا يؤدِّي إلى سيل اللعب وارتخاء المعدة، وهو تهيؤ ناتج عن الجوع، وعاطفة الحزن عند اشتدادها تدفع غريزة البكاء للتهيؤ، وكذلك عاطفة الفرح والسُّرور تهيئ غريزة الانشراح والابتسامة والضَّحك والانبساط، ولكنَّ العاطفة تدفع الغرائز إلى التهيؤ، وهنا يتدخَّل جزء من العقل وهو الإرادة في السَّماح أو عدمه بالخروج لهذا التهيؤ إلى وضع الاستعداد ثمَّ إلى الفعل.

فالإرادة تقف حاجزا أمام التهيؤ، ثمَّ تبدأ ملكات العقل بالتذكُّر واستدعاء المعلومات من الذاكرة، وتبدأ عملية مقارنة بين مخزونات العقل مع وضع التهيؤ، ومن ثمَّ يُعرَض هذا التهيؤ على تلك المعلومات التي استدعتها الذاكرة من الحافظة عن طريق التذكُّر، وتبدأ عملية البحث عن القيم، بين حلال وحرام، ومكروه ومباح أو مرفوض... إلى آخر ما هنالك، وهنا يتكوَّن الاستنتاج الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمَّا بالسَّماح لهذا التهيؤ بالخروج لوضع الاستعداد،

ومن ثمّ مباشرة الفعل أو كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى تهدئة الغريزة، ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيؤ المتكوّن لفعل قد أريد.

والتهيؤ في حدّ ذاته معجزة من المعجزات الدّالة على قدرة الخالق القادر؛ فبالثّأمل في كلّ ما حولنا نرى أنّه مهيباً من قبل الواحد الأحد لاستقبالنا نحن البشر، ومهيباً كذلك ليكون مسحراً ومذلاً لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيؤ من الله تعالى، هل كان بإمكان شيء الاستقرار على سطح الأرض، أو أن يتم اكتشاف المزيد؟

وهل كان لنا نحن البشر من قهر هذه الأرض بالحفريات وشقّ الطرق بناءً وتعميراً وزراعةً وغيرها من عمليات الإعمار والتعمير؟ وما نحن بالنسبة للأرض إلّا كذرة صغيرة من ذرّاتها، وما قدرتنا وقوّتنا بالمقارنة مع قوى الطّبيعة إلّا كقوة طفل صغير مع قوّة جمل ضخم أو فيل؛ فما الذي جعل الأرض تلين لنا، وتستجيب لإرادتنا لولا تهيؤها من الله لنا؟

وهذا ما يتّضح من قوله تعالى للملائكة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ {36}.

وهذا يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق كلَّ شيء في هذا الكون مهياً لما أراد الله تعالى أن يكون عليه، أو لأداء المهمة التي أرادها الله من خلقه قبل أن يخلقه.

فلقد خلق الله تعالى الأرض وجعلها مسكناً ومستقراً للإنسان فترة معينة، وذلك بعلمه المطلق وقدرته التي لا حدَّ لها؛ فجعلها مهياً لذلك كي يعيش عليها، وهياً الإنسان نفسه لهذه الحياة؛ فالأرض مهياً لاستقبال الإنسان وسائر الكائنات الحيَّة الأخرى وفقاً للآتي:

- نظام الجاذبية الذي تسير عليه الأرض؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقر شيء على وجه الأرض، ولما استطاع الإنسان أن يسير على وجهها ويتحرَّك بكلِّ يسر وسهولة في التنقُّل.

- مهَّد الخالق لنا هذه الأرض؛ فلم يجعلها جبالا متَّصلة ببعضها البعض؛ فيعجز الإنسان عن المسير والحركة، وكذلك جعل فيها زوجين من كلِّ شيء لكي يهيئ الله تعالى الإنسان لفكرة الزَّواج

³⁶ البقرة 30.

والتكاثر، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} 37.

- هياً الخالق الأرض لتهيئة الإنسان لإعمارها والإصلاح فيها، والمحافظة على ينابيعها ونباتها وشجرها ومناخها وكائناتها المتنوعة؛ فهي مهيأة في طبيعة خلقها بكل مقومات الحياة التي أراد المهيئ المطلق أن تنشأ عليها؛ ففيها من المياه التي منها يكون كل شيء حي قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} 38، وفيها الأكسجين الذي يتنفسه كل الأحياء على وجهها، وفيها من الأملاح والمعادن ما يحيا به النبات باختلاف أنواعه التي يحيا عليها الإنسان والحيوان، وجعل فيها الجبال رواسي حتى لا تميل، وتبقى ثابتة مستقرة وجعل، لهم فيها سبلا وطرقا ممهدة ليتمكنوا من السير عليها بيسر وسهولة.

فالأرض مهيأة من الله تعالى المهيئ المطلق للحياة، ولكنها ليست معدة للزراعة؛ فيأتي بعد ذلك الإنسان المستخلف فيها والمكلف بإعمارها من أجل أن يعدّها للزراعة وفقا لحاجاته ومشبعاتها

³⁷ النبأ 6، 8.

³⁸ الأنبياء 31، 30.

في دائرة الممكن؛ فيعمل على حفر الآبار، كما يعمل على تسويتها وحرثها وتسميدها، ثم يزرع فيها ما أراد من البذور، ثم يتوافق تهيؤ الأرض للحياة مع تهيؤ البذرة أيضا للنمو والاستفادة من الأرض؛ فتخرج بذلك النباتات بأشكالها وأنواعها، وهنا؛ فالتهيؤ هو تحفُّز لإظهار ما هو متهيئ للظهور وفقا لأمر الله ووفقا لما يبذل من جهد إعماري وفلاحي وصناعي.

- هياً الشمس للقيام بالوظائف التي أرادها منها، وهي إعطاء الضوء المناسب للحياة على هذه الأرض، وكذلك الحرارة المناسبة لاستمرارها؛ فهي ليست بالحرقة ولا المجمدة لبعدها، وكذلك تقوم بقتل الكثير من الميكروبات والبكتيريا التي لا ترى بالعين، وقد تسبب الأمراض للإنسان والحيوان، وهذا في حد ذاته تهيؤ للأرض لتستقبل الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأراد أن يكون خليفة عليها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويستمد العبر والمواعظ من التاريخ من أجل حاضر فيه الحاجات المتطورة تُشبع والمستقبل يُصنع.

- كذلك تتابع الليل والنهار بانتظام هياً للإنسان نظام حياة مريحاً يستطيع من خلاله تهيئة نفسه للعمل والراحة كما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ {39، وكذلك قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} 40.

والتهيؤ من حيث الثبات المطلق والنسبي يرتبط ارتباطا كبيرا بالمهيئ نفسه؛ فعندما يكون المهيئ هو المهيئ المطلق الله عز وجل؛ فلا بد وأن يكون التهيؤ تهيؤا ثابتا لا يتغير بتغير الزمن والظروف، لأنه تعالى هو العالم المطلق والخالق المطلق الذي لا يمكن أن يغفل عن شيء ثم يصححه بعد ذلك، وهو الذي لا يمكن أن يختلف شيء عما أراده بسبب تغير الظروف والزمن المحيطين بذلك الشيء الذي هيأه الله لما أراد أن يكون عليه أو يكون منه، {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} 41.

وعندما يكون المهيئ هو المهيئ بالإضافة (الإنسان) فبكل تأكيد سيكون التهيؤ ثباته نسبي، وذلك بسبب قصور علمه وتفكيره وقدراته ومحدوديتها؛ فيكون من الممكن أن يختلف الشيء عما هيأه له المهيئ بأسباب التعلم والمعرفة.

³⁹ يونس 67.

⁴⁰ النبا 10، 11.

⁴¹ الملك 3. 1

فليس هناك إنسان يخلو من التهيؤ لأيّ فعل من حيث الوعي أو عدمه، وهذا التهيؤ لا نقول إنّه ملازم للإرادة، وإن كان يأتي قبلها من حيث الرتبة، وتكون العلاقة بين التهيؤ والإرادة متوالية إلى درجة، بحيث إنّ أيّ قرار للإرادة هو مبني على التهيؤ والإنسان كونه مريدا بالصفة النسبة؛ فهو متهيئ لما يريد، والعلاقة بين التهيؤ والإرادة هي علاقة طردية متنامية بصرف النظر عن نتائج قرار الإرادة، وذلك لتباين المؤثرات النفسية والعقلية من إنسان إلى آخر، وذلك بسبب تباين مفاهيم القيم ومفاهيم الثقافة والمعرفة الواسعة والخصوصيات التي عليها الناس اختلافا.

ولتقريب مفاهيم اختلاف التهيؤ من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، نقول: إن هذا الأمر قائم على اختلاف المؤثرات من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النفس الإنسانية من مؤثرات البيئة سواء أكانت الطبيعية أم الاجتماعية، بحيث يظهر أثر هذه المؤثرات على الجوانب النفسية والعقلية في تشكل التهيؤ لدى الأفراد في مجتمع معين، أو التباين بين مجتمعين نتيجة تلك المؤثرات.

ولتوضيح التباين بين مجتمعين في تشكّل التهيؤ نقول مثلاً: إنّ مصطلح الإرهاب غير مفهومه، فما يسوّق اصطلاحاً للإرهاب لا علاقة له في اللغة العربية والدّين الإسلامي من قريب ولا من بعيد

بالمفهوم الدلالي للإرهاب، وهنا تكمن مشكلة تستوجب التصحيح والتصويب أو على الأقل التنبيه إليها ولفت الانتباه حتى لا يؤخذ أحد بذنب أحدٍ.

في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي الإرهاب فعل مترتب على إعداد العدّة المضادّة للعدّة والمتماثلة معها في القوّة، والأخذ به واجب طاعة لأمر الله الذي لا يُقر ظلماً.

أمّا لدى أهل الغرب؛ فإنّ الإرهاب هو فعل مخيف للآمنين، والقانون يُجرّم مرتكبيه، وهو ما يرتبط بالفعل المضاد لاستقرار الأمن واحترام حرّيات الآخرين، وهذا الأمر يقوّه الدّين الإسلامي حيث لا إكراه في الدّين، {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} 42.

إذن المدى بين اللغة العربيّة والدّين الإسلامي، وبين اللغات الغربيّة مدى جعل الهوة متّسعة دلالة ومعنى، ولهذا فالمصطلح الذي يُقرّه أهل الغرب للإرهاب لا علاقة له به، وفي اعتقادنا كلا الطّرفين على حقّ، من حيث إنّ:

. لغة العرب: لا تُقر الإرهاب وفقاً للمصطلح الذي تُقرّه اللغة الغربيّة، ولهذا لم يأخذ العرب بمصطلح الإرهاب كما يراه أهل الغرب، وفي مقابل ذلك لم يأخذ أهل الغرب بمصطلح الإرهاب الذي تُقرّه

42 البقرة 256.

اللغة العربية والدين الإسلامي. ولهذا وجب الالتقاء لصوغ المصطلح الحل.

. المسلمون: دينهم حدّد لهم ماذا يعني الإرهاب دلالة ومعنى، ولهذا فهم لا يرون الإرهاب والأفعال الإرهابية هي ما يقصده ويُفسّره أهل الغرب، ولذا فهم لن يأخذوا بغير ما يرونه أمراً بالنسبة لهم مسلمين طائعين لأمر الله الذي أمرهم بإعداد العدة المرهبة للعدو، وليس المرهبة لغيره، مصداقاً لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} 43.

. أهل الغرب: هم الذين يجرّمون الأعمال الإرهابية ويلاحقون أصحابها سواء أكانوا من أهل الشرق أم من أهل الغرب ولا فرق في ذلك. ولكن ما يلاحقون بأسبابه من يلاحقون في حقيقة أمره لم يعد ذلك المقصود بمفهوم الإرهاب في اللغة العربية والدين الإسلامي، بل هو تلك الأعمال والأفعال التي تجري بهدف التخريب والتدمير وسفك الدماء المحرّم سفكها بغير حقّ، وهذه الأعمال والأفعال لا يُقرّها الدين الإسلامي ولا تعرّفها اللغة العربية بالإرهاب، بل تُعرّفها بالأعمال المفسدة في الأرض، وهذه الأعمال حرّمها الدين الإسلامي

⁴³ الأنفال 60.

ونهى عنها، مصداقا لقوله تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} 44.

ولذا فإنَّ تهيؤ المجتمع المسلم يختلف في هذا الموقف ويصطدم معه لتباين التهيؤ بين المجتمعين؛ فهو يأبى هذا النوع من الفعل لأنه مهياً من خلال الدين والعقيدة والشرع الذي يحرم قتل النفس ظلماً. فالمجتمع المسلم لديه تهيؤ عقائدي ونفسي وذهني وعضوي، بأن تتخذ الإرادة قرارها وفق هذا التهيؤ إذا ما وضع أمامها الموضوع. إذن هذا التهيؤ في المجتمع المسلم هو إحدى خصائص الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، وكلّ ما يخالف ذلك ليس من الإسلام في شيء.

وعليه أتساءل:

. ما هي مكونات التهيؤ؟

. من أين يستمد التهيؤ؟

. ما هي عناصره التهيؤ؟

إنَّ التهيؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء ماديّة وقضايا عقلية وانفعالات عاطفية ومسائل روحانيّة، وتلاقح بعض منها مع البعض الآخر يتولّد نوع معين من التهيؤ في اتجاه معين قابل للخروج إلى مرحلة الاستعداد بهدف ممارسة الفعل، ولذا لا يمكن أن يكون أحادي المصدر، إذ إنّ التهيؤ الإنساني لا يتكوّن إلّا من عنصرين على الأقلّ ممّا ذكرنا، حيث أنّ مكونات التهيؤ كما سبق ورودها هي:

- مادية وهي الأداة.

- عقلية وهي سلسلة الأفكار.

- نفسية وهي انفعالات العواطف.

- روحية وهي يقينيات الإيمان القلبية.

ولا يمكن أن تستكمل متّيمات التهيؤ للإنسان إلّا بوجود التهيؤ المادّي، ذلك لأنّه الأداة المنقّذة لقرار الإرادة.

أركان التهيؤ:

للتهيؤ أركان وهي:

أوّلا - مهيب: وهو الذي يقوم بتهيئة الأشياء للقيام بما أراد لها أن تقوم به، أو لما أراد أن يفعل هو بها؛ فالله سبحانه وتعالى هو

المهيئ المطلق لكل ما في الكون من مخلوقات من أجل ما أراد أن يكون كما أراد هو؛ فالملائكة مهيأة لأن تكون على طاعة الله وتقوم بكل ما أمرها به من توزيع أرزاق وحفظه وكتبه وحمله عرش وغيرها من الأعمال التي يريدونها عز وجل منها، والتي هي من الطبيعة التي هيئت عليها، وليست مهيأة للمعاصي وعدم الطاعة، قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ} 45.

- المهيأ: وهو من يقع عليه فعل التهيؤ من المهيئ من أجل فعل الفعل أو الغرض الذي يُراد منه.

- مهيأ له: وهو الذي حصل من أجله التهيؤ؛ فالخليفة مهيأ لأن يصلح الأرض ويعمرها بعبادة الله وطاعته واجتناب نواهيه وهكذا، وهي مهيأة كذلك لأن تستجيب لكل رغباته، وتكون مستقرًا له ومستقرّة كذلك؛ فلا تثور عليه إلا عندما يريد منها المهيئ المطلق ذلك.

- مهيأ به: وهو ما يتم به تهية الشيء لاستقبال المهيأ له أو للقيام بالشيء المهيأ له؛ ومنه على سبيل المثال:

- المهيئ المطلق الله تعالى.

- المهيأ بالإضافة (الإنسان).

⁴⁵ الانفطار 10، 11.

- والمهيأ له هو استخلاف الإنسان في الأرض.

- والمهيأ به هو ما منحه الله من عقلٍ وقدرةٍ وإرادةٍ وخلقٍ في أحسن تقويم، وهذا يعني بالضرورة أن يكون الإنسان في أحسن تهيؤٍ للمهمة التي أنيطت به، مع العلم أن الإنسان مهيأ لأن يفعل الطاعات ومهيأ أيضا لأن يفعل المعاصي؛ فكما هو مهيأ أن يحيي نفسا فهو مهيأ أيضا لأن يقتل نفسا، ولكن من يقتل النفس بغير حق لا يمكن أن يكون مهيئا لأن يكون من الخلفاء الذين عناهم الله بقوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} 46، أمّا الخليفة فهو مهيأ من الدّاخل بأن يقاوم وسوسة الشيطان وغضب النّفس فلا يقتل النّفس بغير حقّ ويعمل دائما على التّسامح دون هوان، والمغفرة دون مذلة، والصفح دون ضعف.

كما أنّ الإنسان الذي خلقه الله تعالى هو أيضا مهيأ لأن يكون خليفة في الأرض؛ فقد هيأه المهيئ المطلق للأفعال التي يريدّها منه بعدة أشياء منها:

. العقل، الذي بواسطته يستطيع الإنسان أن يصل إلى حقائق الأمور ويدركها هي كما هي، وبه يفرّق بين الصّواب والخطأ، وعن طريقه يتّخذ القرار بترك الأخطاء وما فيه ضرر له، ويغضب الله تعالى الذي استخلفه، وفعل ما هو صواب، ورضا للخالق عزّ وجلّ.

⁴⁶ البقرة 30.

. الإرادة، التي بها يفعل كل ما يريد وكل ما اتَّخذه من قرارات
عن طريق العقل سواء أكانت سلبية أم إيجابية؛ فيكون بذلك جزاؤه
عليها عادلا لا ظلم فيه؛ فهو قد استحقَّه بأفعاله التي اقترفها بمحض
إرادته.

. القدرة والقوَّة، اللتان بدونهما لا يتسنى له أن يفعل ما قرَّره
عقله وانعقدت عليه إرادته.

. الضمير، الذي هو بمثابة الرقيب على الإنسان والمحاسب له
والزادع عن كل ما من شأنه الإضرار به، وإغضاب الله عزَّ وجلَّ.

. حسن التقويم، قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ} 47، وهو المتمثل في هذه الهيئة التي عليها الإنسان من قامة
منتصبة، وكل ما جعل له خصوصية متميِّزة، ممَّا لا يحصى من النعم
والفضائل التي تعينه على أداء رسالته التي كلفها الله تعالى بها، قال
تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} 48.

⁴⁷ التين 4.

⁴⁸ الملك 22، 23.

مستويات التهيؤ:

- تهيؤ بمستوى الحدث، حيث قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} 49، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ موقن بقدره الله تعالى لعلمه أَنَّ الذي يخلق ويُميت قادر على أن يحيي الموتى، وهذه القناعة إنما هي تهيؤ للوقوف على الحدث لعلمه أَنَّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنه طلب من أجل الاطمئنان "أي أبصرتي كيفية إحيائك للموتى بأن تحيها وأنا أنظر إليها، إنما سألت ذلك ليصير علمه عيانا، وقد شرفه الله بعين اليقين، بل بحق اليقين الذي هو أعلى المقامات، والفرق أن علم اليقين هو المستفاد من الإخبار، وعين اليقين هو المعاينة لا مربة فيه" 50؛ فالتهيؤ للفعل الخارق للعادة موجود وقائم في نفسه عليه الصَّلَاة وَالسَّلَام، ولولا هذا التهيؤ لما طلب من الله تعالى مشاهدة عملية إحياء الموتى.

إذن هذا تهيؤ عن طريق اليقين المتولد عن الإخبار الذي مكنه القلب وليس العقل، والسبب في ذلك أنك لا تستطيع أن

⁴⁹ البقرة 260

⁵⁰ تفسير حقّي، ج 2، ص 92.

تجمع بين صورة الموت والحياة في وقت واحد، إذ ليس لملكات العقل أفكار عن هذه الصورة مكتسبة من الخارج، وليس له القدرة على تشكيلها في الدّاخل، أي لا في الذّهن ولا في الواقع، لذلك هذا النّوع من التّهيؤ يقيني عن طريق القلب من جهة الإدراك؛ فقد قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} 51.

وذكر الصّدور جاء تأكيدا على أنّ القلب هو الذي يدرك اليقينيّات وليس العقل؛ فقد قال عليه الصّلاة والسّلام: "ما من عبد إلّا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدّنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبده خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه؛ فأبصر بهما ما وعده بالغيب فأمن بالغيب على المغيب، وإذا أراد به غير ذلك تركه على ما فيه" 52، ثمّ قرأ: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْهًا} 53.

ومثل ذلك أيضا في التّهيؤ بمستوى الحدث قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنْ

⁵¹ الحج 46.

⁵² جامع الأحاديث، ج 19، ص 195،

⁵³ محمّد 24.

الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {54}، عندما سأل الحواريون عيسى عليه الصَّلَاة والسلام هذا السؤال ما كان منه إلا أن قال اتَّقُوا اللَّهَ، وهذا دليل التَّهَيُّو واليقين؛ فهو متَّهَيٍّ لمثل هذا الفعل، وموقن بأنَّ الله تعالى قادر ومستطيع على أن ينزل عليهم مائدة من السَّمَاء، وأكثر من المائدة؛ فجوابه لهم عليه الصَّلَاة والسلام، ولّد لديهم تَهَيُّو للحدث، بدليل أنَّهم أجابوا مباشرة بقولهم (نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا)؛ فالتَّهَيُّو الذي تولّد في نفوسهم كان تمهيدا لعذر وبيان الأمر الذي دعاهم إلى السؤال، وبهذا التَّهَيُّو أزالوا الشَّبه في قدرة الله تعالى على تنزيل المائدة، أو في صحّة نبوة عيسى عليه الصَّلَاة والسلام، حتّى لا يقدح ذلك في الإيمان والتقوى.

- تَهَيُّو أعلى من الحدث ومثال ذلك قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطِمْكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ {55؛ فالتهَيُّوْ عند نبي الله سليمان عليه
الصَّلَاة والسلام، أعلى من مستوى الحدث، لأنَّه عندما سمعها تبسّم
ضاحكا، وهذا التبسّم المباشر دون استغراب هو دليل التهيُّو المسبق
ضمن دائرة الممكن المتوقَّع، لأنَّه مهياً لمعرفة ما هو أبعد من منطق
النَّملة؛ فقد أوتي من الله ملكا ما ينبغي لأحد من بعده، وذلك لما
علّمه الله تعالى من منطق الطير وحشر له الجنود من الجنّ والإنس،
وآتاه من كلّ شيء ما لم يؤت له لأحدا من خلقه، لذلك كان التهيُّو
عنده أعلى من الحدث في سماعه ما تقوله النَّملة لبي جنسها، لأنَّه
مهياً لأكثر من هذا وأكبر منه بما آتاه الله من فضله.

وهذا النوع من التهيُّو نقف عليه لدى رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم في غزوة بدر في تثبيت المؤمنين وحثّهم على القتال
وتبشيرهم بالنّصر، حيث قال تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ
أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} 56؛ فالرّسول عليه الصَّلَاة والسلام مهياً من ربّه
لما في يقينه من قدرة الله تعالى من الإمداد من أجل النّصر، وهو عليه
الصَّلَاة والسلام يريد أن يصل بأصحابه إلى أعلى درجات التهيُّو

⁵⁵ النمل 16-19.

⁵⁶ آل عمران 124، 125.

للتّصر الذي وعده به ربّه عزّ وجلّ، ولذلك أخذ يهيّئهم لاستقبال
الملائكة الذين يكونون لهم مددا من أجل النّصر الموعود.

- تهَيَّؤْ أَدْنَىٰ مِنْ الْحَدِثِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُؤْمِنِينَ} 57.

إنّ موسى عليه الصّلاة والسّلام كان مهياً لأن يكلمه الله تعالى
بما هيّأه به، علماً أنّ الله تعالى لم يكلم بشراً إلّا وحيًا أو من وراء
حجاب، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ
حَكِيمٌ} 58؛ فلمّا كلمه من وراء حجاب اشتاق موسى لرؤية ربّه
تعالى وطلب منه ذلك.

غير أنّ التهيؤ لسماع الكلام غير التهيؤ لرؤية الحقّ عزّ وجلّ؛
فقد سبق القول من الله تعالى أنّه لا أحد من خلقه يستطيع أن يراه
في الحياة الدّنيا؛ فهو عليه الصّلاة والسّلام قد هيّأه الله بقدرات
يستطيع أن يسمع كلام الله تعالى، ولكن هذه القدرات من التهيؤ لا

⁵⁷ الأعراف 143.

⁵⁸ الشورى 51.

تقوم لرؤية الحق عز وجل؛ فلما تجلّى الحق عز وجل للجبل وليس لموسى جعله دكّا، علما أنّ التجلّي غير الظهور، وهو أقلّ درجة منه، واختيار الله تعالى للجبل، لأنّه مهياً أكثر من موسى عليه الصّلاة والسّلام، من حيث الحجم والشدّة وقوّة التحمّل. وإنّ الجبال هي الأوتاد التي تثبت الأرض، وعرض الأمانة عليها إنّما هو من قبيل هذه الصّفات التي تحملها: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} 59، علما أنّ الجبال من جنس الأرض، وذكرها جاء على التخصيص، لأنّها أشدّ من الأرض، وهي التي تثبتّها، ومع ذلك فهي لم تثبت للتجلّي فكيف تثبت للظهور؟ فموسى عليه الصّلاة والسّلام كان تهيؤه أقلّ من مستوى الحدث.

وهذه المراحل الثلاث توضح الاختلاف في مستوى التهيؤ عند الإنسان، مع وجود ثوابت تدعم التهيؤ للحق، وبما يجعل الإنسان المستخلف بمستوى الحدث نذكر منها:

أولاً: كثرة المفاصد تهيئة للخروج من المفاصد، حيث إنّ مع كثرة انتشار المفاصد يصبح الكلّ متهيئاً للإصلاح متطلّعا له؛ فيكون هناك تهيؤ لاستقبال الرّسل والمبشّرين الذين يأخذون النّاس من الضّلال إلى النّور ومن الفساد إلى الصّلاح.

59 الأحزاب 72.

ثانيا: إرسال الرُّسل مبشّرين بالجنة ومنذرين من النار لقوله عزَّ وجلَّ: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} 60؛ فبعد أن هيأ الله تعالى الجنة والنار لاستقبال كلِّ ما خلق؛ فقد هيأ المخلوقين لذلك بأن أوضح لهم الحقَّ والباطل، وترك لهم سلوك الطريق الذي يختارونه؛ فمنهم من يتَّبِع الحقَّ، ومنهم من يتَّبِع الشيطان، من يتهيأ للحقَّ يبلغه ومن يتهيأ للباطل يبلغه، وفي كلِّ الأحوال (لا حول ولا قوَّة إلا بالله).

وقد كان لنا في رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أسوة حسنة؛ فقد كان أعظم مهية للمسلمين لأن يكونوا صالحين أقوياء بعد أن هيأه الله تعالى لذلك، وذلك كما جاء في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} 61؛ فبمجرد الاقتداء بأخلاق الرُّسول الكريم عليه الصلوة والسلام يتهيأ الإنسان للصَّلاح والخير؛ فسيرة رسولنا الكريم صَلَّى الله عليه وسلَّم للباحث المتعمِّق فيها يجدها تعمل على تهية جيل صالح

⁶⁰ الأنعام 58، 60.

⁶¹ الأحزاب 21.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينشر الفضيلة على وجه الأرض؛
فيكون خليفة من الوارثين.

ثالثاً: بالعلم الذي حثَّ الله النَّاسَ عليه ليسعوا وراءه لأنَّه أصل
الوصول إلى الحقِّ والهداية؛ فالمولى عزَّ وجلَّ هو العليم المطلق، وجعل
من أبرز صفات الإنسان التي من شأنها أن تهيئه لأن يكون خليفة هو
سعيه الدؤوب وراء العلم النَّافع والمعرفة الحقِّ، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} 62؛ فمن الآية الكريمة
السَّابقة يتَّضح ما للعلم من أهميَّة، ودرجة كبيرة في تهيئة البشر للتعرف
على الخالق العظيم، والوصول إلى مرضاته، وكذلك يجب على المتَّصف
بالعلم أن يسعى بين البشر بالعلم لكي يكون مهيباً لهم، بتعليمهم
تغذية عقولهم بما يجعلهم مدركين لكلِّ ما يدور حولهم، وتبصيرهم بما
ينفع ويضرّ.

حتَّى أنَّا نجد أنَّ العلم بالشيء يرفع عن صاحبه الحجة على
عكس الجهل به لقوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيماً حَكِيماً} 63.

⁶² فاطر 28.

⁶³ النساء 17.

رابعاً: بتوضيح العلاقة الصحيحة التي لابد أن يكون عليها البشر، فمنذ بدء الخلق تهيأت النفس البشرية لأن تقبل الحق أو الباطل وهذا ما تؤكد قصّة قابيل وهابيل كما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} 64، نستطيع من الآيات الكريمة السابقة أن نستنتج قانون الحياة الذي يجعلنا مهئين للخلافة في الأرض، وذلك من قول الأول (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) وهو الخوف من المولى عز وجل والسعي وراء السلم والخير.

ففي هذه القصّة تهيئة للبشر بتعليمهم أن الفوز ليس بالقوة والعنف، وأنّ الخليفة يجب أن يكون متهيئاً للسلام ومتهيئاً له.

وعليه:

. تهيئاً لما يجب والأمل لا يفارقك.

. انزع الخوف من نفسك بالخوف ذاته؛ فالخوف يَمَكِّنُكَ من أخذ الحيلة والحذر ويَجَنِّبُكَ الوقوع فيه.

. مَيِّز بين الخوف الذي لا يكون إلا موجبا، وبين الجبن الذي لا يكون إلا سالبا.

. استشعر ما يَحَقِّقُ لك الرِّضاء وللغير، فالاستشعار به يهيئك لما يجب تجاهه.

. التهيؤ صحوة عقلية؛ فنبه النَّاسَ والفت انتباههم إليه عبرة وموعظة لعلهم يستنهضون مَّا هم فيه من قنوط ويأس إلى ما يبعث الأمل في أنفسهم، ذلك لأنَّ الله لا يغيِّر ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، { لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }⁶⁵.

. التهيؤ يقظة من الغفلة المميتة للعقل والنفس إلى ما يَحَقِّقُ النقلة ويصنع المستقبل.

. ثق؛ فإنَّ تهيأت لأملٍ وفيه النَّاسُ يتنافسون، فقد لا تفوز به إن لم تكن متهيئاً لتهيئتهم حتى تتجاوزها إلى الأمل وكأنتك في الميدان لوحدك.

⁶⁵ الرعد 11.

. الأمل يقظة يلفت الإنسان لنفسه وما يأمل؛ فالتفت لنفسك
حتى يتولد لك من التهيؤ تهيؤاً يمكنك من إضافة الجديد.
. اعمل على يقظة الناس لما يجب أن يتوجهوا إليه تهيؤاً
وصحوة.

التهيؤ للحدث الخارجي:

وهو إما أن يكون موافقا مطابقا له، وإما أن يكون مخالفا:

1 - التهيؤ المطابق، جاء في قوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي
هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا
فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا
تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ
فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 66،
لقد وافق يوسف أباه يعقوب عليهما الصلاة والسلام في تهيؤ كل
منهما للآخر، ذلك أن يعقوب لم يصدق إخوة يوسف فيما ادّعوه
من أن الدّيب قد أكله؛ فما زاد أن قال: {فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} 67. لذلك عندما فصلت العير قال:
(إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) فهو مهياً لأن يجد ابنه رغم ما قيل له،
وبالتالي فإن يوسف عليه الصلاة والسلام كان يوافق أباه في تهيؤته،

⁶⁶ يوسف 93 - 96.

⁶⁷ يوسف 18.

فقال: (ادْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) ونحن لا نقول إنَّ هذا من توارد الخواطر كما اصطلاح عليه نقاد الأدب عندما تتوافق الفكرة لدى أدبيين، وإنما هو نتيجة الأفكار المشتركة التي تتولد منها قناعات معينة، وهو ما أطلقنا عليه الاستنتاج المؤدّي إلى التهيؤ.

2 - التهيؤ المخالف في قوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} 68، إنَّ تهيؤ يوسف عليه الصّلاة والسّلام عندما دعت امرأة العزيز، كان نابعا من أفكار كان قد اخترنّها، ممّا أسداه إليه العزيز من معروف في كفالته وتربيته ورعايته، وجلّ اهتمامه كان ينصبّ في هذا النوع من التهيؤ الذي يريد أن يجازي الإحسان بالإحسان، وأمّا امرأة العزيز فإنّ الأفكار التي اخترنتها عن يوسف عليه الصّلاة والسّلام كانت قد سخرتها في قضية أخرى وحولتها في اتجاه معين، ممّا أجبج العاطفة التي استشارت الغريزة، بحيث أنّ شدّة العاطفة امتصت قدرات العقل، ممّا سمح للإرادة باتخاذ القرار في أنّها غلّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله؛ فإرادته عليه الصّلاة والسّلام اتّخذت قرارها وفق ما كان

⁶⁸ يوسف 23 . 25.

مهياً له، وإرادتها اتخذت قرارها وفق ما كانت مهياً له أيضاً، لذلك وقع التنافر بين التهيؤين لعدم تطابقهما؛ فكانت النتيجة أن قدّ قميصه من دبر.

إذن؛ فالتهيؤ يستوجب موضوعاً يتمّ التهيؤ من أجله، وهو: (المأمول) ممّا يجعل الأمل حيويةً من أجل بلوغه، ولهذا، ينبغي أن يكون الموضوع لا ضرر فيه للغير، فإن كان الضرر مترتباً على الأمل؛ فلا يعدّ الأمل املاً، بل يعدّ عملاً شائناً وفيه من المعيبات ما فيه، ولهذا يجب تجنبه، والتّهي عنه، وهذه من مسؤوليات المربين والمعلمين والوعاظ وأصحاب التخصصات المهنية بغاية مهن تؤهل إلى المفيد النافع.

تهيؤ الأشياء:

هو انعكاس شعورنا الداخلي على الواقع الخارجي لإدراك تهيؤ تلك الأشياء بما نمتلك عنها من أفكار، لأنّ إدراك تهيؤاتها خاضع لإدراك ما وراء الحسّ، ذلك أنّ حقيقة هذه الأشياء أعمق من ظواهرها التي تبدو لحواسنا. لهذا وجب على العقل أن يركّب أشتات ما يبدو له من أعماقها ليقف على تهيؤاتها، وهذا واضح تماماً في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ

بِالْأَبْصَارِ {69، إذ أنَّ الماء عندما يتحلَّل إلى عناصره الأولى من الأوكسجين والهيدروجين يكون في حالة تهيؤ، ليتحول إمَّا إلى حالة سائلة وهو الماء، أو حالة صلبة وهو البرد، أو حالة ليّنة وهي الثلج عندما يتساقط؛ فعدم رؤيتنا للأوكسجين والهيدروجين هي من إدراكات ما وراء الحسّ، ولكن لامتناهاتنا أفكارا عنها نستطيع أن نقف على تهيؤاتها التي لا تبدو لحواسنا.

وكذلك فإنَّ للحيِّ غير العاقل تهيؤ، وهذا التهيؤ يختلف عن تهيؤ العقلاء والأشياء، لأنَّ مادة التهيؤ لنوع الحيوان غير الناطق قائمة على الأعضاء والغريزة، حيث نجد التهيؤ لدى الطير بجميع أنواعه يعتمد هذين العنصرين؛ فإذا وقعت عينك على غراب ستجده يبحث في الأرض بمنقاره ورجليه، لذلك لم يهتد ابن آدم لما اهتدى إليه الغراب لأنَّه غير مهياً لمثل هذا الفعل، قال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} {70؛ فهو مهياً لدفن غراب آخر.

ولأنَّ الطير مهياً بخواص معينة؛ فقد اختاره سليمان عليه الصلّاة والسلام كي يوصل كتابه إلى ملكة سبأ لأنَّه مهياً لمثل هذه

⁶⁹ النور 43.

⁷⁰ المائدة 31.

المهمّة، حيث قال تعالى: {أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} 71؛ فالهدهد له جناحان تؤهّلانه للطيران، أمّا اختياره دون غيره من الطّير فلائّه مهياً لهذه المهمّة بالذّات، علماً أنّ هناك من الطيور ما هو أقوى منه في البنية وأشدّ سرعة، كالنّسر والصّقر والعقاب، وسبب اختياره أيضاً لأنّه هو الذي أتى بالنبأ في قوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} 72؛ فهو مهياً من هذا الجانب كونه رأى المكان والملكة وقومها وسمعهم يتحدّثون، وكذلك شكل الهدهد وجماله وكونه طائراً وديعاً؛ فهذا يعني أنّه يتمتّع بمواصفات تهيّئه لأنّ يقوم بمهمّة إيصال الرّسالة؛ فاختار سليمان عليه الصّلاة والسّلام من وجد فيه التهيؤ لأن يكون رسولا.

وكذلك بقيّة الحيوانات من الوحوش وغيرها مهياً لما خلقت له، ومصدر تهيؤّها هو الأعضاء والغريزة؛ فالسّباع والحيوانات المفترسة مهياً لأكل اللحوم، وتهيؤّها لهذا العمل معلوم لدينا بما نمتلك عنها من أفكار، لذلك قال يعقوب عليه الصّلاة والسلام كما جاء في القرآن الكريم: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} 73؛ فهو لعلمه تهيؤ الذّئب للافتراس

71 النمل 28.

72 النمل 22.

73 يوسف 13.

وأكل اللحم خشي على يوسف منه، لذلك وجدنا إخوته عندما جاؤوا أباهم عشاء ييكون، كان جوابهم له ضمن دائرة التهيؤ: {قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} 74.

ومن ناحية ثانية أنَّ السباع لديها تهيؤ للافتراس وأكل اللحم، وتهيؤها مصدره الغريزة والأعضاء، إلَّا أنَّها لا تأكل أولادها؛ فهو تهيؤ ضمن التهيؤ بآلا تأكل أولادها، مع أنَّ ذلك قاعدة استثناء، لأنَّ هناك من الحيوانات ما يأكل أولاده.

إنَّ تهيؤ الإنسان هو نتاج العاطفة التي تدفع الغريزة لإشباع الحاجة.

أمَّا الانتقال من التهيؤ إلى الاستعداد، ثمّ مباشرة الفعل فهو مرتبط بالعقل لدى الإنسان بما تكون عليه النتائج وفق الأخلاق التي يحملها، وأمَّا بالنسبة للحيوان فذلك مرتبط بالغريزة وردّة الفعل للانتقال إلى الاستعداد والتصرف.

فالتهيؤ لا يقتصر فقط على البشر بل يتعداه لجميع الكائنات والمخلوقات الأخرى؛ فمثلا الحشرات تنهيئ لاستقبال الشتاء والبرد بتخزين الطعام لعدم قدرتها على التحرك خارجا في البرد؛ فتهيئ

⁷⁴ يوسف 17.

نفسها على ذلك كالتمل مثلاً، وكذلك التحل؛ فهو يتهيأ لإنتاج
العسل وصنع الخلايا، واتخاذ الجبال بيوتا لقوله تعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ
إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ
كُلِي مِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} 75،
وكذلك العنكبوت الذي يصنع بيته من خيوط واهية ليهيئ نفسه
للصيد والكثير من الحشرات التي تتهيأ للحياة والاستمرار فيها والدفاع
عن نفسها بقدرة الله تعالى، وكذلك الأمر بالنسبة للحيوان الذي يتهيأ
للدفاع عن حياته وحياة صغاره، وكذلك الأشجار والثمار التي تتهيأ
للتلقيح ومن بعد ذلك تتهيأ للقطف سواء كان ذلك للعلاج أو الزينة
أو غيرها من الاستخدامات، والطيور كذلك التي تتهيأ لبناء أعشاشها
من القش واحدا تلو الآخر وغير ذلك من الكائنات الحيّة التي تتمثل
فيها صور التهيؤ لاستقبال الحياة وسبل العيش فيها.

والتهيؤ شعور يسبق أي ردّة فعل أو انفعال أو تصرف يصدر
عن المخلوقات بصفة عامّة وعن الإنسان بصفة خاصّة، لأنّ من شأن
التهيؤ إذا كان في الاتجاه الصّحيح أن يجعل من الإنسان قويا وحكيما
لا يضعف ولا يفاجأ في الحياة فلا يحسن التصرف في معالجة الأمور،
ولهذا كان لابدّ من التهيؤ حتى في أدقّ أمورنا وفي تفاصيل حياتنا

75 النحل 68، 69.

اليومية كأن يتهيأ الرجل حتى في دخوله بيته لتهيأ أسرته بالتالي لاستقباله، وكذلك كل شيء إذا ما أتاحت له الفرصة قادر على أن يتهيأ وفقاً لما هو متوقع وغير متوقع.

فالله سبحانه وتعالى عندما أراد بمشيئته أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، هيأه وهيأ له الأسباب التي يكون بها خليفة بحق فيما أراده الله تعالى له، وأول هذا التهيؤ في خلقه وتكوينه فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} 76؛ فقد سواه وجعل الأعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت، و صرفها على هذه الخلقة الملائمة لهذا الشكل وهيأها لما أعدت له، ثم ركبها بالصورة التي شاءها بحيث تصلح للعبادة والخلافة في الأرض من أجل إعمارها.

فالتسوية تهيؤ بحيث جعل أعضاء الإنسان سوية سليمة معدة لمنافعها، بحيث يترتب على كل عضو تهيئته للمنفعة التي خلق ذلك العضو لأجلها، كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلم للسان والإبصار للعين، والسمع للأذن واللسان للفظ والدوق، إلى غير ذلك من تهيئة بقية الأعضاء، وتعديل بعض تلك الأعضاء ببعض الآخر، بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو

⁷⁶ الانفطار 6- 8 .

الأذنين أطول من الأخرى، أو تكون إحدى العينين أوسع من الأخرى؛ فאלله سبحانه وتعالى عندما أراد الإنسان أن يكون خليفة في الأرض ركبته وعدله وسوّاه وهيّأه في أحسن تقويم؛ فمثلاً ننظر إلى جانبي جسد الإنسان هما على التساوي حتّى إنّّه لا تفاوت بين نصفيه لا في الأطراف الخارجية ولا في التركيب الداخلي، ولا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة والشرابين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها؛ فكل ما في أحد الجانبين مساوٍ لما في الجانب الآخر.

إذن الإنسان عندما خلقه الله تعالى هيّأه لما هو مكلف به، وأول هذه التكاليف هو العبادات المفروضة. وهنا أتساءل:

هل الإنسان مهياً للعبادات؟

قبل أن نقف على حقيقة التهيؤ للعبادات من قبل الإنسان، لا بدّ لنا أن نعلم هذه العبادات المفروضة، علماً أنّه لا تقبل عبادة إلّا بشهادة الحقّ التي كانت أول ما دعا به رسول الله عليه الصلّة والسلام في أول الدّعوة عندما كان يطوف على النّاس بالأسواق؛ فيقول: "يا أيّها النّاس، قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا"⁷⁷، والعبادات التي نتكلّم عنها هي العبادات المفروضة غير التطوّع والنوافل؛ فبعد شهادة الحقّ تقبل العبادات من الصّوم والصلّة والحجّ والزّكاة،

⁷⁷ المستدرک للحاکم، ج 1، ص 496.

وسيكون تركيز التهيؤ على الصلّاة لأتّها عماد الدّين من جهة، ولأنّ العبادات الأخرى قد تتوافر شروطها التي توجب إقامتها وقد لا تتوافر، أمّا شروط الصلّاة فلا نزول، ومعنى ذلك أنّ الإنسان خلق مهياً للصلّاة، ولولا أنّه مهياً لما أمره الله تعالى بذلك حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} 78. وقد يظنّ البعض أنّ ما ورد في هذه الآية الكريمة من أوامر الوضوء وكيفيته، أو الغسل والطهارة والاستنجاء، أو التيمم، يعتقد البعض أنّ هذه الأعمال هي التهيؤ للصلّاة، ولكننا نقول: إنّ هذه الأوامر، وفعل هذه الأعمال إنّما هي استعداد للصلّاة، ولكن التهيؤ شيء غير هذا يدخل في ثلاث مراحل هي:

1- تهيؤ عضوي مادّي: إنّ الإنسان في خلقه من هذه المادّة التي تتوزّع ما بين عظم ولحم ودم وأعصاب، وبصرف النّظر عن الجانب العلمي لمهمّة هذه الأجزاء؛ فنحن في موضوع التهيؤ نركز على

الجانب العملي لهذه الأعضاء؛ فالعظم هو عماد اللحم الذي يقوم عليه، واللحم هو كساء لهذا العظم، وتقوم الأعصاب والأوردة والشرابين بعملية الربط بين الأجزاء في المفاصل المهيئة للحركة، إضافة إلى دورها الآخر في التغذية والتنبيه وما إلى ذلك، وبهذه المفاصل المتحركة في اتجاهات مختلفة، وما يستطيع الإنسان القيام به من قيام وقعود، وجلوس وبروك والتفات وحركة أعضاء، جاءت وضعية الصلوة في أدائها مطابقة لما هيأته له هذه الأعضاء من الحركات في القيام والركوع والسجود والجلوس والتسليم، ولهذا لم يكن الركوع مثلاً إلى جهة اليمين أو جهة اليسار، ولا التسليم إلى الخلف، وذلك لعدم التهيؤ لهذا النوع من الفعل، وإنما جاءت الصلوة مطابقة لما هيأ له الإنسان عضوياً.

2- تهيؤ نفسي داخلي: ويكون هذا النوع من التهيؤ هو من محببات القيام بالفعل والرغبة فيه، وهو أن الصلوة فرض على المسلم أن يقوم به، إضافة إلى القناعة وأنها تعين على الصبر {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} 79؛ وهنا؛ فالخشوع صفة من صفات المتقين الذين توعد الله بأن يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وفي المقابل وأعد العاصين بالعذاب في نار جهنم، وكذلك فإن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي؛

⁷⁹ البقرة 45.

فهذه قمة مكارم الأخلاق التي تألفها النفس الإنسانية؛ فالحفّزات من الثواب لمن أقامها، والروادع والزواجر من العقاب لمن تركها؛ فهي تولّد تهَيُّؤًا نفسيًا يؤدّي إلى الاستعداد للفعل.

3- تهَيُّؤ ذهني عقلي: إنّ المصلي بطبيعة الحال هو متهيّئ ذهنيًا وعقليًا، ونقصد بذلك أنّه يعلم النداء والإقامة وكيفية الدّخول في الصّلاة، والتكبير والحمد والتسبيح وسورة الفاتحة وشيئا من القرآن، ودليل التهيؤ الذهني وعدمه أنّك عندما تصلّي في البيت مثلاً، وفيه طفل لم يبلغ مرحلة التمييز؛ فعندما تركع، يركع معك ثمّ يتركك ويتبعد عنك لأمر خطر في ذهنه من لعب أو طعام؛ فيمضي لحاجته، ثمّ يأتيك وأنت ساجد فيسجد معك، ثمّ يتركك ويمضي لشأنه وأنت ساجد، وتفسّر هذا الأمر، أنّ هذا الطفل مهياً للصلاة عضويّاً فقط، وينقصه التهيؤ النفسي والتهيؤ العقلي الذي يعبر عن المعلومة، بمعنى أنّه لا يدري ما الذي تقوله أنت في صلاتك، ولو كان يعلم ما تقوله في صلاتك لاستمرّ، أو لاستمرّ بقدر ما هو مهياً من الجانب العقلي.

أنواع التهيؤ:

التهيؤ نوعان:

1 . التهيؤ الكامن؛ وهو المبني على علم سابق بفعل لاحق، ولننظر إلى سيدنا إبراهيم وفعله بأوثان قومه، يقول المولى عز وجل: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ هَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ {80؛ فالتَهَيُّؤُ للحقِّ مكتمن في نفوسهم أظهره منطق إبراهيم عليه الصَّلَاة والسَّلَام الذي هو بدوره متَهَيِّئ لإظهار الحقِّ بمنطقه.

والتَهَيُّؤُ الكامن يرتكز على الإرادة والقوة معا، كتهَيُّؤُ سليمان عليه الصَّلَاة والسَّلَام؛ فيقول الحقُّ سبحانه مخبرا عن تهَيُّؤُ سليمان للفعل المخصوص: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْحَيِّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} {81، عليه فالتَهَيُّؤُ كان موجودا تاما عند الذي عنده علم من الكتاب، أما عند غيره فلم يكن للتَهَيُّؤُ حضور أو اكتمال يمكن أن يمكنهم من بدء الاستعداد للفعل المخصوص.

فالتَهَيُّؤُ الكامن هو صورة مكتملة في الباطن تمثل بداية مكتملة يتبعها الاستعداد ثم الفعل، مع وضوح الاختلاف في الامتداد الزماني؛ فالعفريت احتاج إلى زمن أطول من الذي عنده علم بالكتاب للقيام بالمراحل الثلاث، لنسبية الاستعداد عند العفريت، بينما استغرق الذي عنده علم من الكتاب زمنا أقلَّ بقوة الاستعداد والمقدرة.

⁸⁰ الأنبياء 51-63.

⁸¹ النمل 38-40.

والتهيو الكامن لا يظهر إلا بإرادة، يقول الحق سبحانه:
{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ } 82؛ فهؤلاء تهياؤا للحق لكنهم أبوا إظهاره واطهروا غيره؛
فالكامن عندهم غير الظاهر.

2- التهيو الظاهر؛ وهو التهيو الذي يركز على القوة الكامنة
بالإرادة حيناً ومن دونها حيناً آخر، ويتمثل في صور متعددة؛ فالبلوغ
عند الشباب أو الفتاة هو تهيو ظاهر استعدادا لفعل الزواج، والتثمر في
الشجر هو تهيو ظاهر استعدادا لفعل القطف، وهذا كله من التهيو
الفطري، أما أدوات العلم في الإنسان فإنها تدل على التهيو الظاهر
الإرادي لقبول العلم؛ فوجود الحواس إلى جانب العقل دلائل على
التهيو الظاهر في الإنسان للاستعداد لقبول العلم، يقول سبحانه
وتعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلٌّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } 83؛
أي يعني أن بذلك يحصل التهيو لقبول العلم وحفظه والاطلاع على
دقائقه وغوامض حقائقه 84.

وقد يكون التهيو الظاهر في غير المسار الحق فيظهر على غير
صورته الحقيقية؛ فالإنسان يجب عليه أن يجعل إيمانه بالله عز وجل
مطلقاً؛ وفي تصريف شؤونه مطلقاً كذلك، وهو بذلك يُظهر التهيو

82 النمل 14.

83 الإسراء 36.

84 آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن المنصور اليمني ج 1 ص 26.

لأَيِّ أمرٍ شاءه الله سبحانه وتعالى، ولكن الكثير من الناس من ينسى سلطان ربّه فيُظهر غير ما يجب وعن هؤلاء يقول المولى عزّ وجلّ: {لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} 85، أي يقع في ذهنه أنّه لا يتهيّأ له بعد هذا خير 86؛ فهذا اليئوس القنوط تهياً لانقطاع الخير عنه باليأس من رحمة الله.

لقد منّ الله على الإنسان بأن أعطاه ما يمكنه أن تتهيّأ له الأشياء في العقل قبل وجودها في الحيز؛ فمكّنا من بلوغ ما يكون قبل أن يكون، فتأمل لو أنّك أردت بناء بيت ألا تتهيّأ لك صورته في عقلك قبل أن تظهر صورته في الوجود وترسم له خريطة يمكن تنفيذها من قبل العاملين!

وعلى ذلك زد في تأمّلك واسأل نفسك كيف تفسّر النّجاح في الابتكارات والمنجزات العلمية والإنسانية؟ أليس التهيؤ من أهم أسباب هذا النّجاح، هنا نقول إن اختيار الإنسان للاستخلاف في الأرض لم يكن إلّا لكونه متهيّئاً للقيام بأمر الخلافة على أحسن وجه، وبأجمل صورة، ولا بد من القول إنّ التهيؤ خصيصة في الكينونة عند المخلوقات جميعها إرادياً أو فطرياً، لكن الإنسان مخصوص بميزة التهيؤ

⁸⁵ فصلت 49.

⁸⁶ ابن كثير، ج 7، ص 186.

التّابع من العقل ليتسنى له، ويتيسر في الوقت ذاته إعمار الأرض التي استخلفه الله عليها.

والتهيؤ حالة كاملة من حالات المخلوق، ولو لم تكن كاملة لغاب العلم به والجزاء عليه؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} 87، واختار الله لفظة علم لمناسبتها للكلية؛ فالعلم كلي والمعرفة جزئية؛ فما تُكِنُّ صدورهم متكامل في ذواتهم ومتهيئ في الكامن؛ فهو حالة واضحة الملامح مترابطة الأجزاء أعلنوها أم لم يعلنوها.

زمن التهيؤ:

ذكرنا فيما سبق أنّ التهيؤ حركة بعد سكون، وما من حركة إلّا باستغراق زمني، لذلك وجب أن نفهم زمن التهيؤ.

إنّ استغراق الأشياء في السكون ما هو إلّا مرحلة سابقة للتهيؤ، بينما الاستعداد مرحلة لاحقة له، والمسافة ما بين السكون والاستعداد هي حيّز التهيؤ، وهو فيها في ديمومة حركية مستغرقة للزمن؛ فالسكون يجعل من التهيؤ صورة دائمة، انظر إلى النّار لتجد أنّها في حالة تهيؤ دائم في حركة موحية، لكنّها لم تصل مرحلة الاستعداد، يقول عنها الحقّ سبحانه: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ

87 القصص 69.

لِلْكَافِرِينَ} 88؛ فمتى تصل درجة الاستعداد عندما يسعّرها الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} 89، كذلك الجنة فهي في حالة تهيؤ وتصل الاستعداد عندما يأمرها الله سبحانه لتستعدّ لاحتضان المؤمنين بالله وملائكته وكتبته ورسله، {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} 90.

التهيؤ بين الأنا والآخر:

لا شك أنّ تهيؤ الأنا مرتبط بالآخر، عاقلا أم غير عاقل؛ فهو حركة إلى الخارج وليس إلى الداخل ويبنى على عدّة أمور هي:

1 . الاستشراف، وهو التطلّع إلى الشيء في الزمن المستقبل، وهو عملية تقوم بها الأنا؛ فيكون على هيئة مخصوصة وفق ما عند الآخر من حال أو ميل أو اتجاه للموجب والسالب على حدّ سواء، وآية الاستشراف ما أخبر عنه الخبير جلّ وعلا في محكم كتابه عن عبد ذي القرنين فقال: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونَهُمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

⁸⁸ آل عمران 131.

⁸⁹ التكوين 12.

⁹⁰ التكوين 13.

رَدَّمَا أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُحُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا⁹¹. لقد استشرف ذو القرنين واقع الحال فتطلع إلى مانع يمنع هؤلاء المعتدين من الوصول إلى النَّاس؛ فتهيأ له السد الحديدي ثم بدأ الاستعداد بجمع الحديد، ثم فعل ما تهيأ له؛ فكان التهيؤ إبداء قبل الإظهار، وأصبح للسد هيئة قبل أن يكون. ولهذا دائما هيئة الشيء تسبقه في عقل المهيأ للتهيؤ.

2- الاستشعار، هو عبارة عن تجميع المعلومات عن الآخر دون تماس أو تداخل معه، وهي من وسائل الأنا للتهيؤ للآخر، ويمكن لنا أن نتمثل بقصة سيدنا عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام التي أخبر عنها مولانا الحق سبحانه فقال: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ

⁹¹ الكهف 93-97.

وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ {92، والإحساس هو امتداد من أجل المعرفة،
وهنا استشعر عيسى عليه الصَّلَاة والسلام كفرهم بأن جمع المعلومات
عن بعد؛ فكان أن تهيأ لهذا الكفر بدعوة أنصاره إلى طريق الحق؛
فكان الحواريون أصحابه.

وقال الله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا
بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا
وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ {93، وقد تأتّى
لهم من خلال الاستشعار بآيات العذاب؛ فكانوا على هيئة مخصوصة
وصفها الله سبحانه بالركض دلالة على الهرب بعد الاستشعار.

3- الإيقان، الإيقان بالشيء هو العلم بحقيقته بعد النظر
والاستدلال⁹⁴، والتهيؤ الحاصل بعد الإيقان هو من موجبات الإيمان
ومن دلائله، وما من مثال أؤكد في تفسير ذلك من قصة سيدنا
إبراهيم عليه الصَّلَاة والسلام الذي أراد له الله أن يكون من الموقنين؛
فقال مخبراً عنه، {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى

⁹² آل عمران 49-52.

⁹³ الأنبياء 11-13.

⁹⁴ التعريفات، الشريف الجرجاني، ج 1، ص 12.

الشَّمْسُ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {95؛ فقد أَمِنَ إبراهيم عليه الصَّلَاة
والسَّلَام النظر في الأشياء، ثمَّ استدلَّ بها على الحقِّ؛ فأيقن، وحصل
التهيؤ للإيمان والتسليم لله ربَّ العالمين.

كذلك قصَّة سيدنا موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام مع العبد
الصَّالح، فقد أمر الله موسى بالبحث عن العبد الصَّالح للتعلُّم منه،
ولأنَّ العبد صَّالح؛ فقد تهيَّأ موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام للعمل
الصَّالح، {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ
لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ
رُشْدًا {96، أمَّا العبد الصَّالح فقد تهيَّأ لاستيعاب استغراب موسى
وتعجُّبه؛ فقال له كما يخبرنا العليم سبحانه وتعالى: {قَالَ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا {97، وتهيؤ
العبد الصَّالح كان أقرب إلى صورته الحقيقة وذلك عندما أظهر موسى
عليه الصَّلَاة والسَّلَام الاستغراب والتعجُّب بالفعل، قال تعالى:
{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا

⁹⁵ الأنعام 75-79.

⁹⁶ الكهف 65-66.

⁹⁷ الكهف 67-68.

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا {98، أَمَا تَهَيَّؤْ مُوسَى؛ فكان متغيِّراً لأنَّه في مرحلة طلب العلم، بينما العبد الصَّالح أتمَّ هذه المرحلة، وتَهيَّأَ لمرحلة أخرى هي تعليم موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

4- التوسُّم، هو التفرُّس بالأشياء، وذلك بالاستدلال بالظَّاهر على الباطن {99، وهو ما أشار العليم الخبير إليه في آياته مُذكِّراً عباده فقال: {فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {100، التوسُّم من الطرق التي تُوَدِّي إلى التهيُّؤ الحقَّ وللحقِّ، وهو طريق لمعرفة الآخر والتهيُّؤ له.

ومن الظَّاهر الدَّال على الباطن العلامة، وهي سمة مميِّزة في الأشياء تدلُّ على بواطنها، يقول الحقُّ سبحانه: {سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} {101، هنا السمات هي ما يظهر في وجه المؤمن المصلي من هيبة ووقار، وهنا قال: (سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ) ولم يقل (على وجوههم) كما يعتقد البعض ويشوه جبهته ليقال عنه مُصلٍّ.

⁹⁸ الكهف 71.

⁹⁹ الفراسة عند العرب، يوسف مراد، ترجمة مراد وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

1982، ص 94.

¹⁰⁰ الحجر 73-75.

¹⁰¹ الفتح 29.

أسباب التهيؤ:

يرتبط التهيؤ ارتباطاً شرطياً بالمتغير؛ فهو حالة من حالاته، أما الباقي سبحانه فأمره كن فيكون، وإنما هو الذي وهب الأشياء خصيصة التهيؤ ومكنها منه بما جعل فيها من أسباب التهيؤ وهي:

1- المشيئة، مشيئة الله موجودة في كل مخلوقاته؛ "فمعلوم أنه ليس في المخلوقات شيء هو وحده علّة تامّة، وسبب تامّ للحوادث، بمعنى أنّ وجوده مستلزم لوجود الحوادث، بل ليس هذا إلاّ مشيئة الله تعالى خاصّة؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"102؛ فمشيئته هي التي جعلت الإنسان مهياً لإعمار الأرض، ومشيئة الله هي التي وهبت الجبل التهيؤ ليكون من رواسي الأرض، {قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا}103.

وبالمشيئة كان الجمل مهياً ليسيّر في الصحراء سالكا لمسالكها ومجالدا قساوة أنوائها، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}104.

¹⁰² جامع الرسائل، ابن تيمية ج1، ص 370.

¹⁰³ فصلت 9 - 10.

¹⁰⁴ الغاشية 17.

2- العقل، وهو ما امتاز به الإنسان؛ فقد أكرمه الله به، وهو عند الإنسان من أهم لوازم التهيؤ، لأنه بمثابة الرحم الذي يحتضن المهيئاً لحين اكتماله كلاً كاملاً قبل الظهور.

3- الغريزة، وهي عامل مشترك بين المخلوقات الحية؛ فقد جعلها الله في هذه المخلوقات لتمتلك القدرة على التهيؤ لما هو مقدّر لها في الحياة الدّنيا؛ فالإنسان مهياً للتّزواج بفعل الغريزة، والحيوانات مهياً للأكل والتكاثر بالغريزة لا بالإرادة، والنباتات مهياً للإثمار بالغريزة.

التهيؤ لمعرفة الخالق:

الإنسان كونه موجوداً، ليس له بدّ إلا أن يعلم واجده، وأسباب وجوده والغاية التي وجد من أجلها. ونحن قد أسلفنا الذكر في تهيؤ الإنسان العضوي والنّفسي والعقلي، وهذه المتهيّئات إضافة إلى ما ذكرناه من خواصّها ومهامّها؛ فهي أيضاً توصل إلى واجده، وكشف أسباب وجوده والغاية التي وجد من أجلها، فممّا لا شكّ أنّه ليس شيء في هذا الكون وجد بنفسه، أو وجد مصادفة، أو وجد لا إلى غاية، ونحن هنا لا نتكلّم في الواحد، لأنّ ذلك من نافلة القول، وأنّ الله هو الخالق البارئ المصوّر، ولكنّا نتكلّم في الموجود وأسبابه وغايته، كي نصل إلى الواحد من خلال آيات الوجود؛ فقد قال تعالى: {وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} 105، ولئن سألت من خلق السموات والأرض وهذا الكون، وسخر الشمس والقمر، وبث في الأرض أسباب الحياة، ليقولن الله، وهي مسخرة لمصالح الخلق، حيث إنَّ الشمس والقمر يجريان على الدوام، والتسخير جعل الشيء منقاداً للآخر، وسوقه إلى الغرض المختص به قهراً، وهذا لا سبيل إلى إنكاره لما تقرّر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، وكذلك قوله تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} 106؛ فلو سألت الخلق من أوجدتهم وأخرجهم إلى الوجود فسيقولون الله، لتعذر الإنكار لغاية ظهوره، لأنَّ الإنسان خُلِقَ للمعرفة وطُبع عليها وبها أكرمه الله تعالى؛ فهو متهيئ لهذا النوع من المعرفة بما أوتي من أدواتها المهيّئة لهذا الأمر؛ فالسمع والبصر والعقل والأعضاء، مضافاً إليها حاستا الذوق والشم كل ذلك هو أدوات تهيؤ لمعرفة الخالق، ونقول للذين لا يقرّون باليقينيّات، ولا بالدليل السّمعي القطعي المنقول بالتواتر، بمنطق علمي بسيط أقره العلماء، واقتنع به الجهلاء، وقد اعتمده أهل الطبيعيات وأهل النظريات هو الاستدلال بالأثر على المؤثر؛ فهم قد عرفوا الكواكب البعيدة بآثارها لا بذاتها.

وعليه:

¹⁰⁵ العنكبوت 61.

¹⁰⁶ الزخرف 87.

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلَقًا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون
إلّا إعجازًا، حيث لا إمكانية لخلق الشيء شيئًا إلّا بمشيء، وحتى إن
عُدنا لذلك التّساؤل الذي كانت عقولنا متهيئة له وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلَق؟

أقول:

بما أنّنا نقول الخالق، إذن؛ فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق
الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل
عنه؟ إنّ الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو
ليس بالخالق، ولذا فلا فواصل بين الخالق وخلقهِ؛ فالخالق ليس على
الصّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤال ليس
في محلّه، لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة،
حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل،
والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في
نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على
هيئة الصّورة، وبالتالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل
الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد على كونه
تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم
من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك؛ فههيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا

صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولن عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سبباً، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خلقت منها الأزواج سبباً، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائناً، حتى يسأل عنه كيف كان، ولذلك؛ فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها؛ فيكون. وبالتالي فأَيّ كائن لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علماً، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزءاً فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق؛ فهو على غير هيئة كونه على غير صورة، وبالتالي لا إمكانية لوضعه في أيّ

هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السؤال:
كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفية خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟
أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف، لعلّك تعرف كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلّك تعرف كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق، ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإنّ فعلت ذلك عن وعي، لا شك أنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدّد بتعدّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

أمّا التهيؤ الفطري واليقيني في هذا الجانب فأمثلته أكثر من أن تحصى، لأنّ تدبّر آيات الخلق من الأرض والسّماء، وما فيهما من عجائب، يوصل الإنسان إلى يقين الاعتقاد بما هو مهياً له من الوصول إلى حقائق الإلهيات؛ فالمسموع والمبصر، إنّما يصبح معلومة وفكرة في العقل يدخل في مجال التهيؤ استعداداً لمعرفة الأشياء ومعرفة مبدع الأشياء: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} 107، فمن متمّمات التهيؤ للإنسان في معرفة خالقه، هذه الآيات البيّنات، لقد خلق الله السّماوات وجعل فيها الشّمس والقمر والنّجوم والكواكب والمجرات، وخلق الأرض وبثّ فيها الجبال والبحار والأشجار والوحوش والطيور، واختلاف الليل والنّهار، بمعنى ذهاب الليل ومجيء النّهار في اختلاف لونهما، و في تفاوتهما بازدياد الليل بانتقاص النّهار، وانتقاص النّهار بازدياد الليل، وذلك باختلاف حال الشّمس بالنّسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة؛ فهذه آيات لأولي الأبواب؛ فيها من العبر الكثيرة لذوي العقل الخالص من شوائب الأوهام والخيالات، قد هيأها الله تعالى للدلالة عليه جلّ شأنه؛ فهذا بيان ما يجول فيه فكر المتفكرين في خلق الله تعالى، وليس فيها فكر في ذات الله تعالى، ولكن يستفاد من التفكّر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته، وكلّما استكثر العقل المهياً

¹⁰⁷ آل عمران 190.

للتفكر في معرفة عجيب صنع الله تعالى، كانت معرفته بجلاله وعظمته
أتم وأشمل.

وأما تهيو الإنسان اليقيني لمعرفة الخالق من خلال القلب والروح
فلا سبيل إلى إنكاره، والإجابة على هذا اليقين هو من باب
البدهيّات التي وضعتها الفلسفة نفسها في واجب الوجود، وأسباب
الإيجاد والغاية من الإيجاد، ونحن نقول أنّ القرآن الكريم قد أجاب
على هذه الأسئلة كلّها، فواجد الوجود هو الذي خلق الكون وأوجده
بما فيه: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} 108، وأما سبب الإيجاد
فقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً} 109، وغاية الإيجاد هي العبادة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} 110، وكذلك قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} 111. وأما الهدف
فقوله تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ} 112، وبعد ذلك فإنّ لهذا الإيجاد استقراره؛ فقد قال

108 الحشر 24.

109 البقرة 30.

110 الذاريات 56.

111 الجمعة 1.

112 إبراهيم 51.

تعالى: {وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ} 113.

لقد حاولت بعض الاتجاهات الفلسفية أن تملأ أدوات التهيؤ
بتصورات معرفية مختلفة عن الكون والغيب والوجود والإنسان: لماذا
جاء؟ وإلى أين يذهب؟ ولكنها عجزت تماما.

والسبب في ذلك أنها عمدت إلى استعمال أسلوب العلم
التجريبي على افتراض أن الإنسان مادة، وحاكمته على هذا الأساس،
وبذلك نسفت المشاعر والأحاسيس التي هي من متعلقات تهيؤ
القلب والروح في الوصول إلى ما لا يدركه العقل، لذلك فشلت لأنها
ظنت أن العقل البشري قادر على إدراك حقائق الأشياء خارج نطاق
وظيفته الخاصة ونطاقه المحدود.

لقد كان لطغيان هذا المفهوم المادي أثره البعيد في هذه
الاتجاهات الفلسفية التي حاولت أن تلغي كل ما وراء الطبيعة ولا
تعترف به، لأنها اعتمدت العلم التجريبي للوصول إلى نتائج
ميتافيزيقية؛ فاعتماد الوسائل الخاطئة في عملية البحث أدّى إلى نتائج
سلبية، غير أن العلم اليوم أصبح يعترف بأن هناك عالما آخر، وأن
أمام العلماء من الدلائل ما يؤكد ذلك؛ فكيف تنكر هذه الفلسفة
هذا العالم؟

113 الشورى 7.

إنَّها اعتمدت على العقل والحواس وهما قاصران، والعلم نفسه يعترف بأنَّ العقل البشري لا يستطيع أن يدرك شيئاً إلَّا عن طريق الحواس، ولذلك فإنَّ كلَّ ما يقع وراء الحسّ والعقل لا يمكن للعلم أن يبحث فيه أو أن يعرف عنه شيئاً. ولقد تبين أن هناك مسائل عديدة لا يستطيع العلم أن يجد لها حلاً ولا يصل إلى فهمها، واعتماد الفلسفة والعقل والحس لا يؤدّي إلى شيء، إذن فهناك علم آخر مكمل لهذه العلوم، هو ذلك العلم الذي أرسل الله به الرُّسل وجاء به الوحي، وقرّره كلُّ كتاب سماوي.

وإذا عجز العلم، وطاشت الفلسفة؛ فإنَّ في أيدينا نحن المسلمين ما يسدّ الفراغ، ولقد أعطانا الدّين الحقّ صورة كاملة لهذه الجوانب التي يعجز العقل والعلم عن الكشف عنها، حتّى لا تكون في متاهة البحث الشّاق بتغيّر أدوات البحث الذي لا يصل إلى شيء، ولقد جاءت رسالات الأنبياء لتمنح الإنسان ذلك الأفق الواسع الرّحب من الفهم، ليعرف أبعاد وجوده وكيانه وحياته ومصدره ومآله، ويعرف ما بعد الموت، وما بعد الطبيعة جميعاً حتّى تكون رؤيته للأشياء وتقديره سليماً، وحتّى تكون إرادته الخاصّة ومسؤوليّاته الفردية قائمة على أساس من الفهم والعدل.

إنَّ وراء العقل، الرُّوح والتهيئات النّفسية، ووراء البصر البصيرة والتهيئات القلبية. والعقل هاد يستمدّ ضياءه من الرُّوح وكلاهما:

العقل والبصر لا يدرك ما فوق مرتبته ولكنّه يستطيع أن يعلم؛ فإنّ رأيت حجرا يرتفع في الهواء، وهذا مخالف لقوانين الطبيعة، عندئذٍ سوف تحكم أن راميا رمى به؛ فعلمك أنّ راميا رمى به ليس من قبل البصر، بل هو من قبل التهيؤ للعقل، لأنّ العقل هو الذي يميّز ويعلم أنّ الحجر لا يذهب في العلوّ من تلقاء نفسه، وهذا يدلّ على أنّ البصر وقف عند حدّه؛ فلم يتجاوزّه، وإنّما تدخلت وسيلة أخرى للكشف عن حقائق الأشياء، وكذلك يقف العقل عند حدّه من معرفة الخالق تبارك وتعالى فلا يعدوه.

إذن هناك التهيؤ اليقيني الذي مصدره الرّوح والقلب، لمعرفة الخالق باليقين عن طريق السّمع ممّا جاءنا من الخبر المتواتر.

وعليه؛ فعدم العلم بوجود الشّيء لا يعني عدم وجوده، وعدم القدرة على الإحاطة بوجود الشّيء لا يعني انتفاؤه، خاصّة إذا كانت الأداة المستعملة في الكشف عنه (وهو العقل) أقلّ وأصغر من الموجود نفسه.

وهنا نقف على محدودية العقل ومحدودية مهمّة العلم وعجز هذا النّوع من الفلسفات عن طريق العقل في الوصول إلى كُنه الأشياء وحقائق الوجود، والله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصار، ولكنّها تعرفه

في خلقه ونظام كونه: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} 114.

أمّا النوع الآخر من الفلسفات التي تسعى إلى النتائج بأدوات من جنس النتائج المرجوة؛ فقد أثبتت تهيو الإنسان الفطري إلى معرفة الخالق عزّ وجلّ، حيث أنّ قصّة حي بن يقظان التي كتبها الفيلسوف الإسلامي ابن طفيل وهو أستاذ ابن رشد، وقد عبّر عن أفكاره وآرائه القائلة بعدم التعارض بين العقل والشريعة، أو بين الفلسفة والدين، وتهيؤ الإنسان إلى معرفة الخالق بالتهيؤ الفطري:

"نشأ بطل القصّة حيّ بن يقظان في جزيرة معزولة، وكان قد أُلقي فيها طفلاً، أو أنّه نشأ بشكل طبيعي من مادّتها وتربّاه، وبعد أن نما وترعرع، تأمّل الكون الذي حوله؛ فوصل إلى حقيقة التوحيد بالفطرة، وينتقل إلى جزيرة أخرى؛ فيلتقي بشخصين هما سلامان وأبسال. يعلم الأول منهما أهل الجزيرة الذين يتدينون تدينا سطحيا الحقائق الإلهية والوجودية عن طريق ضرب الأمثال، بينما يميل الثاني إلى التأمل والنظر العقلي وفيه نزعة صوفية.

ويدرك حيّ بعد أن يتفاهم مع أبسال أن ما توصّل إليه من إدراك لحقائق الوجود والكون بالفطرة، وما ورثه أبسال عن طريق النبوة إن هو إلّا وجهان لحقيقة واحدة؛ فالكون واحد والخالق واحد، وهو

¹¹⁴ الذاريات 20، 21.

ربّ السّموات والأرض وصانع الموجودات، قد نصل إليه عن طريق التأمل الذاتي كأفراد. لكن الجماعات بحاجة إلى طريقة أسال في ضرب الأمثال الحسّية لمعرفة ذلك، لأنّه لا قدرة للعامة على إدراك الحقيقة المجردة التي قد يصل إليها أصحاب التأمل الذاتي والنّظر العقلي. والنبؤة حقّ، ولا بدّ منها، والخلقة بحاجة إليها للوصول إلى معرفة الخالق، إلّا أنّ حيّا لا يكشف أهل الجزيرة بالحقيقة كلّها، ويعود مع أسال إلى الجزيرة الأخرى ليعبد الله عبادة روحية خالصة حتّى يأتيهما اليقين"115.

لقد حدّد ثلاثة مستويات من التهيؤ لفهم الحقائق (الإلهية والشرعية والدّين)، وهي ليست بعيدة عن جوهر ما ذهبنا إليه في مستويات التهيؤ لمعرفة الخالق لدى البشر؛ فهناك تهيؤ العامة للدّين، وتهيؤ الخاصّة، وتهيؤ خاصّة الخاصّة، وإن كان للدّين جوهر واحد لا يتغيّر. وقصّة حي بن يقظان وضعت أيدينا على تباين المستويات لهذا الفهم، بشكل روائي قصصي يطرح قضية فلسفية.

فإذا عرفنا وجب أن نتهياً لطاعة الخالق بإتباع ما أمرنا به واجتناب ما نهانا عنه، ولكن كيف نتهياً للعبادات؟

نقول:

¹¹⁵ الفلسفة الإسلامية، ص 182.

لقد ذكرنا ما ذكرناه في هذا الخصوص، ولكن لزيادة التفصيل
إليك بعضاً من صور هذا التهيؤ:

أولاً: التهيؤ للصلاة:

نتهيئاً لاستقبال يوم جديد بالتهيؤ لصلاة الفجر التي تهيئ
المسلم للاستمرار طوال اليوم في العمل على طاعة المولى عز وجل،
والصلوات الخمس من شأنها أن تجعل من المسلم متهيئاً لعمل الخير.

ثانياً: التهيؤ للصوم:

شهر رمضان هذا الشهر المبارك الذي يهل علينا في السنة مرة
على المسلمين كافة، وقد هيأه الله تعالى لأن يكون شهر المغفرة والتوبة
والإكثار من الحسنات بأن جعل فيه من المكرمات الكثير كما جاء في
قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ} 116، وبالتالي كان هذا الشهر مهيباً للمسلمين لنيل
الخيرات والحسنات، ويبدأ التهيؤ لشهر رمضان بالتهيؤ لتوديع شهر
شعبان أولاً، فنتهيئ لهذا الشهر بالتالي:

¹¹⁶ البقرة 185.

ترقب ظهور هلال شهر رمضان.

نتهياً في السحور للإمساك عن الطعام.

نتهياً في هذا الشهر بالذات لكبح الشهوات.

وهناك تهيؤ لليلة القدر.

ثالثاً: التهيؤ للزكاة

يتهيأ الإنسان للزكاة بحصره ما يملك.

رابعاً: التهيؤ للحج

إذا نوى الإنسان المسلم أداء فريضة الحج فإنه يكون قد تهيأ لهذه الفريضة بالأموال التالية:

- 1- يقوم هذا الإنسان بطلب السماح ممن أساء إليهم.
- 2- أن يقوم برد أيّ أمانة لصاحبها.
- 3- أن يتهيأ لتهيئة المرافق والحاجات المادية الأخرى التي تلزمه لأداء هذه الفريضة.

الوعي يمكن من التهيؤ:

الوعي قيمة ترشد إلى حصول المعرفة بعد غفلة عن أمرها، وهي تنبّه لما يجب ولما لا يجب؛ فيؤدّي هذا التنبّه إلى حسن

التصرّف وتوازن الشخصية، ممّا يجعل الوعي المعرفي مُمكنًا لأصحابه من
حُسن الاختيار والتصرّف ومن رسم السياسات وتطلّع آفاق المستقبل
وإحداث النُقلة. وهكذا؛ فالواعون دائماً هم متهيئون لحمل المسؤولية.

إذن الوعي يهيئ الإنسان لِمَا يجب مع انتظار لمواعيد وجوبه
بهدف أدائه على ما يجب أن يكون عليه، فالتهيؤ وعياً لا يكون إلاّ
من أجل المستقبل وعندما يأتي المستقبل يكون الفعل محققاً له
بالإرادة.

ولذا كان تهيؤ إبراهيم عليه الصّلاة والسلام لحمل المسؤولية
تهيؤ الواعين المدركين للحقائق والأشياء والكيفيات التي هي عليها
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى
وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ
عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ} 117.

ترشد هذه الآيات الكريمة ممّا ترشد إليه إلى إنّ إبراهيم صلى
الله عليه وسلّم كان موقناً بقدرة الله تعالى لعلمه أن الذي يخلق ويُحيي
قادر على أن يحيي الموتى، وهذه القناعة إنّما هي تهيؤ إبراهيم للوقوف
على الحدث لوعيه وعلمه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنه
طلب أن يُريه الله كيف يحي الموتى وذلك لأجل الاطمئنان؛ فسأل

¹¹⁷ البقرة 260.

إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى لغاية أن يصير علمه وعيا عيانا، وقد شرفه الله بعين اليقين وبحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات، وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه"118 فالتهيؤ للفعل الخارق للعادة موجود وقائم في نفس إبراهيم صلى الله عليه وسلّم، ولولا هذا التهيؤ لما طلب من الله تعالى مشاهدة عملية إحياء الموتى.

ولذلك كان إبراهيم متهيئاً للرسالة فحملها وتحمل كل المترتبات على حملها.

وعليه فالله سبحانه وتعالى قد هيأ كل شيء في هذا الكون وفق مشيئته بما أراده سبحانه وتعالى؛ فالمهيئ المطلق هو الذي يتّصف بكمال الفعل ومطلق الصفة، وعلى هذا يكون التهيؤ المطلق على نوعين:

1- تهيؤ كلي يخضع له كلّ ما في الكون بما هيأه الله تعالى، وآيات تهيئة الكون أكثر من أن تحصى؛ ففي قوله تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}119، فالناظر إلى الأرض قبل نزول الغيث رحمة يراها الإنسان هامدة ميتة، ولكن كونها مهيأة لإنبات الزرع والأشجار وديب الحياة فيها؛ فعندما تسقى الماء تنبت من كلّ زوج بهيج، وفي

118. تفسير حقي 2، ص 92

119 الحج 5

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} 120؛ فالشمس مجعولة على التهيؤ لأن تكون ضياءً، والقمر مهياً لأن يكون نورا، بدليل أنّ الذين نزلوا على القمر لم يقولوا إنّ للأرض نورا ينعكس على القمر مثلما ينعكس نور القمر على الأرض، علماً أنّ ضياء الشمس يسطع عليهما جميعاً، ذلك أنّ الأرض مهياة للحياة، وأن القمر مهياً لأن يكون نورا لهذه الحياة.

وهكذا كان التهيؤ الكلّي لجنس الإنسان في انتشار البشر من نفس واحدة الذي يكمن في تهيئة آدم صلى الله عليه وسلم وخلق زوجه معه ثم خلق البشر منهما، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} 121؛ فمع أنّ الناس كلّهم من نفس واحدة، فإنّ أشكالهم وألوانهم وألسنتهم اختلفت وفقاً لما هم متيّنون عليه، وهذا يدخل ضمن التهيؤ الكلّي للنفس الأولى التي خلقوا منها.

2- تهيؤ جزئي على مستوى أفراد الأشياء من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وكلّ واحد من هذه الموجودات لها تهيؤها المناسب

¹²⁰ يونس 5

¹²¹ النساء 1

لخلقها وطباعها وما جبلت عليه؛ فالإنسان بخلقه وطبعه وعقله مهّي لأشياء كثيرة من أجل إعمار الأرض وفلاحها وإصلاحها بالأفعال الحسان التي إن فعلها كان من الوارثين في الدارين، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} 122 فكل ذلك هو تهيؤ لما بعده، ومن عجائب التهيؤ في العين أنّها مهّية لترى في دائرة الممكن جميع الأشياء كبيرها وصغيرها، وجليلها ودقيقها، بحجمها الطبيعي وبُعدها الحقيقي، إضافة إلى ذلك فإنّ حدقة العين مهّية للتقلّص والتمدد؛ ففي حال اشتداد الضياء تتقلّص الحدقة بحيث تأخذ من الضياء ما يكفيها للرؤيا والإبصار ولا تسمح بدخول ضوء أكثر من حاجة العين؛ فهذا التناسب العكسي بين العين من جهة والضياء والظلام من جهة ثانية، إنّما يدل على تهيئة المهية عز وجل للخلق من أجل شؤونهم.

إنّ خلق الإنسان من سلالة من طين دليل تهيؤ، ذلك أنّ الأرض ينبت فيها الطيب والخبيث، ومنها السهل اللين ومنها الوعر القاسي، ومنها الشديد الصلب، ومنها الرخو الطيع، وهو تهيئة لما سيكون عليه الإنسان، منهم الغليظ الفجّ ومنهم دمث الأخلاق، والمؤمن والكافر والطائع والعاصي، والعاق والمرضي هذا بداية، ثمّ بعد ذلك جعل الله تعالى الإنسان في ذرية آدم صلى الله عليه وسلّم وهيئه

على شكل نطفة، وهيئاً لهذه النطفة قراراً تستقر فيه محفوظة من الريح والفساد وفق جوّ يلائمها ودرجة حرارة تناسبها، وفي هذه التهيئة، تهيؤ لمرحلة قادمة، ينتقل من بعده إلى علقه من دم، وتدخل في تهيؤ جديد إلى مرحلة المضغة، ثم تدخل المضغة مرحلة تهيؤ أخرى حتى يتسنى لها أن تصبح عظاماً، ثم يكسوها لحماً، وفي هذه المرحلة يكون هذا الخلق مهياً للتكوين الإنساني، وهنا يدخل مرحلة تهيؤ مادي عضوي لتقبل الحياة الجديدة المقبل عليها، من أخذ شكل الإنسان في تكوين الأطراف الخارجية والأجهزة الداخلية التي تهيئه للحياة؛ فيتكوّن الجهاز الهضمي والجهاز العصبي والجهاز التنفسي والدورة الدموية؛ فكلّ هذه الأجهزة والأدوات والأعضاء، إنّما هي في طور التهيئة، ولا يتم استعمالها إلّا عندما ينتقل من عالمه الداخلي إلى العالم الخارجي.

فالله سبحانه وتعالى عندما أراد بمشيئته أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، هيّأه وهيئاً له الأسباب التي يكون بها خليفة بحقّ فيما أراده الله تعالى له، وأول هذا التهيؤ في خلقه وتكوينه ما ترشد إليه الآية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} 123؛ فقد سواه وجعل الأعضاء سليمة سوية معدّة لمنافعها وعدلها بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت وصرفها على هذه الخلقة الملائمة لهذا

123 الانفطار 8.6

الشكل وهيئها لما أعدت له، ثم ركبها بالصورة التي شاءها بحيث تصلح للعبادة والخلافة في الأرض من أجل إعمارها.

فالتسوية تهيؤ بحيث جعل أعضاء الإنسان سوية سليمة معدة لمنافعها، ليرتب على كل عضو تهيئته للمنفعة التي خلق ذلك العضو لأجلها، كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلم للسان والإبصار للعين، والسمع للأذن واللسان للفظ والذوق، إلى غير ذلك من تهيئة بقية الأعضاء، وتعديل بعض تلك الأعضاء ببعض الآخر بحيث اعتدلت ولم تتفاوت.

التهيؤ للرفض:

الرفض هو ذلك الامتناع مع تحيد للمرفوض، وهذا الأمر لا يكون رفضا إلا بعد تهيؤ تُنسف فيه جسور التردد والخوف، والتهيؤ للرفض هناك من لا ينظر إليه إلا من الزاوية السلبية، وهناك من ينظر إليه موجبا، أما نحن فنراه قيمة تستوجب التقدير حتى تنال الاعتراف بعد حوار ينبغي أن لا تكون نتائجه تقود إلى المواجهة والصدام؛ فالرفض إن قاد إلى حوار موضوعي لا يؤدي إلا إلى التقبل الممكن من القبول بما هو مشترك وفقا لحقوق يجب أن تمارس عن إرادة، وواجبات ينبغي أن تؤدي بحرية، ومسؤوليات يجب أن يتم حملها وتحمل ما يترتب عليها من أعباء جسام.

فالتهيؤ للرفض هو تهيؤ لاتخاذ قرار مترتب على ما يمكن الإجابة عليه (نعم، أو لا)، ومن يرفض قبول الإجابة المترتبة على ذلك السؤال بشقي الإجابة المتوقعة وغير المتوقعة، يكون قد اتخذ قرارا مسبقا بالرفض، مما يجعل رفضه في غير مكانه الموضوعي، ذلك لأنّ السؤال موضوعيًا يفتح فسحة أمام الاختيار لأحد أمرين (نعم، أو لا) دون وجوب تكميم؛ فإن كان قرار التكميم حاضرا؛ فلا مجال ولا فسحة للإجابة بـ(لا)، حتى وإن كانت الشفافية والديمقراطية هما الحاضرتان؛ فلا يمكن أن يجد التكميم محلا ليحلّ فيه بين الأنا والآخر، وهما على حرّية الاختيار بين (نعم ولا).

وهنا تكون دلالة التهيؤ للرفض في مواجهة دلالة القبول؛ فالإنسان الحرّ يمتلك الفسحة المستوعبة للرفض بالتّمام كما هي مستوعبة للقبول، وإلى هذا الحدّ لا مكان للاختلافات، فالاختلافات تظهر عندما يصبح الرفض بين موجبٍ وسالبٍ، والقبول كذلك يتطابق معه على التساوي الحرّ.

ومع أنّ اللغويين قد عرّفوا الرفض بأنّه الترك¹²⁴، فإنّنا لا نتفق معهم من حيث المفهوم، ذلك لأنّ الرفض من حيث المفهوم هو عدم القبول، أمّا الترك فهو فعل لا يكون إلّا مترتبا على قبولٍ سابقٍ، أي لو لم يكن هناك قبول سابق ما كان من بعده فعل الترك متحقّقا؛

¹²⁴ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، ج 3، ص 1078.

فالترك تحلٍّ عمّا يحمله القول الصادر من وعيد أو إصرار على الفعل، أو أنّه تكفير عن الفعل الذي فُعل، أو العمل الذي ارتكب، أو السلوك الذي تمّ.

وعليه: عندما يتهيّأ الإنسان للرفض فقد تهيأ لترك ما لم يكن مرغوبا فيه، وهو المدحور تجنّبا أو تحزّزا أو حذرا وخوفا من التعرّض لِمَا لا يحمد عقباه، ولذا فالرفض لكلّ ما هو معيب هو قيمة حميدة مرضية للإنسان الذي لا يرى في الحياة إلّا قيمة ترسخ قيمة الإنسان دون أن تمسّ كرامته بسوء.

والتهيّؤ للرفض هو الذي يجعل الرفض لا يقبل المساومة في الحقّ؛ فهو الذي يأبى الطّاعة لغير الله وما أمر به جلّ جلاله، ولهذا فما دون ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يرفضه جملة وتفصيلا دون تردّد ولا جبن.

ولذا فالتهيّؤ للرفض قد يكون على الإيجابيّة، وقد يكون على السّلبيّة، فإن كان رفضا للظلم والإفساد في الأرض كان موجبا، وإن كان رفضا للحقّ كان رفضا سالبا.

ولهذا فالتهيّؤ للرفض يدل على التهيؤ للامتناع وعدم القبول، والرفض الحقّ هو الممتنع عن الإقدام على ما لا يجب، وهو الذي لا يقبل المساومة في الحقّ وإحقاقه، يتمسّك بالفضائل ويحترم القيم ويتّبع أحسنها، أمّا الرفض للحقّ فهو الرفض لما يجب أن يتّبع ويطاع،

وعلى هذه القاعدة المنطقية كان سليمان عليه الصلاة والسلام متهيأ
لرفض العرض المقدم له من ملكة سبأ؛ فرفض، {قَالَ أُمِّدُونِي بِمَالٍ
فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ
صَاغِرُونَ} 125.

إذن التهيؤ للرفض يظهر أسلوب وموقف منطقي عندما يوافق
العقل في محاكاة حقائق الأشياء؛ فلا يمكن أن يكون الرفض موقفا
لمجرد المخالفة، ولكنه في الوقت نفسه هو موقف حقٍّ مخالف للآخر
عندما يكون الآخر مخالفا لمنطق العقل.

إنّ التهيؤ للرفض بهذا المفهوم يهيئ المتهيء لاتخاذ المواقف التي
يعتقد أنّها واجبة الأداء 126.

التهيؤ للتطرف:

التطرف هو اتخاذ موقف من قضية ما والابتعاد هناك عن
المشاركة فيها، سواء أكان هذا التطرف وفقا لتهيؤ سالب أم لتهيؤ
موجب؛ فإن كان التهيؤ بغاية الإيجابية كان التطرف موجبا، وإن كان
التهيؤ بغاية السلبية يكون التطرف سلبيا. وخير مثال لأفعال التطرف

¹²⁵ النمل 36، 37.

¹²⁶ عقيل حسين عقيل، الرفض استشعار حرية، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت،

2011م، ص 9 . 11.

هو أولها وهو ما جري بين ابني آدم عليه الصّلاة والسّلام اللذين تهيأ كلّ منهما لفعل يخالف الآخر بالتمام؛ فكانت النتيجة أن قتل أحدهما الآخر تطرفاً بغير حقّ. ووصفنا هذا الفعل بالمتطرف لأنّه خرج عن قواعد الحوار الذي يؤسّس على دحض الحجّة بالحجّة في المواجهة بين الحقّ والباطل.

إنّ التهيؤ للخروج عن منطق الحوار هو بحدّ ذاته فكرة متطرفة تدفع من يعتنقها إلى الابتعاد عن الآخر وتنأى به عن ال(نحن) التي يجب أن يكون عليها مع وافر الحقّ والعدل والاتزان، ومن هنا تنشأ فكرة التخلّص من الآخر في استقصائه وإنهائه رغبة من الأنا في سيادة الفكرة التي تؤمن بها وفق رؤيتها التي تمثّل الأنا المركزية.

فالتهيؤ للفكر المتطرف كان ولا يزال سبباً في الكثير من المشاكل والقلق والفتن التي تزعزع الصّرح الاجتماعي وتهدم أركان أمنه وتنزع عنه وحدته المتماسكة، بحيث تجعله يعيش في جو من عدم الاستقرار والاضطراب المستمرّ.

ومما يجب معرفته أنّ لدى كثير من أفراد المجتمع الإنساني قناعات بأنّ إزالة ظاهرة اجتماعية ستؤدي حتماً إلى إيجاد ظاهرة أخرى قد تكون في دائرة المتوقّع أكثر تطرفاً وقد تكون أكثر تسامحاً، وكلّ حسب ما تهيأ له المتهيئون لهذا الفعل أو ذاك. غير أن عامل الزّمن الذي يظهر النتائج هو الكفيل الوحيد في إصدار الحكم والتقييم

للمظاهرة الجديدة التي تحلّ محلّ غيرها، في حين أن التغيير الذي يحصل نتيجة استخدام التطرّف سلوكا والاعتماد على وسائله قد يفضي إلى نتائج إيجابية أو سلبية، وهناك من العنف ما يكون مبرّرا لتبقى الأحوال على ما هي عليه دون تغير أو تغيير.

ومن الأمور التي تجعل التطرّف يشتدّ ويتنوّع، أن يُرفض الآخر وبغيّ، وهذا التغييب هو أعظم من مقاومته متطرّفا. وهنا يكون المعيّب أكثر تهيؤا للتطرّف من المعيّب إن لم يكن مساويه في التشدّد.

إنّ رفض مشاركة الآخر وتغييبه بأسباب التطرّف لا يلغيه من الوجود، ولكن قد يهيئه ليكون على رأس هرم التطرّف بعد أن كان على مستوى من مستوياته دون التشدّد، ولذا فمن يستهدف الآخرين بالتغييب والإقصاء سيجد نفسه أكثر الناس على إثبات وجودهم طرفا من أطراف المعادلة.

ولأنّ الأمر لا يكون إلّا كذلك فينبغي أن يؤسّس مركز يتوسّط المركزين ويقوم على شعرة تعادل كتفي الميزان دون طلب تنازلات عن حقوق واجبة الممارسة؛ ممّا يجعل المركز مؤسّسا على الموضوعية لا على التنازلات.

أمّا التنازلات إنّ أحدثت لقاء، فإنّ هذا اللقاء سيكون بعده الافتراق المملوء بالتطرّف نتيجة التنازلات بأسباب الحاجة والظروف المتغيرة في دائرة الممكن، ذلك لأنّ الأنا والآخر قد يتفقان على تقديم

التنازلات تحت إملاءات ظروف معينة، ولأسباب الضرورة وتوفر معطيات جديدة فيها تتحسن الأحوال وتصبح تلك التنازلات في مهبّ الرّيح، وذلك بأسباب التهيؤ للمواجهة التي بلغت القمة تطرفاً ومازالت قمة بعد أن تهيأت لها الظروف المناسبة لإثبات الذات بوسائل متطرفة.

ولذلك فإنّ تقديم التنازلات بلا تهيؤ يسبقها لا تصمد، وفي هذه الحالة لا يكون تقديم التنازلات إلّا لكسب الوقت والتكتيك حتى يتم اغتنام الفرصة في الوقت غير المتوقّع من الخصوم، ومن جملة ما يعنيه تقديم التنازلات بلا تهيؤ يعني: لا يمكن أن يتمّ تقبّل الغير (هو كما هو). ولأجل الحلّ، ينبغي أن تخضع الحالات للبحث والدراسة لتعرف عللها ومسبباتها ومن هناك يبدأ العلاج أوّلاً بأوّل دون تسفيه ولا تقليل شأن مع الاعتراف بأنّ الحقوق ينبغي أن تمارس والواجبات يجب أن تؤدّى والمسؤوليات ينبغي أن تُحمّل ويتمّ تحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام. ومع ذلك فإن لم يتهياً الأنا والآخر لتقبّل بعضهما طرفين على كفتي الاعتدال؛ فالحلّ قد لا يجد مكاناً ليحلّ فيه، ولهذا فلا حلّ ومن بعده المعافاة والشفاء إلّا من بعد التهيؤ الموضوعي.

ومن أجل أن لا يكون للتطرف دائرة يمتدّ فيها أفراد وجماعات ومؤسسات ودولة ورأس دولة، علينا ألا نستهن بالآخر أو نلغيه أو

نغيّبه أو نقصيه من شيء ينبغي أن يكون له أو يكون شريكا فيه.
فإن حدث ذلك فلا استغراب أن يتهيا المقصودون بذلك للتطّرف
وأن يقدموا على أفعاله عنفا وتشدّدا.

التهيؤ للخوف:

الخوف توقّع حذري يقع في النفس قبل وقوع الفعل أو
حدوثه، ولا غاية من الخوف إلّا أخذ الحيطة والحذر لتجنّب ما
يخيف، ويعدّ الخوف تهيؤا للبحث عمّا يقي من الشرور والمظالم
والحاجة، والخوف هو ما ليس بجبن، فالجبن لا يكون ساكنا إلّا في
نفس من يعرف الحقيقة تجاه ما يجب ولا يقدم عليه، والخوف لا
يكون إلّا في دائرة المتوقّع من أجل الإقدام على، أو الانتهاء عن، دون
تأخّر ولا جبن. ولهذا فالخوف يمكن من التهيؤ لما يجب، أمّا الجبن
فحيث ما يحلّ في النفس يحلّ الاستسلام فيها وقبول الخضوع
للمخيف ليفعل ما يشاء.

ولذا فالخوف استشعار للمستقبل واستطلاع لما قد يحلّ به
وقد يؤثّر تأثيرا سلبا على الفرد أو الجماعة أو المجتمع وما يمتلكون،
ومن ثمّ وجب التهيؤ لمواجهته، وحتى لا يحدث تُبذل الجهود من قبل
مستشعريه وقاية منه أو استبدالها له، أو استغناء عنه في دائرة الممكن.

ومع أنّ معظم معلومات العامة من الناس عن الخوف هي معلومات عن سالبٍ، فإنّ حقيقة أمره لا تربطه بسالبٍ؛ فالعامة على سبيل المثال يخافون من الظّلمة، ولكن هل يوجد شيء من مكّونات الظلمة يخيف؟

بالتأكيد الظّلمة لا تُخيف، ولكن ما قد يفاجئك وأنت في زمن الظّلمة قد يُلحق بك ألماً أو ضرراً، ولهذا ينبغي أن تكون عند الظلمة متهيئاً حذراً متيقّظاً، وإن لم تكن كذلك فقد تفاجأ بما هو غير متوقّع، وعندها قد تحدث الخسارة، ولكن بفضل الله علينا خلق الخوف في أنفسنا وجعله قابلاً للاستشعار العقلي ليتّخذ الإنسان حذره ممّا يُخيف ويتهيأ له.

فالخوف الذي هو من خلق الله فينا خلقاً، هو دائماً موجب، ولذا لا حُجّة للبعض الذين يرون أنّ الإنسان قد خُلِق على السّلبية في مقابل قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} 127؟

ولأنّ الخوف موجب فكلّ عاقلٍ ممّا يخاف المرض ولا يخاف الموت، ذلك لأنّ للمرض دواء؛ فكلّنا نتهيأ ونسعى إلى بلوغه والعمل من أجل الحصول عليه؛ فتجرى التطعيمات الوقائية للناس عن المرض استباقاً، خوفاً من حدوثه، أمّا الموت فلا دواء له، ولهذا لا أحد يفكر

¹²⁷ التين 4.

في علاج الموت ولا يخاف منه، فالخوف من المرض والألم والفقر والجهل والفتنة.

ولأنّ الخوف يصنع المستقبل؛ فكلّنا نتهياً له، ولهذا فنحن نسعى لتوفير الماء قبل أن يلمّ بنا العطش، ونسعى لتأمين غذائنا قبل أن تلمّ بنا أزمة الغذاء وألم الجوع، ولأنّنا نخاف من الوحدة، فنسعى جميعاً من أجل تحسين علاقاتنا الاجتماعيّة مع الآخرين أبوة وأخوة وعمومة وقرابة وجيرانا كي لا يلمّ بنا ما يخيف، وحينها نتمكّن من بلوغ السكينة.

ولأنّنا نعرف ما تتركه السرقة من ألم نسعى للتأمين على ما نمتلكه قبل أن تحدث السرقة، ولذا فمن لم يكن خائفاً فطنا سيدفع ثمن غفلته ألماً إذا لم يتهيأ لذلك.

وهكذا بأسباب الخوف من الجهل يسعى الناس لنيل التعليم، ولذلك دائماً من لا يخاف على مستقبله لا يسعى لتأمينه، ومن لم يرسم الاستراتيجيات والخطط لمستقبل أفضل، لن يجد لنفسه مكانة يتبوّؤها بين الشعوب الناهضة والمتقدمة، بل قد يجد نفسه على الرصيف جالسا على قارعة الطريق متسوّلاً، أو سجينا بين الجدران بأسباب فقدانه مشبعات الحاجة التي لم يهيئ نفسه لها خوفاً من المؤلم.

ولأنّ الخوف نعمة من نعم الله علينا فكلّ عاقل ليس له بدٌّ إلّا أن يتهيأ ويفكر في كلّ ما من شأنه أن يجنّبه ما يخيف.

ولمتسائل أن يتساءل:

الخوف من أجل ماذا؟

أقول:

من أجل السّلامة، ولذا فمن يحرص على الإقدام على ما يخيف من أجل التخلّص منه أو تجنّبه بما يحقق السّكينة والأمن، سلم، وإلّا لماذا الآباء هم يخافون على أبنائهم؟

بطبيعة الحال خوف الآباء على أبنائهم هو من باب الحرص عليهم وتحقيق السّلامة لهم. ولذلك فمن خاف وتهيأ لمواجهة المخيف سلم، ومن لم يخف ألقى نفسه في التهلكة.

وكما أنّ هناك علاقة موجبة بين الخوف والتهيؤ فكذلك هناك علاقة قويّة بينه وبين المستقبل؛ فعلى سبيل المثال: النّاس تخاف من مفاجئات الزلازل؛ فتسعى في البحث لأجل أن تتمكّن من المعرفة العلمية التي تكشف مؤشرات الزلازل قبل وقوعها تفاديا لما قد تحدثه من كوارث، ولذا فالمهندسون وخاصة المعمارىون هم دائما يبحثون عن كيفية إيجاد تصميم معمارى يسهم في تفادي الهزات الأرضية أو الحدّ ممّا تؤدّي إليه من أضرار.

ولأنّ الخوف فطري؛ فكلّ المخلوقات الحيوانية حالها كحال الإنسان تخاف فطرةً لا تعلّمًا فالخروف بدون شكّ يخاف الذئب، والذئب يخاف الكلب، والكلب يخاف صاحبه ولا يخاف أعداءه، وهكذا الدجاج يخاف الثعالب، والثعالب تخاف الصيادين، ولكن دون تدبّر؛ فكلّ سلوك حيواني يكون الحسم فيه أثناء المواجهة للأقوى، ممّا يجعل للمفاجأة مكانة في إلحاق المغالبة بين حيوان وآخر، ومع ذلك كلّ الحيوانات لديها تهيؤ فطري لطرد المخيف وتجنّبه ومن ثمّ الهروب، ولهذا فكلّ الخصوم هم في حالة تهيؤ طبيعي أو تخميني لرفض الأعداء، ولهذا الأسد متهيئ لاصطياد الطريدة والطريدة متهيئة للهروب.

والفرق بين التهيؤ للخوف على المستوى العاقل والمستوى الحيواني هو أنّ الحيوانات تنهض فطرة وغريزة أمّا الإنسان فينهض تدبّرًا مسبقًا من أجل أن يتفادى المخاطر المقدّرة تقديرًا بحسبان؛ فعلى سبيل المثال: المسلم يعلم أنّ أمامه مستقبلًا وله أن يختار إرادة (جنّة أم نارًا) ولهذا يتّقي الشرور ويتعدّد عن ارتكاب المظالم خوفًا من النار وحبًا في الجنّة.

ولأنّ الخوف يُجنّب الألم؛ فالواعون دائماً يتجنّبون لحظة الغضب بحكمة وتدبّر، بغرض إضاعة الفرصة على الغاضب وإعادته لرشده، ولذا فإنّ لم يتمّ تفادي الغضب لحظته تحدث المواجهة المؤلمة؛

فتتأزم الأمور ويتصدع البناء الأسري أو العشائري أو أيّ بناء
اجتماعي وإنساني على مستوى الأفراد والجماعات وحتى الدول.
وهكذا دائماً خوف العبد من الله يُخلّص العبد من خوف العبيد.
وعليه فمن أراد أن يقضي على الخوف فعليه بمخافة الله؛
فيتهيأ لتجنّب المظالم والمفاسد وسفك الدماء بغير حقّ.

الاستعداد

الاستعداد :Readiness

الاستعداد التفات لما يجب وأخذه على التمام حيطة وحذرا، وهو قابلية عقلية ونفسية وبدنية للأداء مع وفرة الإمكانيات اللازمة للقيام بالفعل أو العمل، وهو لا يكون إلا عن إرادة وبعد تهيؤ؛ فالاستعداد هيئة وجاهزية مع وافر التقبل والرغبة تجاه المستعد من أجله.

الاستعداد مرحلة تأتي بعد إرادة وتهيؤ، وهو تجميع للقوة الممكنة من تنفيذ الفعل مع أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلا من أجل أهداف يُراد لها أن تتحقق بما أُسست عليه من تهيؤ وإرادة. إنَّه استمداد للقوة المعنوية والمادية من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظرف الزماني والمكاني والتوقيت المناسب.

ولهذا؛ فالاستعداد يكون لأداء الفعل أو الواجب أو قبول الأمر الواقع، أو قبول تحدّيه بالمرّة، وهو المرحلة التي يتمّ فيها إعداد العُدّة وحصر الإمكانيات بعد دراسة وافية وخطة مُحكّمة لتنفيذ الفعل؛ والاستعداد لم يكن العُدّة ولا الإعداد، بل هو الجهد المبذول تخطيطا وتجهيزا من أجل توفير ما يستلزم للتنفيذ أو لخوض معركة قبل

أن تشتعل نيرانها وتشبّ؛ ممّا يجعل العُدّة والإعداد جزءاً من الاستعداد وليس متطابقين معه في الدلالة والمعنى.

فالعُدّة هي استحضار وسائل القوّة المادّية بأدواتها التي تُمكن من أداء الفعل، وهي مجموعة الوسائل التي يستعين بها الإنسان ليتوجّه إلى ما يُمكن أن يحدث في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذا فما يعدّه الإنسان لحوادث الدّهر من مال وسلاح لمواجهة ما يهدّده يجلب له نفعاً أو يدفع عنه ضرراً يسمى العُدّة.

أمّا الإعداد؛ فهو الذي يُمكن من ممارسة الفعل بنجاح ويمنح المستعدّ الكفاية، وهو تدريب عملي على استخدام ما يمتلكه المستعدّ من عُدّة تعينه على جلب نفع أو دفع ضرر.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والفعل، فلا يقدر على الفعل الناجح إلا المستعدّ بإعدادٍ جيّد.

وعلى كلٍّ فالاستعداد يستوجب اجتماع النية وتمام القصد في أداء الفعل مع تحمّل نتائجه سلبيّاً وإيجابياً، وهذا يجعل (الاستعداد) من الرّسوخ في القلب بمكان، فإذا امتلك المرء أدوات الاستعداد أقدم على فعل يُنجز عنده، وقد يكون غير متوقّع الإنجاز عند غيره؛ فالفشّل مفردة منزوعة من قلب من تهيّأ للنجاح بإرادة.

ولهذا فالاستعداد هو أخذ الحيلة والحذر واستحضار القوة العقلية والفكرية والنفسية والمادية التي تؤدي إلى الإقدام على تنفيذ الفعل دون تردد بعد اتخاذ الإرادة قرارها؛ فالأفراح والأحزان والحرب والسلام والأعياد والمناسبات، كلّها مواقف ومناسبات يتمّ الاستعداد لها باستمداد القوة المادية والمعنوية التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يسيطر على تلك المواقف، ويُسخرها وفقا لإرادته كما يشاء ويرغب أو كما يفضل ويستحسن.

أنواع الاستعداد:

. استعداد ذهني.

. استعداد بدني.

. استعداد نفسي.

1 . الاستعداد الذهني:

الانتباه لا يكون إلا بعد فطنة واستعداد وإلا سيجد الإنسان نفسه غافلا وسارحا وهو لا يدري عمّا هو غافل وفيما هو سارح الدّهن، والاستعداد الذهني هو المؤسّس للقناعات التي لا تكون إلاّ مع الإرادة أو بها، ولا يتمّ هذا الاستعداد إلاّ بالانتباه والفطنة والوعي بمعطيات الأمور في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولهذا يحتوي الاستعداد الدّهني على الإمام الفكري والثقافي وفقا للمدركات

العقلية، ممّا جعل العقل البشري يحتزن معلومات شتى من العقائد والعلوم والفنون والمهارات والبيئة والحياة العامة وكلّ ما له علاقة بحياة الإنسان وما يتعلّق بهذه الحياة، وبخاصّة أنّ الجانب الفكري هو عماد الأمور في جميع المسائل التي تصبّ في مصلحة الإنسان أفراداً وجماعات.

إنّ القضايا المكوّنة لمخزون الوعي الجمعي لمجتمع معين، إنّ تمّ تناسيها عند البعض فإنّ البعض ستظلّ عنده مرّكزة ومتمركزة في الوعي الشخصي على مستوى الأفراد في ذلك المجتمع، وهذا الوعي هو سلسلة من الأفكار، وهذه الأفكار تُسَخَّر استعداداً لما ترغب الإرادة وتفضّل القيام به من عملٍ في مواجهة حدث أو موقف أو ظاهرة أو مجموعة قضايا.

إنّ الاستعداد الذهني لا يُكتسب لحظة الحاجة إليه، وإنّما هو ذلك الموجه من قبل الملكات العقلية، ينمو ويتطوّر من التجارب والعلوم والمعارف والمشاهدات والخبرات والتاريخ الذي به تترسّخ الهوية التي بها تتوحد الأمة حتى يصبح كلّ فردٍ فيها وكأنّه أمة بكاملها.

وهذا ما يُعبّر عنه بسلسلة الأفكار التي أصبحت خاضعة للإرادة التي تخرجها إلى الاستعداد، بحيث يكون التركيز الذهني منصبّاً على استحضار الأفكار والمعلومات ذات العلاقة في المواقف أو الأحداث التي تخدم الإرادة في قضية ما.

إنّ الاستعداد لأجل حلّ أي قضية هو دائما موجود في الفكر الإنساني قبل استدعاء تلك الحلول، ولكن الذي يستدعيه ويستحضره طلب أو موقف خارجي، ولذا لا توجد قضية منطقية غير قابلة للحلّ؛ فالاستعداد لحلّ أيّ قضية أو مواجهتها أو الحصول على الأسباب المؤدية إلى نتائج إيجابية فيها، متوقّر دائما في العقل الإنساني المدرك للحقيقة هي كما هي إن أراد حلا لا ظلم فيه.

ومن هنا؛ فالاستعداد الذهني، لا يكون إلّا وعيا بما يجب حيث لا غفلة، وهو يقظة بالمطلب والحاجة مع معرفة القصد من مشبعاتها، وهو الانتباه لما يمكن أن يكون متوقّعا وما يمكن أن يكون مفاجئا. حساباته دقيقة وأهدافه واضحة ومأمولاته نصب الأعين.

2. الاستعداد النفسي:

الاستعداد النفسي لا يكون إلّا بعد طمأنينة بما بذل من جهد في سبيل توفير ما يلزم الرحلة أو المسيرة التي كان الاستعداد النفسي تجاهها حاضرا. وبالتالي يصبح الخوف منزوعا من النفس بأسباب اتخاذ إجراءات ناجحة تجنّب الوقوع في المحذور أو المخيف.

ومع أنّ الاستعداد الذهني ضرورة فإنّه لم يكن كلّ شيء في معطيات الاستعداد؛ فالاستعداد النفسي والمعنوي من أكبر الضّرورات والمعطيات قبل الإقدام على الفعل، ولهذا الهزائم في الحروب

والمواجهات تلحق أوّل من تلحق المنهزمين نفسيا ومعنويا؛ فمهما توفّرت للجيش من عتاد وعدّة لن يحققوا النصر المنتظر ما لم يكن المقاتلون على درجة عالية من الاستعداد النفسي والمعنوي الذي لا يبلغ أشدّه إلّا عن إرادة ووعي بالمسؤوليات الجسام الواجب حملها كلّما اشتدّت شدّة.

ومع أنّ الاستعداد النفسي غير الاستعداد الذهني فإنّهما يتداخلان كما تتداخل متغيرات القضية الواحدة التي تؤثر متغيراتها على بعضها البعض؛ فالإنسان العاقل هو الذي يتأثر نفسيا سلبا وإيجابا، ومن يحسن التفكير يحسن التدبّر، ومن يحسن التدبّر يدرك الحقّ ويلتزم بمعطياته، ويدرك الباطل ويخشاه ويحتنبه ويتعد عنه دون خوف ولا تردّد، بل قد يصاحبه الخوف إن لم يحتنبه ويخشاه، وعنه يتعد. ولذلك يكون الاستعداد النفسي والمعنوي رافدا مهما للاستعداد الذهني. إنّّه المحفّز من حيث اجتماع قوى النفس استعدادا لمواجهة الحدث.

إنّ هذا الاستعداد لا يمكن أن يكون له صورة في الخارج، لأنّه لا يُستمدّ من الأشياء الحسية الواقعية وإن كانت مؤثّرة فيه، وليس له صورة في الدّاخل، ولهذا فالعقل لا يستطيع أن يرسم له صورة متخيّلة، علما بأنّنا نستطيع أن نقف على هذا الشعور عندما ينعكس تأثيره على صفات المستعدّ؛ فالغضب والحذر والابتسامة والخجل والتعرق

والعزم والحزم والهمّة والخوف، إنّما هي انعكاسات قوى النفس المعنوية على الجانب العضوي استعدادا للحدث، فهذا الاستعداد إنّما هو صورة مجرّدة، فالإنسان يُدرك أثر الانفعال من تلك الصّورة على المستعدّ، وهو يدرك شعورا لا يستطيع أن يصفه أو يعرّ عنه إلّا بانعكاسات الانفعال المولّدة للاستعداد.

ولهذا فالقوى النفسية الكامنة في الإنسان تُستهض استعدادا للحدث عن طريق تداعي أفكار معيّنة في موضوع محدّد أو مشاهدة بصرية، ممّا يجعل بعض العدد تفرز عصابات مختلفة تجعل الإنسان على غير اتزان ولا توازن.

إنّ سيلان الدّموع فرحا أو حزنا وحسب الموقف ودرجة تأثيره سلبا أم إيجابا، هو نتاج تأثرات النفس الداخلية، وإن أثر ذلك تأثرا خارجيا كما حال احمرار الوجه أو اصفراره عند ما يلمّ بالإنسان خوف أو مرض وكذلك في حالة الخشية والاحتشام، وما تتركه من أثر على اللسان وما يلمّ به من تلعثم عند الحديث، وارتعاش اليدين عند الحركة والسكون وغيرها كثير؛ فكلّ هذه الظواهر بأسباب الاستثارة الداخلية والفرع لا تتحقّق عند من تهيأ واستعدّ عن إرادة وقصد وإيمان ووعي بأهمية القضية التي لها تهيأ واستعدّ بإرادة، ولذا فالمرتعة أيديهم والطّامعون والضّعفاء لا يصنعون التاريخ ولا يسهمون في صناعته، الواصلون وحدهم هم القادرون على صناعته، وأين ما يحلّون تكون لهم

الأعجاء؛ فمن يطلب الموت تُكتب له الحياة، ومن يطلب الحياة عليه
بقبول المفاجأة في الوقت غير المتوقع.

3. الاستعداد البدني:

لا شك أنّ الإنسان وحدة واحدة (ذهنا ونفسا وبدنا) وما
البحث المتجزئ إلا لتبيان المزيد المعرفي مع فرز المفاهيم وفكّ ما قد
يجعل اللبس في عقول البعض؛ ولهذا الاستعداد البدني هو جزء
متداخل مع الاستعداد الذهني والنفسي ولا يكون مكملا لهما؛
فالاستعداد البدني إعداد لياقة وتمارين تيسر الحركة والسكون.

ومهما استعدّ الإنسان معنويا (ذهنيا ونفسيا) لن يحقق التّصر
المؤزّر إلا بإضافة الاستعداد البدني وإعداد العُدّة إلى ذلك الاستعداد
المعنوي، ولذا ينبغي ألا يغفل الإنسان عن أهميّة المِران والتمرّن
والتدريب والتأهيل واكتساب الخبرة والتعلّم حتى يكتسب لياقة ومهارة
وفنا بها يتمكّن من خوض المعركة إن كُتبت عليه كرها. أو إنجاز
العمل المتميّز إن أراد دخول المنافسة الحرّة، أو القبول بالتحديّ فيما
هو مرغوب ومفضّل.

لذلك فالعقل والفكر الذي يسعى لتوافر أدوات الاستعداد
المادّية مع تقدير الإنسان قيمة عالية هو الفكر الذي يدفع النّاس إلى
الإنتاج والعمل، دون أن يتركهم يجترّون الكلمات التي لا تسمن ولا

تُغني من جوع؛ فالفكر المنتج هو الفكر المبدع الذي من خلاله يتهيأ الأفراد بإرادة إلى العمل الذي يُحدث النُّقْلة من الواقع الذي هم فيه إلى ما هو أفضل وأجود وأعظم، ولهذا جاءت الأديان السَّماوية عقيدةً وعملاً متلازمين (معنويا وماديا).

وعليه مهما كانت الأفكار النَّظرية إن لم تتجسّد في أفعال وسلوكيات وانعكست في مهارات وخبرات ومران وفنّ وحركة وصورة؛ فهي لن تُحقّق للإنسان غاياته في الحياة ولا يمكن أن تصنع له مستقبل، ولا يمكن لها أن تمكّنه من نيل المأمول.

ولذلك فالاستعداد البدني ضرورة لمن أراد أن يكون مرابطا على ظهور الخيل أو مرابطا على معدات التقنية الحديثة المتطوّرة التي تُرهب الأعداء وتواجه عُدَّتْهم إن كُتبت المواجهة. وهكذا هو حال الفرق الرّياضية في الدّول المنافسة؛ فهي إن لم تتمرّن وتتدرب بأساليب حديثة، لن تنجز ما تأمله أمام من استعد لمواجهتها تحدّيا. وهذا لا يعني أنّ الاستعداد الرّياضي مقصورا على التدريب والتمرينات، بل الاستعداد الرّياضي يجمع وحدة الإنسان (ذهنا ونفسا وبدنا) ذلك لأنّ أيّ وهن في واحدة منها يؤثر في الأخرى؛ فكلها مهمة وكلّها متساوية ولا بدّ أن يشملها الاستعداد إلى جانب معرفة أساليب المنافسين.

الاستعداد تنوع:

التنوع يوفر الاختيارات من المتعدد وفقا للقدرة والحاجة ومتطلباتها ومشبعاتها، ولذلك العدة المتنوعة هي التي تُحدث التماثل مع الظروف والحاجات والقدرات والخبرات، مما يجعل الاختيارات متوفرة حسب الطلب وهذه من محفزات المرابطين على المراقبة والمقاتلين على خوض المعارك في حالة ما كُتبت عليهم كرها.

الاستعداد كلمة جامعة لا مانعة في بوتقتها تنصهر معطيات القوة ووسائلها الممكنة من التأهب ومن بعده تنفيذ الفعل؛ ولذلك فالاستعداد جهد يُبذل بعد تهيؤ من أجل حصر وسائل القوة وتجميعها وتحشيدتها ومراجعتها وتقييمها وفقا لدائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع؛ فبالاستعداد الذهني يتم الاستقصاء والتفحص، والقراءة الوافرة يتم الوعي، والتفكير فيما يجب يُتخذ القرار، وبالتدبر لما كان يُستمد العبر ويتم التعاض، وبالتدبر في الأمر قيد الانشغال الذهني يُصنع المستقبل بعد الإقدام على الفعل المناسب لصناعته.

وبالاستعداد النفسي تتجلى النفس وتستنير بالحقائق من خلال وضوح الأهداف والأغراض والغايات، حتى يتم القبول وتطمئن النفس بما سياترّب على الموضوع من كسب أو خسارة.

أمّا الاستعداد البدني فيه يتحقق التمرن على الحركة المناسبة لأداء الفعل عند الإقدام على أدائه، كتمرن الرياضيين على ممارسة

التمارين المناسبة لكل رياضة من الرياضات المتعددة والمتنوعة وتمرن المجندين لأداء المهام القتالية أو المتطوعين لأدائها، إنه الاستعداد الذي به تُصقل الشخصية بُنية ومظهرها. وهذا النوع من الاستعداد يتشكّل مع حركات الجّسم وهيئاته ليكون الجّسم متهيّئاً ومستعداً للفعل، ومنتظراً الزّمن المناسب للتنفيذ.

وللاستعداد نماذج وصور متعدّدة ومتنوّعة نأخذ منها على سبيل المثال: استعداد المنحرفين لفعل السرقة، ولتوضيح ذلك اقتبس قصة صغيرة من كتابنا (سيادة البشر) بعنوان (سُرقت الليمونة مع أنّها لازالت في الشجرة).

قرّر مجموعة من اللصوص سرقة الليمونة من الشجرة، كلّ وفق الفرصة التي تُمكنه من النّجاة بها.

فالأول قرّر السرقة ونقّذ قراره. وقُبِضَ عليه متلبّساً في حالة سرقة وجُرّم وفق القانون.

والثاني قرّر السرقة ولكنّه لم ينقّذ قراره، وبالتالي لم يُتّهم بالسرقة. ولكن بما أنّه قرّر سرقة الليمونة وهو عاقل، ألا يُعَدُّ بالنّسبة للمدركات العقلية سارقاً؟

مضمون القصة هنا تأثّر بالزّمن وحدث المتغيرات؛ فالسارق قرّر السرقة والوقت كان منتصف النّهار تقريباً، وفي قراره أنّه سيسرق

الليمونة عندما يأتي الليل، وعندما جاء المساء علم بأنَّ السَّارق الأول قد قُبِض عليه أثناء قيامه بسرقة الليمونة المستهدفة، وبالتالي الليمونة التي يودّ سرقته قد سُرِقت، ممّا جعله لا يُنقِذ قراره. أنّه في هذه الحالة ووفق المدركات العقلية مثله مثل السَّارق الذي قُبِض عليه، مع أنّه لم يُتَّهم بالسَّرقَة لعدم قيامه بها. ولا فرق في هذه الحالة بين السَّارق الأول والثاني، إلّا أنّ الأول قد نَقِذ قراره ولم ينجُ، والثاني لم تُنَحْ له فرصة التنفيذ فنجا من القبض، وقد يعتقد البعض أنّه خالٍ من عيوب السَّرقَة. ولكن لو لم ينقِذ الأول قراره في ذلك اليوم، يجوز أن يكون الثاني هو السَّارق الذي قُبِض عليه.

أمّا الثالث فهو الذي قرّر سرقة الليمونة من شجرة الجيران، وفق خطة تتضمّن بدائل استعدادا لتنفيذ عملية السَّرقَة.

الخطوة الأولى: يقوم بسرقة الليمونة عندما يكون جيرانه خارج المنزل، وهذه تتطلب منه مراقبة الجيران عند خروجهم من المنزل.

والبديل الاستعدادي الثاني: إذا لم يخرج الجيران جميعهم من المنزل قرّر أن يكوّن علاقة مع الحارس والكلب الذي قد يعيقه أثناء تنفيذه قرار السَّرقَة.

والبديل الثالث: أن يقتل الحارس والكلب.

كلّ هذه العملية الحسابية عملية عقلية، وغير عفوية، لأنّها وفق خطة وإصرار؛ فهي الاستعداد لدخول المخاطرة، وبعقل مدبّر، وما التنفيذ إلّا خطوة من خطوات الخطة، ولهذا لم تكن المشكلة في فعل السرقة، بل المشكلة في العقل الذي قرّر السرقة ووضع لها خطة استعدادا لفعلها.

وعليه: إن أردنا علاجاً لمشكلة السرقة؛ فينبغي أن يكون المستهدف بالعلاج هو العقل، ولأنّهُ العقل؛ فينبغي مراعاة علاجه معلومة بمعلومة وحُجّة بحجّة.

والرّابع قرّر سرقة الليمونة، لكنّه تراجع نتيجة خوفه من أن يُقبض عليه لصّاً. في هذه الحالة لا يختلف عن سابقه. أنّه سارق، ولكن الخوف حال بينه وبين ارتكاب فعل السرقة.

لم تمنعه الأخلاق، ولا القيم ولا الأعراف، ولا الدين، بل شيء آخر أنتج الخوف. إنّهُ العقل المدبّر الذي يقرّر، ويخطّط، ويغيّر قراراته وخططه وفق المواقف، والظروف، والمتغيّرات.

وعليه تعدّ الليمونة في كلّ الحالات مسروقة، وتعتبر سُرقت من الجميع منذ أن اتخذ كلّ منهم قرار سرقتها، وما التنفيذ إلّا خطوة لاحقة لذلك.

ومن المهم بعد هذا كلّ الوقوف أمام تساؤلات هي:

- هل يمكن تخطّي الاستعداد في أداء الفعل؟

- وهل ينجح الفعل بدون الاستعداد؟

- وما مؤشر وجود الاستعداد؟

أقول:

لا نجاح إلاّ بتهيؤ وإرادة وإعداد، ولا فشل بالمطلق إلاّ بالقفز على مرحلة من هذه المراحل، أمّا الفشل النسبي فهو الذي يقوم بتأهب جديد وإرادة واستعداد جديدين لتكون العودة مؤسسة على درس مفيد يتمكّن من خلاله النّاس من إعادة النظر في نفس الأنا والآخر المقيّم والمشكوك فيه سواء أكان الآخر موضوعاً أم قضيةً أم كان هدفاً بشرياً أم مادّياً، ولكلّ حساباته في دائرة الموضوعية والممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالذين سرقوا الليمونة سواء عن نية أم بفعل هم في حاجة لمن يتولى حالاتهم بالإصلاح معلومة بمعلومة وحُجّة بحُجّة، إلى أن يتبيّنوا الحقّ من الباطل حتى يُرشدوا إلى اتباع ما يجب أن يُتبع، وإن لم يتمّ ذلك فالأمر سيعود على المجتمع في دائرة التّأزّعات والشدائد.

ولذا ينبغي ألا يغفل المجتمع عن أهمية الإصلاح وفقاً لقاعدتي:

. (المعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة وإن كان أصحابها

متطرّفين).

. (الحُجَّة بالحُجَّة تجعل النَّاس في مركزٍ يتَّسع والوطن ملكٌ للجميع).

وعندما تؤسَّس العلاقات بين الأنا والآخر على هاتين القاعدتين يتمّ التفاهم ويصبح التفهُّم قيمة رائجة بالتقدير والتقبُّل والاستيعاب دون أن يرتحب أحد من أحدٍ.

لذا فالاستعداد عندما يؤسَّس على المعلومة الصَّائبة والحُجَّة الوافية يصبح النَّاس متأهِّبين لأن يقدِّموا على ما يشاؤون من أجل أن يصنعوا مستقبلا يجد الجميع فيه أنفسهم مركزا. أمّا إذا كان التخطيط للمستقبل من أجل أن يكون النَّاس تُبَّعا؛ فالانتكاسة لا محالة هي مفسدة لما تمّ التخطيط له ويصبح الزَّمن كفيلا بترويض من لم يروّض بعد وإن وُلد الزمن مخيفين ومُرهِّبين متأهِّبين لتنفيذ الفعل¹²⁸.

¹²⁸ عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 86. 99.

إعداد العُدّة

إعداد العُدّة هو ارتباط ما يبذل من جهد مع العُدّة التي لا يتم توفّرها إلّا به، فالعُدّة وسيلة عامّة، ولكن عندما تكون معدّة استعداداً؛ فهي لا تكون إلّا مصنّفة ومختبرة ومجربة تأكّداً من صلاحيتها ومدى تناسبها مع العمل المستهدف؛ فالإعداد جهد يبذل بعد تهيئة لأدائه رغبة وإرادة، وهو المهيأ للمادّة المراد إعدادها وتوفّرها وعرضها منتظمة ومصنّفة وفقاً للنوع والجنس والجودة والفاعليّة والعطاء المؤثّر إيجابياً على أرض الواقع، ولذا فالإعداد للملاءمة المناسبة للمطلب والحاجة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة وبلوغ الغايات المأمولة.

إذن فإعداد العُدّة، هو ما يُبذل من جهد فكري وعقلي وتدبّر من أجل العمل على توفير المال والعتاد والوسائل الممكنة من أداء الفعل وحصر البشر القادرين على تحمّل الأعباء وفقاً للقدرة والاستطاعة، ثمّ تدريبهم وتعليمهم وتأهيلهم لاستيعاب العُدّة المتنوّعة والمتجدّدة والمتطوّرة.

فالعُدّة هي تلك الوسائل المتطوّرة عبر الزمن، التي يُعتمد عليها مادّياً في إدارة القتال أو الحرب، وهي التي تولّد في أنفس الأعداء الرّهب، وبها ينال التقدّم وتخاض المعارك ويتحقّق النصر، وكلّما كانت

عالية التقنية وعالية الجودة كانت فعّالة في الميدان، وذات أثرٍ بالغ الأهمية في الخصم وفي الإعمار والبناء والإصلاح، ولذا فكلّما أُعدت وتمّ إظهارها استعراضاً أمام العدو أُرهِبته وحقّقت الهيبة لملكها ومستخدميها والمرابطين بها على جبهات المواجهة وحدود البلاد.

وهنا فالإعداد ليس التهيئة، بل الإعداد سلوكي فعلي مادّي، أمّا التهيؤ فليس بمادّي، الإعداد ترتيب متكامل لما يجب إظهاره أو الإقدام عليه؛ فالإعداد يحتوي على الترتيب والتنظيم والتجهيز، قال تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّبْقَاةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} 129.

ولأنّهُ إعداد؛ فهو يحتوي على التنظيم والتدريب والتمرّن على استخدامات العُدّة والتمرّس عليها بما يُمكن المقاتلين في ميادين المعارك القتاليّة من حُسن الأداء مع النيل من الخصم وإجباره على الاستسلام أو التفاوض الذي يُمكّن كلّ صاحب حقّ من حقّه وبعيد الحقوق المسلوبة لأصحابها بالقوّة.

إذن هناك تلازم علائقي بين إعداد العُدّة، وبين التمرّن والتدريب عليها، ومن يغفل عن ذلك، عندما تُكتب الحرب عليه سيفاجأ بأنّ العُدّة فاقدة للمقدرة على حسم الصّراع؛ فالصّراع والقتال لا تحسمه العُدّة وإن تطوّرت، بل يحسمه من يدير العُدّة بجدارة وتفوّق

¹²⁹ يوسف 70.

يُمْكِنُ مِنَ الْفَوْزِ وَيُحَقِّقُ النَّصْرَ وَيُرْهَبُ الْأَعْدَاءُ، وَلِذَلِكَ فَالْتَمَرَّنْ وَالْمَرَّاسِ
ضَرُورَةُ لِإِدَارَةِ الْمَعَارِكِ بِتَفَنُّنٍ وَمَهَارَاتٍ عَالِيَةٍ.

إِنَّ دَرَجَةَ الْإِسْتِعْدَادِ الْمُرْتَبِّتَةِ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالتَّهَيُّؤِ تَقْوَى بِقُوَّتِهِمَا
وَتَضَعُفُ بِضَعْفِهِمَا، فَإِنْ قَوِيَتْ حَقَّقَتْ نَصْرًا، وَإِنْ ضَعُفَتْ أَدَّتْ إِلَى
هَزِيمَةٍ عَلَى الْمُسْتَوَى الْفَرْدِيِّ أَوِ الْجَمَاعِيِّ، مَعَ أَنَّ نَتَائِجَهَا عَلَى الْمُسْتَوَى
الْفَرْدِيِّ وَالْجَمَاعِيِّ قَدْ تَرْتَبَطُ بِأَمْرِ خَاصٍّ، وَلَكِنْ عَلَى الْمُسْتَوَى الْمُجْتَمَعِيِّ
نَتَائِجُهَا تَكُونُ مِنْ أَجْلِ الْجَمِيعِ وَبِهَا تَتَحَقَّقُ الْأَمَالُ وَيُصْنَعُ الْمُسْتَقْبَلُ
الْمَشْتَرَكُ الَّذِي بِهِ تَصَانُ حُدُودُ الْوَطَنِ وَتُرْسَخُ الْهُوِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْأُمَّةِ.

وَلَوْ أَخَذْنَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ إِعْدَادَ الْعُدَّةِ إِرْهَابًا: سَنَجِدُ
اِخْتِلَافًا فِي مَفْهُومِ الْإِرْهَابِ؛ مِمَّا يَجْعَلُ إِعْدَادَ الْعُدَّةِ مِنْ أَجْلِهِ مُحَرَّمًا
وَمُجَرَّمًا مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الثَّقَافَاتِ الَّتِي لَمْ تُقَدِّمِ مَفْهُومَ الْإِرْهَابِ كَمَا جَاءَ
فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي لَا يَقَرُّ إِرْهَابًا كَمَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْغَرْبِ،
وَلِتَوْضِيحِ ذَلِكَ أَحْلَلْ تَفْسِيرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا
تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} 130.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جَاءَتْ أَمْرًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ، وَلِذَا فَإِنَّ إِعْدَادَ
الْعُدَّةِ لِمُوَاجَهَةِ مَنْ يَشْكَلُ خَطَرًا عَلَى الَّذِينَ أَمِنُوا غَايَتُهَا تَحْقِيقُ السَّلَامِ
الَّذِي بِهِ تَطْمَئِنُّ الْأَنْفُسُ، وَتَصَانُ الْبِلَادُ وَأَعْرَاضُ الْعِبَادِ؛ فَقَوْلُهُ:

130 الأنفال 60.

(وَأَعِدُّوا) هي: أمرٌ مطلق مع وجوب السرعة في الأخذ به وتنفيذه، ولذلك فإنَّ الأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكِّلون خطرا على حياة النَّاس وممتلكاتهم وعلاقاتهم وفضائلهم الخيرة وقيمهم الحميدة اجتماعيًا وإنسانيًا.

وقوله (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدَّ ما يُمكن أن يُعدَّ من عُدَّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولهذا يجب العمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل الممكنة من امتلاك القوَّة وتوفرها والتدرب عليها والمران من أجل إدارتها حتى تيسر استخدامها إذا ما كُتبت الحرب أو أُوقدت نار الاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة فإنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي إلى النهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النهاية التي تتجدَّد في كلِّ عصر إلى النهاية.

وقوله (مِنْ قُوَّةٍ) مع أنَّ (مِنْ) بعضيَّة فإنَّ ورودها هنا جاء للتنوُّع أي: تنوُّع القوَّة الواجب تنوُّعها وإعدادها لإرهاب العدو، ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدَّدة، وكذلك القوَّة غير محدَّدة (وَأَعِدُّوا هُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أيَّة قوَّة.

وعليه فإنَّ تنوُّع الصناعات الحربيَّة وتطوُّرها وتحسين جودتها والتدريب عليها ضرورة لإرهاب الذين يُخيفون العباد تهديدا ووعيدا وظلما وعدوانا بغير حقّ.

إنَّ معظم شعوب العالم الضَّعيف تمَّ احتلال أراضِيهم وتمَّ تقتيل وتهجير الملايين منهم بغير حقٍّ، ومع ذلك استشهد أكثرهم في سبيل الحرِّية وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة خوفا ورعبا من أولئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرَّدوا من إخوتهم، وهتكوا أعراضهم، وشوهوا ثقافتهم، ودنسوا معتقداتهم؛ فكيف لهم ألاَّ يعدُّوا العدَّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقْتتال والاستعمار مرَّةً ثالثة ورابعة وخامسة وإلى النِّهاية!

لذا فالعالم الإسلامي هو أكثر من دفع الثَّمن ولا زال معرَّض لأن يدفع الثَّمن أضعافا مضاعفة ولا يمكن أن يقف احتلال الأوطان واستعمار الأمم والشَّعوب ما لم تمتلك الأمم والشَّعوب أدوات القوَّة المتنوِّعة والمتطوِّرة التي بها تتمكَّن من أن تُرهب من كان سببا في تخويفها وتجويعها واحتلال بلادها.

وقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوَّة التي نزلت في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، في هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدّ ذاتها هي قوّة من مجموع القوى المتعدّدة التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).

أمّا الرّباط؛ فهو الذي به يطوّق من يريد قيده أو محاصرته، ولأنّ الخيل لوحدها لا تستطيع أداء هذه المهمة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل وهم معدّون ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرها.

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاثة مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيِّز الرّباط عن القوّة، أي أنّ الرّباط هو الذي لا يتمّ إلّا بخطة وقرار وتدبّر وكيفية مناسبة، بها يتمّ استعراض القوّة المحمولة على ظهور الفرسان الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود، وهؤلاء الفرسان هم (المعدّون والمدربون والمتأهبون للإقدام متى ما صدر أمر التقدّم إليهم).

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كلّ القوّة، بل تدلّ على القوّة المعدّة والمستعدّة للاستخدام وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينية والملاحظة العقلية والمعرفية التي بها يدرك ويُميّز ما يُرهب ممّا لا يُرهب.

إنَّ إعداد العُدَّة المستطاعة يجب ألا يفهم منه بشكل خاطيء أو منحرف دعوة إلى رفع العتب وإبعاد اللوم، كما فهم الإرهاب من البعض على أنه الاعتداء لنشر الخوف والرَّعب دون النَّظر إلى حقيقة مفهوم الإرهاب، فيسوق حجة أخرى بفهم خاطئ أيضا، كمن فهم قوله تعالى: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } على أنه دعوة للاستكانة والتواكل، فالله تعالى دعا إلى التَّوَكُّل ولم يدعُ إلى التواكل، وعلى هذا يجب أن يَسع النفس ما وسع الأنفس الأخرى في بذل أقصى طاقة في إعداد العُدَّة المستطاعة باستنفاد الجهود والطرق والوسائل والأدوات، ومن هنا يكون إعداد العُدَّة لمنع العدوان بما تحقَّقه العُدَّة والاستعداد من إرهاب، والذي يأخذ بالأسباب فقد وصل إلى الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يعدَّ العُدَّة الكاملة التي توازي الآخر بعد الأخذ بجميع الأسباب، فقد أدرك رفع التكليف بما يبذل من جهد دخل ضمن الاستطاعة التي تتكفلها النفس، وإن كانت هذه العُدَّة الإرهابية بما يرضي طموح الاستعداد، فهي من أجل دفع العدوان ومنعه، لا من أجل المبادأة والمبادرة بالعدوان.

وعليه أتساءل:

هل العُدَّة هي التي ترهب أم الإعداد؟

إنَّ العُدَّة تُعدّ من قِبَل الإنسان، وإن كانت العُدَّة والإعداد يجب أن يكونا متلازمين ليصل المجتمع إلى المرحلة الإرهابية، إلّا أنَّ

العدّة وإن توقّرت فإنّها تبقى في حيّز الموجودات المادّية، ذلك أنّ العدّة مادّية بأيّ شكل كان، فلو كان هناك أكّداس من الحديد بشكله المعروف كمادّة أوليّة، فإنّها لا تدخل الرّهبة على أحد مهما تعاظمت، كمن يمتلك أموالاً طائلة يلهو بها في صالات القمار، فمن أين تأتي الرّهبة لهذا المال!

ولذا فإنّ إعداد الحديد والمال والمياه والأرض والإنسان، هو الذي يمنحه الجانب الإرهابي، وذلك عندما تحوّل المادّة بإعدادها إلى استخداماتها بقرار عقلي نابع عن فكر، ولا نقصد الأسلحة فقط، وإن كانت جزءاً من الصّناعة والزّراعة والتّربية والخدمات التي لا تصل إلى مقاصدها الإرهابية إلّا عن طريق التعليم والتدريب والتنظيم والتأهيل، ولذا (فأعدّوا) تبدأ من التهيؤ مروراً بالإعداد والاستعداد والتأهب، وكلّ ذلك مرتبط بالإنسان الذي ليس له غنى عن العدّة المحقّقة للغاية، والممكنة من نيل المأمول أو الفوز به.

والإعداد لا يكون إلّا بما يبذل من جهود يُحقّق أهدافاً فكرية وعقلية ونفسية ومعرفية وتنظيمية تجسّد قوله تعالى: (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة).

فالأخذ بهذه المعطيات الإعدادية وتجسيدها إنسانياً، في الارتقاء بالإنسان إلى هذا المستوى، يجعله على قدر المسؤولية، وبذلك يقضي الإعداد على الوهن والضعف والتخاذل، ممّا يفضي إلى رفع

الهمم والارتقاء بالنفس، وبذلك تنزاح عن النفس المذلة والهزيمة والخنوع، وتتجاوز الأسف والندم الذي يستحكم فيها؛ فالذي كان يحيلها إلى نفوس هامة تتحوّل بالإعداد إلى قدرة قابلة على مواجهة التحديات، ولا نقصد بالمواجهة ساحة القتال أو الحرب، وإنما مواجهة الواقع بما يحمل من مفاجآت حربية وسلمية واقتصادية وسياسية واجتماعية، حيث أنّ تمكّن الإيمان بالإعداد يقينا يخلق إنسانا له القدرة على التصرف حيال الأحداث ليصل إلى درجة: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} 131 التي تعزز الثقة بالنفس؛ فتأخذ بأسباب التغيير التي تنعكس على الواقع بمعطيات إرهابية تثبت حقّ الأنا أمام الآخر، وتعترف للآخر بحقوقه.

فالإعداد على مستوى الذات الإنسانية بهذه الجوانب، يدفع إلى الصّحوة من غفلة الانكفاء على الذات والانفتاح على الآخر بما لا يمسّ الأصول والثوابت ضمن المنطلقات الإرهابية المشروعة في التأهب لمواجهة العدوان حال وقوعه بكلّ قوّة متاحة، ذلك أنّ الإعداد والعدّة لمواجهة الأخطار المحتملة يتمّ به استيعاب الواقع والمحيط الخارجي، ثمّ الصّحوة والانتباه إلى أنّ أقوى العالم الذين سيطر الظلم عليهم لا يرحمون الضّعفاء، وأنّ المراهنة على جمعيات حقوق الإنسان والهيئات الدولية مجازفة لا تُمكن من بلوغ الحلّ.

¹³¹ آل عمران 139.

إذن الإعداد دعوة أخلاقية في تحقيق الإنصاف الذي يؤمن التوازن بين الأفراد أو المجتمعات، ومن ثمّ يكون الإعداد في هذه الجوانب دافعا للصّحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقّع، ولذا فإنّ (أعدّوا) تشمل الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولما كانت العدّة من الأشياء المادّية؛ فنادرًا ما تحقّق المفاجآت، لأنّها ضمن مجال الإحصاء والعدّ، لأنّها أشياء حسّية ومدركات مادّية يمكن لأيّ أحد أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم أنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة المادّية المعدّة والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها أو منع مفاجأتها. أمّا الجانب الآخر من (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي ليشمل الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط الذي يخرج عن الحيز المادّي ويكمن بين العقل والشّعور وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنًا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصّعب إحصاؤه أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلّا بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

ولذا فالإعداد الجيد على المستوى الفكري والنّفسي هو الذي يحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شمولية لا تقتصر على السّلاح ورباط الخيل، وأخذت البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) ليس بمعنى التكليف التواكلي، وإثّما التكليف التوكلي، فسيدخل في الاستطاعة الخزين الاستراتيجي من الطعام والشّراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ليس على المواجهة فحسب، وإثّما الاستمرار على إدامة الزخم في التحكّم بدورة عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لأنّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال والمواقع البديلة والتمويه وحفر الخنادق والأنفاق، كي يصبح من السّهل تحقيق المفاجأة، وبالتالي التمكن من تحقيق الأهداف.

فهذا الإعداد هو مرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحال من الأحوال، بل يجعله في موضع حدوده التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السّلاح والعتاد الحربي توهن الخصم قبل أن ينقذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النوع من الإرهاب داعيا إلى السّلم ومانعا للقتل والتدمير، والدّعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابا للعدو في مواضع كثيرة من الذكر الحكيم؛ فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة

لاختلاف الأديان والقيم والأعراف والمعتقدات، وكذلك اختلاف البيئة والجغرافيا والموارد الطبيعية والتفاوت بين الغنى والفقر، ونقص الحاجات والسعي إلى إشباعها، كلّ ذلك يؤدّي إلى نشوء صراعات تدفع بعض المقتدرين إلى مباشرة العدوان ليستولوا على ما ليس لهم به حقّ، ولهذا يجب ألاّ يختلف اثنان على مشروعية العدّة والإعداد إرهاباً لا عدواناً، فذلك هو موضع اتفاق لجميع البشر؛ فمن حقّ كلّ شعب أن يمتلك القوّة ليدفع عن نفسه الخطر إن هو تعرّض للخطر أو التهديد، ولذلك فالدّفاع عن النفس يقتضي إعداد العدّة.

وهنا يتّضح الإرهاب بمفهومه الرّدعي، وأنّه لا علاقة له بالعدوان إلّا من خلال منع وقوعه.

أمّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدماء باسم الإسلام أو ما يُرمى به ومن ثمّ وصفه بالإرهاب؛ فهو تصرّف إمّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبئ عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه يكون نتاجاً لفكر يتسرّ بالإسلام، وإمّا بدفع من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات، ولذا وجب التمييز بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء.

وعليه فإنّ إعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها وتقديم الخدمات والنّهوض بالصّناعة، لا أن تمّد الأيدي للآخرين وإن كان استيرادا بمقابل سابق الدّفع، ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم ويتطّقّلوا على موائدهم، على الرّغم من وجود القوّة المادّية والأرض المهيأة والعقل المستقبل للفكرة التي تتبنى الإعداد وتنهض به، بحيث تُمكن الأفراد من أن يكونوا قادة بدلا من كونهم عالة، وأن يكونوا صنّاعا للحضارة وليسوا قرّاء عنها، وما دام الأمر كان ممكنا لغيرك؛ فبالضرورة لن يكون مستحيلا لك، ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة الحضارة، لحجم المشقة وبُعد المسافة وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العُدّة وغفلوا عن أهميتها.

إعداد العُدّة يُرهب المُخيفين ويقضي على الخوف:

المخيف هو الذي يمتلك مقاليد القوّة وأدواتها، والخائف هو الذي يفتقد مقاليد القوّة وأدواتها؛ فالذي يمتلك أدوات القوّة المتنوّعة والمتطوّرة ويجتهد في تطويرها إضافة وتنوّعا سيظل دائما مخيفا لمن لم يمتلكها أو من لم يواكب حركة تطوُّرها، والذي لم يسع لذلك سيظل خائفا حتى يبلغ امتلاكها ويواكب حركة تطويرها وتطوُّرها.

ولسائل أن يسأل:

كيف لإعداد العُدّة أن يُرهب المخيفين ويقضي على الخوف؟

نقول:

بما أنّ المخيف هو من سبق بإعداد العُدّة المخيفة استخداماً؛ فهو بدون شكّ هو من غرس الخوف في نفوس من لم يعدّوها ودفَعوا الثّمن غالياً بأسباب عدم تملّكها، لذا فإنّ الخائف بأسباب ضعفه عندما يمتلك مُعدّات القوّة ويستعدّ بها ويتأهب، يتحرّر من الخوف، ويصبح مرهباً لمن كان مخيفاً له، وإذا ما تحقّق ذلك، تصبح نفسه مطمئنة آمنة حيث لا مكان للخوف فيها بعد إعداد العُدّة وامتلاك القوّة الماديّة والمعنويّة، والتمرن على إدارتها متى ما وجب ذلك دون مظالم.

إذن بإعداد العُدّة المتكافئة مع الذي كان متفرداً بامتلاكها تتعادل كفتا الميزان، ويُلغى من القاموس الحربي الخوف الذي فيه غالب ومغلوب على أمره، ليحلّ محلّه الإرهاب الذي لا عدوان فيه ولا مظالم، بل هو مجرد إعداد عدّة في مقابل عدّة كانت لوحدها السائدة في الميدان.

وعليه: يصبح المخيف لا يُخيف، ويصبح الخائف غير خائفٍ، ممّا يجعل كلّاً منهما قادراً على تقديم التنازلات تجاه الآخر بلا خوف، ذلك بما للعدّة من قوّة مُرعبة تؤدّي إلى تحقيق الآتي:

. نيل الاعتراف:

بعد أن يمتلك الضّعيف مقاليد وأدوات القوّة يصبح نائلاً للاعتراف من قبل الذي لم يكن من قبل معترفاً به وبحقوقه وحرّيته وحدود وطنه ودينه.

. نيل التقدير:

بعد أن كان الضّعيف غير مقدّرٍ بأسباب ضعفه، أصبح مقدّراً بما يمتلكه من قوّة مُرهبة للذي لم يكن مقدّراً له، وأصبح يُحسب للعدّة التي تمّ إعدادها من قبله ألف حساب، فعلى سبيل المثال: بعدما امتلكت الهند السّلاح النّووي أصبحت الباكستان خائفة ومرعبة ممّا تمتلكه الجارة من أسلحة الدّمار الشّامل، وبعد أن عملت الباكستان ما استطاعت إلى أن استطاعت أن تمتلك هي الأخرى أسلحة نووية زاحت عن نفسها غمّة الخوف وتحرّرت منه، وأصبحت الهند مرهبة ممّا امتلكته الجارة اللّود من أسلحة الدّمار الشّامل، وهنا أصبح إعداد العدّة وكأنّه كلمة (قف) عندما تكون نافذة الفعل والتحقّق، قف عند حدّك وإلاّ ستكون الخسارة على الجميع متساوية على كفتي الميزان العدل، ولهذا لن تعتدي الهند على الباكستان بما هو مخيف، ولن تعتدي الباكستان على الهند بما هو مخيف، ويقف كلّ منهما عند الحدود مرهباً ممّا أعدّه الآخر من عدّة دون مخافة منه، وتصبح اللغة السائدة بينهما: (ما تمتلكه نمتلكه) و(إن فعلتها سنفعل ما هو

أعظم)، ولهذا (قف عند حدك وقدر الظرف كما أنا واقف عنده ومقدر له، وإلا).

. نيل الاعتبار:

من يتبوأ مكانة رفيعة بما يمتلكه ويعده من عُدّة (قوّة) ينال الاعتبار من قبل الآخرين حتى وإن لم يكونوا من قَبَل معتبرين له، ولذا فمن يعتبر نفسه بامتلاك مقاليد القوّة ينال الاعتبار من الآخرين، ومن لم يعتبر بذلك لا يعبأ على نيّله.

. نيل الاحترام:

إنّ الذي كان فاقدا لمقاليد وأدوات القوّة وإعداد العُدّة وكان عصامي النضال حتى أصبح قويّا، بدون شكّ سينال الاحترام.

فما وصلت إليه كوريا الشّمالية من إعداد عُدّة وفقا لإمكاناتها المتواضعة يستدعي الاحترام ويمكّن من نيل الاعتراف والتقدير حتى وإن كان الاختلاف معها سائدا في الزّمن الآن، وهكذا إيران الخائفة من الذين يمتلكون الأسلحة النوويّة هي الأخرى إن امتلكت القوّة بما تعدّ له من عُدّة ستنال الاعتراف والاحترام، وتكسر حاجز الخوف عنها وستُرهب الآخرين الذين يتوعّدونها ويهدّدون، وإن لم تمتلك؛ فلن تنال ما ناله من أمتلك القوّة وأعدّ لها عدّها، وستكون إيران معرّضة لما هو أخطر.

وعليه: إعداد العدّة عمل إصلاحي كما تُصلح الأرض بعد إعدادها للزراعة، وكما تُهيأ الأشياء إلى أشياء أعظم حتى تصبح صالحة لما يجب أن تكون عليه؛ والإعداد تجهيز مادّي بما يجب وفقا للإمكانات المتاحة والتي يجب أن تتاح وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وعليه: يترتّب على إعداد العدّة أمران:

الأمر الأول: تخلص الخائف من الخوف.

الأمر الثاني: إحساس المخيف بالإرهاب.

ويترتّب على هذين الأمرين أمور منها:

. الاعتراف بالآخر.

. المصالحة مع الآخر.

. التفاوض مع الآخر.

. أخذ الحيطة والحذر من الآخر.

. التفاهم مع الآخر.

. التسامح مع الآخر.

ولذا فإنَّ إعداد العدة والاستعداد بها والتأهب للإقدام على خوض المعركة بإرادة يجعل الذين كانوا يشكّلون خطراً على الشعوب يعيدون حساباتهم تجاه الآخرين، وبدل أن كانوا يقدموا على أفعال الحرب والاقتتال يصبحوا يقدمون على كلّ ما من شأنه أن يلغي تلك المبررات التي كانوا بها يبرّرون اعتداءاتهم ومظالمهم.

وعليه فالفرق كبير بين الخائف المرتهب من حيث:

. الخائف يستطيع أن يتدبّر أمره وقد يقبل بالمخاطرة ودخول القتال وبخاصة إذا عرف أنَّ القبول بالمخاطرة والقتال هو مكنم الحلّ، أي: أنَّ الخائف يستطيع أن يُقرّر وإن كانت الظروف حرجة.

. المرتهب هو الذي لا يستطيع أن يُقدّم على أفعال القتال بوجه السرعة حتى وإن راء ذلك أمراً ممكناً، ولذا فالخائف يستطيع أن يُقدّم على تنفيذ الفعل بأسباب الخوف ذاته، أمّا المرتهب فهو الذي لا يستطيع أن يُجمّع قواه العقلية بنفس واثقة في مواجهة ما يُرهبه، ولهذا هو في حاجة للتدبّر قبل أن يتخذ قراره.

إذن الإرهاب إن تحقّق في الأنفس أدّى إلى التفاوض والحوار والنقاش من أجل التفاهم وتفهم الظروف وما يترتب عليها من مخاطر، والتحكّم في كلّ ما من شأنه أن يُرهّب الجميع (الأنا والآخر)، ولذا فالإرهاب يستدعي من الأنا والآخر أن يُفكّر جيداً قبل أن يتكلّم،

وأن يتذكّرا حتى لا يغفل أحدهم عن أهميّة التّاريخ في اتخاذ القرار
وصناعة المستقبل¹³².

¹³² عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين فادحيه ومادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع،
القاهرة، ص 66 . 87.

التأهب

التأهب لا يكون إلا بعد تهيؤ وإرادة واستعداد، وهو مرحلة متقدمة من أجل تنفيذ الفعل والإقدام عليه في الوقت المناسب، وهو الساكن في كمون الحركة الظاهرة للامتداد.

والتأهب فطنة، هو: حسابات عقلية وبصريّة مع شدة الملاحظة والتربص بأيّ حركة أو محاولة للتمدد في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع من قبل من أعدت له العدة وتمّ التأهب له مواجهة؛ فلتأهب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكن قياسه، مع قبول دفع الثمن من قبل المتأهب كونه عن وعي يدرك ما تأهب من أجله.

فالتأهب فطنة ووعي وإلمام بما يجب في الوقت الذي يجب أن يكون فيه، والمكان المخصّص له، مع مراعاة الظرف الموضوعي من أجل سلامة التنفيذ، وسلامة المنقذ.

للتأهب مفهوم لفظي علائقي مكّون من المجموع القيمي لكلّ

من:

. الانتباه، لما يجب.

. الدراية، كيف يجب.

. اليقظة، حول ما يجب.

. الفطنة، لأخذ ما يجب.

. التحفُّز، تجاه ما يجب.

. الإصرار، عزم على ما يجب.

. الرِّغبة، في ما يجب.

. الحرص، على سلامة ما يجب.

. الوعي، بما يجب.

. التيقُّن، تمسك بما يجب.

يُعدّ التأهب مرحلة ما قبل الفعل (أي فعل)، وهو مرحلة ما بعد الاستعداد المؤسَّس على التهيؤ والإرادة؛ فالتأهب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فعلى سبيل المثال: عندما تستوجب المواجهة مع الخصوم يصبح التأهب هو الذي يستوجب مرابطةً تستدعي أن يضع الم رابط أُصبعه على الزناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال، وذلك بهدف ألا تشتعل، لأنَّ المتأهب حريص على ألا يكون سببا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ

يَعْلَمُهُمْ}133، تحرّض هذه الآية على التأهب وفقا للاستطاعة، ولهذا جاء قوله (ومن رباط الخيل) أي ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدّوه، ولا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت؛ فبما أنكم تستطيعون إعداد أعدادٍ أكثر أعدّوا دون تردّد، وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عُدّة وتهديدا ووعيدا، تصرّحا وتلميحا.

وعليه: فالرباط هو الملازمة والمداومة التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبا لخوض المعركة إن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلا أم أنّها آلات حديثة ومتطورة، ولذا فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمّ التفاهم والتفهم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام وساد السّلام بين النّاس أقارب على الحدود، وأبعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}134 آية كريمة تدلّ على أهميّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النّاس، ولذلك أمر الله عباده بالصبر والمصابرة، أي:

133 الأنفال 60.

134 آل عمران 200.

اصبروا على ما أنتم عليه حتى تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل خيرة، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقلوه: (وَرَابِطُوا) تواجدوا متأهبين مرابطين بعزمٍ وحرزٍ على صون الحدود وأمن البلاد أرضاً وشعباً من الذين يهدّدون ويتوعّدون ويشكّلون خطراً عليكم في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا لا ينبغي أن تغفلوا عن تأهبكم وأعملوا على إظهار قوّتكم متأهبين أمام مشاهدة وملاحظة عدوّكم لقواتكم التي أعدتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه، مصداقاً لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} 135.

الاعتداء بدون شلٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على الناس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن اعتدي عليكم؛ فعليكم بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلاً لما اعتدى به عليكم، {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} 136.

ولذا فإنّ إظهار القوّة والمتأهبين بها على ظهور الخيل أو الدبابات والطائرات والعربات والمعدّات المتطوّرة ضرورة استعراضية أمام مشاهدات وملاحظات الأعداء والأصدقاء، وذلك لأجل أن يُرهب

¹³⁵ البقرة 190.

¹³⁶ البقرة 194.

بها الأعداء؛ فيحسبوا حساباتهم إن فكروا في الاعتداء ظلما، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئن قلوب الذين أمنوا من الأصدقاء فتزداد إيما مع إيماهم.

وعليه: فإنَّ إعداد العدَّة مع وافر الاستعداد والتأهب استعراضا بمقاييد القوَّة يُرهب بدون شكِّ كلِّ من تسوَّل له نفسه أن يعتدي ظلما.

إذن (رابطوا) تحتوي في مضمونها ومفهومها ضرورة استمرار التأهب دون انفكاك عن المراقبة حتَّى ينتهي من أذهانكم كلِّ ما يخيفكم من أعدائكم.

وبعد أن يرى العدو تأهبكم بالعدَّة الحربيَّة والقتاليَّة والخيل التي قد تأهَّبتم عليها ورابطتم بها، ثمَّ بعد ذلك اعتدى عليكم بالمقاتلة؛ فعليكم مقاتلته، ولكن إن جنح للسَّلم فاجنحوا لها، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} 137، أي وأنتم أقوياء، وأراضيكم غير محتلَّة، ولا مهجَّرون؛ فإن جنح المعتدون للسَّلم فاجنحوا لها إرادة وهيؤا واستعدادا وإعداد عدَّة وتأهَّبوا بالقوَّة، ومن لا يمتلك القوَّة يجد نفسه غير مقدِّر ولا معتبر، وهو معرَّض للقتل أمام المتوقَّع وغير المتوقَّع بين صدمة ورُعبة.

137 الأنفال 61.

ومع أنَّ التأهب يؤدي إلى المراقبة واستعراض القوة التي تتم إعدادها والاستعداد بها، ولكن من حيث المفهوم هناك فرق دلالي بين إعداد القوة، وإعداد رباط الخيل من حيث:

. قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) إِنَّ القوة قد يتم إعدادها، ولكنها قد لا تُحقق إرهاباً للعدو إذا لم يعلم العدو بها ويشاهدها بأمِّ عينيه؛ فعندما تُخزن الأسلحة والعتاد المتنوع والمتعدد ولا يتم إظهاره، قد يظن البعض أنك لم تمتلك القوة التي تُرهبه؛ فيعتدي عليك ظلماً وطمعاً ويفاجئك بالقتال ويُجبرك على مقاتلته.

. أمّا قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) إظهار القوة عُدة وعتادا وفرسانا وخيلا وتنظيماً وتأهباً، ولهذا رباط الخيل هي التي لولاها لكان السلاح مخفياً في المخازن، ولكن بها ظهر أمام الملاء لتؤدّي به رسالة مفادها (لقد أعددنا العدة، وامتلكنا القوة، ونحن الآن مستعدون عن إرادة، ومتأهبون لخوض المعركة؛ فخذوا حذرکم، وفكروا قبل أن تقرروا عن غير بينة، نحن نمتلك القوة المتعاضمة، ولكننا لا نرغب قتالکم ولا الاعتداء علیکم، ولقد أعذر من أنذر).

إذن التأهب والمراقبة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعد هيئاً؛ فخذوا حذرکم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} 138 أي تأهبوا تيقظاً وانتبهوا واحترزوا العدو كي لا ينال منكم شيئاً؛ فإن غفلتم واسترخيتم

وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدر بكم أو يتمّ الاعتداء عليكم ظلماً؛ فخذوا حذرکم بكلّ جدية؛ فالأمر لم يعد هيناً، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنّ الخصم أو العدو سيأخذه مأخذ الجدّ أيضاً، وإن أخذه مأخذ الجدّ جعل لكم اعتباراً يدفعه إليكم جانحاً للسلم الذي يستوجب منكم الجنوح إليه وفقاً لقاعدة قبول التحدي وقبول السلام.

وكما أنّ إعداد العدة حقّ لمن هو خائف من المخيف المرهب وهو الذي لا يُقدّر ولا يعتبر الآخرين؛ فكذلك التأهب بالمرابطة هو استعراض قوّة، وغايته نيل التقدير والاحترام. والتأهب هنا هو توفّر العزم مع وافر الإصرار على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقّب شديد ورصد للحركة والسكون ممّا يجعل الأصبع على الزناد استعداداً للرّمي في زمن الانقضاض.

فالتأهب يؤجّج في النفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع بلاءٍ واستماتة على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ خوفاً من التأخير الذي فيه تكمن المفاجئات، ولذلك دائماً لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرّع.

التأهب الموجب يملؤه اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ فالرّامي عندما يكون متأهباً تكون مشاعره وأحاسيسه منصهرة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأنّ يُفعل والشك من ملكاته منتزع انتزاعاً.

فذلك الصحفي العراقي الذي رمى الرئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد في 14 سبتمبر 2008م، لو لم يكن متأهبا للرمي ما رماه أمام أعين الناس وعلى شاشات التلفاز وأمام حرّاسه وحرّاس حرّاسه والمدجّجين والصحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرئيس الأمريكي عمّا حدث في العراق وعمّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصحفي الموقّر.

ولذا؛ فمن يتأهّب للشيء بعد تهيؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنقّد ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أو بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد أو أن يبصق على من يشاء، دون أن ينتظر رأيا أو توجيهها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالتأهّب يعدّ منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ وتهيأ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيوية الأمل.

فالناس على مستوى المسؤولية هم يستعدّون في دائرة الممكن المتوقّع حيال إنجاز مهمة من مهامهم المكلفين بها أو المنوطة بهم،

ولكنّهم في كثير من الأحيان لا يستعدّون لغير المتوقّع ممّا يجعل المفاجئات تتكرّر أمامهم رغم الاستعداد والعُدّة والعتاد.

الاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنا ومحققا للفوز والانتصارات، بل التأهب من بعده هو الذي يُمكن من ذلك، ومن يغفل عن التأهب أهمية وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يعتدي ظلما أو يتطرّف في ردود أفعاله.

ولذا فالتأهب قرار في زمن الأخذ به يُعدّ ساري المفعول في جعل العُدّة تحت أمر المتأهب غير منقوصة، بل مُفعّلة للاستخدام متى ما شائها أن تكون متلازمة الحركة والوظيفة مع حركته أثناء المراقبة الميدانية. وبأسباب التأهب الإرادي يصبح المتأهب متحمّلا للمسؤوليّة وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنّ التأهب سلوك ظاهر؛ فهو القابل للمشاهدة والملاحظة، ولهذا جاءت المراقبة أمرا ظاهرا فيها تتوخّد العُدّة والخيل والمراقبة بها ليكون التأهب الظاهر إنذارا وتحذيرا بالعُدّة والعتاد والإرادة والاستعداد والخيل والفرسان، وهذا الأمر في زمنه، أمّا اليوم فالقوة متطوّرة ومتنوّعة ولكلّ عصر قوّته وفرسانه، وفي جميع الأزمان الغرض هو إرهاب العدو كي لا يعتدي وليقف عند حدّه، وفي حالة اعتدائه تكون المواجهة بالنسبة له قاسية والخسارة في دائرة الممكن المتوقّع وغير

المتوقع متماثلة؛ ممّا يجعل النّهاية بين الأطراف تفاوضاً ومصالحةً وتفاهماً بالقوّة.

وفي كلّتا الحالتين يُعدُّ إعداد العدّة إرهاباً من أجل القضاء على الخوف وأسبابه المخيفة.

ويُفهم من قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) أَنَّ (العدّة والخيل والمرابطة) معطيات مُرهبة، ولكنّها لا تخيف، بل الذي يُخيف هو (الإنسان) الذي يُفسد في الأرض ويسفك الدّماء فيها بغير حقّ.

ولذا فالمرابطة هي إعلان حُسن النّيّة من قبل الذي يمتلك القوّة، والغاية من ورائها تحقيق السّلام، وليس الإفساد في الأرض وسفك الدّماء فيها بغير حقّ. إنّها إعلان قبول التحدّي من أجل التخلّص من الخوف إلى الأبد، ولكن إن كان هناك إصرار وعدم تقدير للموقف وظنُّ الخصم أنّ المغلوب على أمره لا يستطيع النهوض والتحدّي؛ فقد تكون المواجهة ضرورة لقياس القوّة غير المتوقّعة، ممّا يجعل للمقاتلين في الميدان الكلمة الفاصلة في تحقيق معادلة فرض مبدأ التقبّل بين الأنا والآخر، ويكون الحلّ هو الاعتراف المتبادل.

وعليه فإنّ النّصر لا تُحقّقه المعدّات الحربيّة مهما تطوّرت، بل النّصر عبر التاريخ يحقّقه من يقرّر مع التنفيذ أنّ قبول الموت في الميدان

هو المطلب الرئيس، ولهذا الشعوب التي حرّرت أراضيها حرّرتها بهذا القرار حتّى ولو اتخذت سلاحها الحجارة.

التأهّب استجماع قوّة مع وافر الانتباه وأخذ الحيطة والحذر من المفاجآت في سبيل تحقيق النّجاح أو الفوز عند القيام بأداء واجب، ويعدّ التأهّب حيويّة الإقدام على الفعل والوقوف على أعتاب ما ينبغي القيام به عملا أو سلوكا. إنّهُ الأخذ بأسباب القوّة مع وافر التهيؤ والاستعداد لما يمكن أنّ ينجز. وهو إصرار مع حرارة الأمل في سبيل بلوغ الغاية ونيل المأمول ولو كان سالبا، وهو لا يكون إلّا:

. عن رغبة

. عن معرفة.

. عن وعي.

. عن الحاجة.

. عن إرادة.

. بقبول المتوقّع وغير المتوقّع.

. بعد تهيؤ.

. بعد استعداد وإعداد عدّة.

ولهذا؛ فالتأهب نتاج الفكرة مع اختيار ورغبة تُحفّز على الإقدام (الموجب أو السّالب) متى ما تهيأت للإقدام ظروفه، ومن ثمّ؛ فهو ولادة الحيويّة تجاه إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات، أو نيل المأمولات. أي: إنّ استجماع القوّة لمواجهة المحيّر أو المستفزّ، أو من أجل إيجاد ما يشبع الحاجة ويطمئن النّفس.

فالتأهب التّفات إلى ما يجب، واهتمام بما يجب، مع أخذ الحيطة والحذر، بغاية التّجّاح، وهو يدل على:

. تنفيذ قرار قد اتخذ مع معرفة تامّة بالمتربّط على تنفيذه.

. قبول تحدّي الصّعاب حتى وإن كان التأهب انسحاباً.

. قبول المواجهة مع المؤلم.

. إصرار وعزيمة في دائرة الممكن.

. خوف من المخيف؛ ممّا يستوجب مواجهته بدلاً من تجنّبه أو الابتعاد عنه.

. يقظة تامّة بما يجب والأخذ به، وبما لا يجب وتفاديه، وهنا قد يكون ما يجب من أجل تنفيذ الفعل السّالب وقد يكون لتنفيذ الفعل الموجب ولكلّ حساباته.

المتأهب على الدّراية:

الإنسان عندما يتأهب لفعل ما يكون قد ألمّ به إلماما تاما، أي أنّ المتأهب يدري بما عليه من واجبات وما له من حقوق؛ فلا يتأخر عن أداء واجب ولا عن ممارسة حقّ عندما يكون موجبا، ولهذا فحالة التأهب لا تبلغ إلّا عن إرادة ورغبة، ثمّ بعد تهيؤ واستعداد ودراية بأسرار وعلل المتأهب له تفاديا للوقوع في الفشل أو الخسارة حتى وإن كان المقصد أنانيا.

ولا يمكن أن تُبلغ مرحلة التأهب إلّا إذا توافرت المعلومات الكافية لأداء الفعل أو القيام بالواجب، أو لمواجهة ما يشكّل خطرا، ولذلك يجب أن يكون الإنسان على الدّراية المعرفية في كلّ ما يتعلق بالموضوع المتأهب من أجله، وإلّا سيفاجأ؛ فالتأهب يستوجب دراية بالمتأهب من أجله كي تُحمل المسؤولية وما يترتب عليها من أعباء.

وهنا؛ فالتأهب يؤدّي إلى:

. التمكن من الوقوف على أعتاب الفعل.

. التحفّز على الانقضاء متى ما جاءت ساعة الصّف.

. التمكن من المستهدف دون تردّد.

ولأنّ للمتأهّب دراية بالموضوع أو المشكل؛ فهو يعرف متى يتقدّم ومتى ينسحب، ومتى يفاوض، ومتى يقف على الحياد.

المتأهّب والقلق:

زمن الانتظار دائما مقلق للمتأهّبين والمتحفّزين إلى تحقيق الأشياء أو بلوغها، حتى وإن كان لإجراء مقابلة بهدف الحصول على فرصة عمل، أو حتى وإن كان لسفرٍ وفي جيب المتأهّب للسفر كرت الصّعود، أو حتى إن كان أمام سلّم الطّائرة؛ فما بالك إن كان لمتأهّب ينتظر خوض معركة نصر أو خسارة (حياة أو موت)؟

وهنا أقول:

هناك فرق بين التأهّب الذي لا يطيق أصحابه زمن الانتظار، وبين التأهّب الذي يتجاوز القلق، شريطة أن يكون التأهّب عن إرادة ورغبة وقناعة، ومع ذلك فلكلّ قاعدة استثناء؛ فالانتظار مقلق عندما يكون وقته على حساب الرّغبة والحماس الذي يحفّز النّفس على قبول تحدّي، وقد يكون على حساب أداء الفعل؛ فالمتأهّب لا بدّ وأن يكون قد نسف جسور العودة، طال الزّمن أم قصر، وإلّا سيكون التراجع متيسرا كلّما طال زمن الانتظار؛ فخذوا حذرکم أيّها المخططون وارسموا السّياسات والعاملون على إحداث النّقلة وصنّع المستقبل.

ولذلك ينبغي أن يلحق التأهب نفس المتأهب ويغوص فيها عمقا حتى يرى المتأهب نفسه جبلا لا تهزه الرياح، وأن يقبل شراب المر وهو على ثقة أنه لا حلو إلا من بعده، وأن يثق أنه كلما ازدادت المرارة اقترب من ذلك المأمول حلاوة.

فالتأهب إيجابا لا يدخل في قاموسه القلق ولا يجب، فإن كان قد دخل؛ فلا يعدّ متأهبا حتى وإن عدّه البعض متأهبا، وإذا ما دخل ميادين المنافسة فلا فوز، ومن هنا تلد الخسارة خسارة، وهنا يُفقد الرجال في غير وجهة حق، لأنهم لم ينسفوا جسور العودة، ولم يكونوا قد تهيأوا لمواجهة القلق؛ فالقلق يجب أن يواجهه قبل أي رحلة، وقبل أي مواجهة، وقبل أي إقدام على الفعل أو العمل.

وعليه: القلقون لا يصنعون تاريخا، ولا يسهمون في صناعة التقدم، ولا يحققون نصرا، ولا مقدرة لهم على دخول ميادين المنافسة الحرة. عقولهم يملؤها القلق؛ فلا حيز للتفكير، يبدؤون حديثا ولا يتمون حديثهم، ويبدأون عملا ولا يلتفتوا إلى تجويده، يقلقهم زمن التعليم فلا يتمون تعليمهم، ويقلقهم زمن التدريب فلا يتمون تدريبهم؛ فهؤلاء ومن على غرارهم لا يعدّون من المتأهبين في شيء.

فالتأهب مرحلة متقدمة من الثقة في النفس، والثقة بالموضوع المتهيأ من أجله، مع وافر الرغبة والاشتياق للإقدام، وهنا نلاحظ الفارق بين قلق المتأهب، وبين قلق من حُسب متأهبا؛ فقلق المتأهب

يعكس الرغبة في دخول الميدان عملاً أو مواجهة، أمّا قلق غير المتأهب فيعكس الرغبة في التخلي والخيانة والانسحاب بدلاً من الإقدام ودخول الميدان، ولكن استثناء يجوز أن يكون للانسحاب تأهب.

إذن القلق حالة نفسية إن سيطرت على الإنسان؛ فلا توازن، وهو من أمر الحياة الاعتيادية ويواجه الجميع، ويصعب تحديده، ولكن المتأهبين متى ما تحدّوا فهم قادرون.

إنّ البقاء على حالة القلق من عدمه يترتب على المراحل السابقة للتأهب، وهنا إذا حدث القلق وأفسد صمود المتأهبين؛ فعلى الباحثين أو المسؤولين الذين أعدّوا الخطط ورسموا السياسات أن يقوموا بمراجعة تلك المراحل التي سبقت التأهب، وهي:

ـ الإرادة: هل هي السبب في تحفيز الإنسان إلى المشاركة أم أنّ ضغوطاً كانت مختفية من ورائها، أم أنّ المشارك كان مجاملاً لرغبة الوالدين أو رغبة من تربطه بهم علاقات خاصّة؟ فإذا كان هناك شيء من هذا؛ فلا استغراب أن يحيب القلق أمل المخططين ورسمي السياسات.

ـ التهيؤ: كونه نفسياً عقلياً بدنياً لا يكون إلا عن فطنة ومعرفة بالمستهدف، مع إحساس بالأهمية النافعة لمن أصبح متهيئاً للقيام بما يجب، وهنا؛ فإن كان الإنسان قد تجاوز هذه المحطات بحيوية الرغبة

وقبول التحدي مع وافر الإرادة والمقدرة، بلغ حالة التأهب الذي لا عودة عنه بأيّ علة من العلل، ممّا لا يجعل للقلق مؤثرا سالباً.

. الاستعداد: وهو الذي يمكن من أخذ الحيلة والحذر بتوفير ما يمكن أن يُعد ويوفّر لإنجاز الفعل أو العمل، ولكن إن لم يتمّ الاستعداد لما هو متوقّع وغير متوقّع فلا شك أن المفاجأة والاستغراب ستكونان علامات في أنفس الغافلين، وهنا تكمن العلة.

التأهب استبصار:

التبصّر قيمة تظهر مدى الانتباه عن وعي وإدراك وتبين لما هو مبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادراً على أن يميّز بين الشيء الدقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانية من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصراً في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلاً وإدراكاً وما يستمدّه استقراءً واستنباطاً، {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوَّفَ يُبْصِرُونَ أَفْبَعْدَٰنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ

بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ {139}.

مضمون هذه الآيات الكريمة يتعلّق بسيدنا يونس كما يتعلّق بغيره من الأنبياء الكرام صلى الله عليهم وسلّم، وهذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهمية الترقّب مع الملاحظة والانتباه تأهباً من قبل يونس لقومه (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدل على تولي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضباً، ثمّ جاء قوله تعالى (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالاً على أهمية ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعاً دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة، وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {140}.

وعليه لقد كان يونس بصيراً بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم، ولأنّه رسول مُرسل لقد كان طائعاً لأمر ربّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرّف على ما يؤثّر فيهم سلبياً ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابياً ليقدم عليه متأهباً.

¹³⁹ الصفات 174 . 179.

¹⁴⁰ الصفات 181، 182.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر، { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ }¹⁴¹، أمّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينية، قال تعالى: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ }¹⁴²، ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّها إلى معرفة الكيفية التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمناً بأنّ من ورائها خالقاً عظيماً يملك قوّة الخلق كلّه ويؤمن إدراكاً أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيئاً لمعرفة الكيفية التي عليها المشاهد، لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرد، ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلاً والمعجز معجزاً، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبا لمزيد من المعارف والعلوم، { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا

¹⁴¹ الأنعام 103.

¹⁴² الغاشية، 17 . 22.

يُنْصَرُونَ} 143 الضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فالكفرة يعرفون حُجَّةَ مُحَمَّد رسول الله ويحددون الحقيقة الآتي بها، ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيء.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السابقة يجد التاريخ مليئاً بالعبر والمواعظ والحكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} 144، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} 145.

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهم مستبصرون في آياته عزَّ وجلَّ، وهم كذلك متهيئون لمعرفة الكيفية التي عليها المخلوقات، ومتهيئون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسلوكيات التي ترتكب سواء أكانت انحرافاً أم صلاحاً.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم، وذلك ليكون نظر الناظرين إلى ما يسرُّ النَّفْس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْهَاهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ} 146. ومع أنَّ النَّظر إلى البقرة الصَّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس

¹⁴³ يونس 43.

¹⁴⁴ الأنعام 11.

¹⁴⁵ النمل 69.

¹⁴⁶ البقرة 69.

فإنَّ نظرَ الكثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّما، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد) ولهذا وجب التأهّب فكريا حتى تصبح الثقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرا.

وعليه فالإنسان المتأهّب بصرا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرّف عليها، وهو الذي يتبيّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرّف، ثمّ يقدّم ويفعل؛ فالمستبصر المتأهّب هو الناظر إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئا ولا يتعجّب من شيء لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

ولأنّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصلاة وقوفا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل

(الصلاة عمل يُقام به) إقامة وركوعا وسجودا، وهذه أفعال تتم بعد تأهب.

وعليه:

. تأهب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدى.

. تأهب لمسؤولياتك؛ فالمسؤوليات تُحمل.

. تأهب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقق.

. تأهب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهب لمأمولاتك؛ فالمأمولات تُنال.

. تأهب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهب مسرعا؛ فالإسراع يَمَكِّنك من خوض المنافسة، شريطة

ألا تكون متسرعا.

. تأهب شجاعة، ولا تتأهب تهورا.

. تأهب لكل شيء هو جزاء منك، ولكن لا تبالغ.

إذن فمن هو المتأهب إيجابا؟

أقول:

هو الذي تيقن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب على تساؤلاته وافتراضاته وما يشبع حاجاته أو يمكنه من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأ إرادياً وأعدّ العدّة لذلك ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به؛ فالتأهب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، وكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا يجب أن يكون متأهب متأهباً في ذاته ولا ينتظر من أحد أن يؤهّبه؛ فالتأهب يرتبط بنظرة ومعتقد وخبرة ومعرفة وتعلّم المتأهب في ذاته، أمّا التأهب من قبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفياً.

ولهذا فالتأهب إيجابياً هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خياراً واحداً، التقدّم الذي من بعده فرص التقدّم أعظم.

علاقة التأهب بالإرادة:

يعدّ التأهب من مستلزمات الفعل مثله مثل الإرادة والتهيؤ والاستعداد، ومن هنا فالعلاقة ذات صلة متسلسلة بداية بالإرادة التي لا شيء يتحقّق عن رغبة إلّا والإرادة من ورائه، ولا شيء يقرّ بحرية

إلا والإرادة من ورائه، ولا تأهب لشيء برغبة إلا والإرادة من خلفه؛ فالإرادة امتلاك زمام الأمر بلا سلطان خارجي، والتأهب برغبة هو الآخر امتلاك زمام الأمر بلا إكراه، أي لا إرادة بدون تأهب لها، ولا تأهب بدون إرادة من خلفه، فبهما يتمكن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونهما يُقهر، وهما معا يمكنانه من بلوغ الفعل.

التأهب والإرادة يمكنان من بلوغ الغايات ويحفزان على التقدّم عن دراية مع وافر الانتباه؛ فالإرادة بدون تمكين الأفراد والجماعات من ممارستها تظل مفهوما مجرّدا ليس إلا، ولهذا؛ فأهمية الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال، حتى يتمكن الناس من بلوغ ما تأهبوا له وما يأملون، ومن ثمّ؛ فالتمكن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤولية من يتولّى مسؤولية سواء أكانت أسرية أم اجتماعية أم وطنية أم إنسانية.

ولأنّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، والإرادة وثيقة الصّلة بالتأهب والوعي الذي يمكن من تحقيقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة عن الأخذ بالبديل تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار والاعتراف والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة عن اختيار البديل لا تحقِّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل تحقِّق له الندم يوم لا ينفع.

فالإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلَّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرضا بما سيتربَّب على ما سيقدم عليه من عمل أو سلوك حيث لا إجبار من أحدٍ، ومن هنا؛ فالإرادة والتأهَّب معا يَمَكِّنان الأمل من مأموله.

ولأنَّ الإرادة تمكينا هي منبع أمل فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقَّع تُمَكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة فقد لا يحقِّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمَّ إنجازه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلَّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتب عليها من أعباء جسام، ومن ثمَّ فلا يترتب عليها ندما، ولهذا؛ فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربَّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه،

وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنّ الشعب (كلّ الشعب) لا يوجد فيه متهيئون ولا متأهبون ولا مؤهلون لحمل المسؤولية وتحمل ما يترتب عليها من أعباء.

فكلّ شيء يتمّ التأهب إليه بإرادة ينجز، وتكون نتائجه مبهرة ودافعة إلى المزيد، فالتأهب لا يبلغ حدّه إلّا والإرادة حيويّته.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والتأهب والاختيار والرغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسن الأحوال وتقوّم من قبل الواعين بما يجب وبما لا يجب لتكون السبل ممهّدة تجاه الغايات المراد الوقوف عند أعتابها بحيويّة التأهب وإرادة المتأهبين.

فالوقوف عند أعتاب الفعل لا يمكن أن يتحقّق بدون تأهب إرادي، ولكن هذا الوقوف المستهدف بالإرادة والتأهب هو في واقع الأمر تقدير، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للجهد الذي سيبدل خلال الزّمن المتوقّع للإقدام أو الإنجاز. وعند إقدام المتأهب على الفعل وإنجازه ينبغي أن يتمّ من بعده تقييم إرادي للجهد الذي بذل، لمعرفة مدى تطابق الخطة مع التنفيذ؛ فالتقييم هنا يفيد في رسم الخطط المترتبة على إنجاز الفعل الذي تمّ التأهب إليه إراديا حتى تمّ بلوغه

بسلام أو بعد شيء من الصعوبات التي غُفل عنها في تلك الخطّة التي تمّ تنفيذها¹⁴⁷.

ولهذا فالإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرغبة تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقق الرضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمّل ما يترتب عليه من أعباء ومسؤوليات، وكذلك التأهب كونه حيوية تحرّك النفس تجاه المرغوب سيكون مرتبطا بالإرادة واختياراتها الحرة، فالإرادة وثيقة الصلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ وأثرت في الرغبة حتى حفّزها على الدفع تجاه التأهب إلى العمل.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنّها الإرادة؛ فهي المعبر عن الحقيقة ولو تمّ إنكارها عن غير تهيؤ وبعد تأهب.

¹⁴⁷ عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، ص 178 . 180

وعليه ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما
وعى الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكر ولما يتّهيأ
ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة قيمة تحقيق المكانة التي يسعى الناس إليها، وهي لا
تتحقّق إلّا بعد تأهّب لعمل رفيع، وفي المقابل من يتأهّب لإهانة
الآخرين لا يمكن أن يبلغ مكانة، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين
مستهاناً بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل
للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتعظّل لن تكون
له حاشية إلّا من المتّعظّلين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء
متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي
لسلب إراداتهم.

ولأنّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحريّة في دائرة ترسيخ
الفضائل الخيرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها،
والتأهّب بها إلى أعمال الخير، ومن يتأهّب إلى القيام بأعمال الخير
ويحفظ الغير عليها ستكون له مكانة بين الخيرين.

وهنا ينبغي أن نتمييز بين الإرادة الفرديّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة
الفردية هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيات
الآخرين دون اختلاف وإن كانت هناك تنوّعات وتأهّبات مختلفة.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعية وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجودة، وهي التي لها من المتأهّبين ما لها. لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان مع وافر الرضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكن الإنسان من تحمّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة والتأهّب قد لا يحقّق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإكراه والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من تأهّب وأقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

ولذا فمن يتأهّب لمواجهةك عن إرادة؛ فعليك أن لا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنّ الإرادة والتأهّب مسألة ليست بالهينة؛ فالإرادة والتأهّب بينهما مسافة لا ينبغي إغفالها؛ إنّها المسافة المملوءة استعدادا وعدّة 148.

¹⁴⁸ عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 . 43.

علاقة التأهب بالتهيؤ:

التهيؤ إثارة النفس والالتفات إليها لتنهض ممّا هي فيه، وهو مرحلة ما قبل النهوض، أمّا التأهب فهو الإنذار بالنّهوض؛ فالتأهب فطنة، وحسابات عقلية وبصرية مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قبل من أعدت له العدة وتمّ التأهب له مواجهة؛ فالتأهب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثراً يُمكن قياسه، مع قبول دفع الثمن من قبل المتأهب كونه عن وعي يدرك ما تأهب من أجله.

ولهذا لا إمكانية لفصل التهيؤ عن التأهب إذا أردنا نيل المأمول، ذلك لأنّ التهيؤ يتجاوز دائرة التفكير والتخطيط إلى دائرة الاستعداد ثمّ إلى التأهب الذي لا يمكن ظهوره إن لم يكن التهيؤ من ورائه حيوية وإرادة واستعدادا.

فالتهيؤ منبع الفطنة، أمّا التأهب فهو الفطنة في ذاتها، وهو منبع أمل كونه الممكن من دخول الفعل والإقدام على العمل؛ فالتأهب قيمة تلفت المتأهب لما يجب الالتفات إليه، حيث لا حيز في ذهنه للغفلة أو الانفلات.

ولكلّ من التهيؤ والتأهب مفهوم ودلالة وفقا للآتي:

. عندما يكون التهيؤ تفكيراً فيما يجب يصبح التأهب الانتباه،
لما يجب.

. عندما يكون التهيؤ تخميناً تجاه ما يجب، يصبح التأهب
الدراية بما يجب.

. عندما يكون التهيؤ حيرة تجاه ما يجب، يصبح التأهب اليقظة
حول ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ التفات تجاه ما يجب، يصبح التأهب
إقداماً على ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ غموض تجاه ما يجب، يصبح التأهب
الوضوح تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ شكاً فيما يجب، يصبح التأهب التيقن بما
يجب.

. عندما يكون التهيؤ محاولة للمشاركة تجاه ما يجب، يصبح
التأهب بلوغ فرصة للمشاركة فيما يجب.

. عندما يكون التهيؤ اندفاعاً تجاه ما يجب، يصبح التأهب
وعياً بما يجب.

. عندما يكون التهيؤ حيوية تجاه يجب، يصبح التأهب هو السلوك تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ تردداً تجاه ما يجب، يصبح التأهب الإصرار على ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ رغبة تجاه ما يجب، يصبح التأهب واجبا تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ محاولة وخطأ تجاه ما يجب، يصبح التأهب قرارا معتمدا تنفيذه تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ تحديد أهداف يمكن أن تصاغ لها خطة، يصبح التأهب خططا متكاملة.

ولهذا وجب إظهار القوة عُدة وعتادا وفرسانا وخيلا وتنظيما واستعدادا بما أنكم قد تهيأتم وتأهبتهم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) أي يجب إظهار القوة، لتكون رسالة ذات مضمون مفاده (لقد أعددنا العدة، وامتلكنا القوة، ونحن الآن مستعدون عن إرادة، ومتأهبون لخوض المعركة؛ فخذوا جذركم، وفكروا قبل أن تقررروا عن غير بينة، نحن نمتلك القوة المتعاضمة، ولكننا لا نرغب قتالكم ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر) فإن سالمتم فنحن أهل السلم،

وإن اعتديتم علينا فليس لنا إلا الاعتداء عليكم مثلما اعتديتم علينا،
{فَمَنْ اِعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اِعْتَدَى عَلَيْكُمْ} 149.

إذن التأهب والمرابطة دليل إثبات أَنَّ الأمر لم يعد هيناً؛ فخذوا
حذركم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} 150 أي تيقظوا وانتبهوا
واحترزوا العدو كي لا ينال منكم شيئاً؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم
سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدر بكم أو يتم الاعتداء عليكم ظلماً؛
فخذوا حذركم بكل جدية؛ فالأمر لم يعد هيناً، وإن أخذتموه مأخذ
الجد فإنَّ الخصم أو العدو سيأخذه مأخذ الجد أيضاً، وإن أخذه
مأخذ الجد جعل لكم اعتباراً يجعله جانحاً للسلام الذي يستوجب
الجنوح إليه تحدياً لا استسلاماً (قوة لا ضعفاً).

وعليه في الوقت الذي يكون فيه التهيؤ منبع فطنة، يكون فيه
التأهب منبع أمل لمن استعدَّ وأعدَّ لأداء الفعل المحقق للأمل الذي
طال زمن انتظاره؛ فالتأهب للفعل يُمكن من الإنجاز والنجاح وبلوغ
الغايات التي لا تبلغ عملاً إلاَّ بحيوية التهيؤ؛ ولذا لا يمكن أن يكون
المتأهب متأهباً ما لم يكن قد تهيأ لما تأهب له.

¹⁴⁹ البقرة 194.

¹⁵⁰ النساء 71.

علاقة التأهب بالاستعداد:

التأهب قوّة انتباه مع وافر الاستعداد والعدّة؛ ممّا يجعله حيويّة تسري في العقل البشري فتثيره تحفّزا ينتج مأمولا يستوجب الاستعداد قدرة وإمكانية، مع خطّة ترسم وفقا لأهداف قابلة للإنجاز، ومن هنا، يصبح المأمول نصب الأعين حتى يُنال.

ولهذا لا استعداد إلّا والتأهب من ورائه، ولا استعداد إلّا والجهد يبذل وهذا الأمر يجعل التأهب والاستعداد معا مندجين قوّة وترتيبها وتصنيفها من أجل الفعل أو العمل أو المأمول نيّله، والاستعداد لو لم يلحق به تأهب لا يزيد على كونه إمكانيات وخططا وبرامج نظرية، ولذلك فهو الضرورة التي تسبق أيّ عمل أو فعل، وبدون التأهب والاستعداد معا لا تُبلغ الآمال، ولهذا عندما يكون التهيؤ منبع أمل لفعل يُفعل، أو هدف ينجز، أو غاية تبلغ؛ فالاستعداد لا يكون إلّا عن دراية لما يجب، وهو أخذ الحيلة من الفشل، وتجنب الوقوع في السُفليّة، وهو لا يكون إلّا والتأهب من ورائه وقوفا على أعتاب المستهدف أو المأمول.

فالاستعداد مرحلة ما بعد التهيؤ عن إرادة، وهو لا يكون إلّا مرحلة لاحقة لهما ومعتمدة عليهما؛ فالاستعداد بجميع للقوّة الممكنة من تنفيذ الفعل مع تأهب وهو مجموع القوّة الممكنة من التقدّم بعد

أخذ الحيلة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلا من أجل أهداف يُراد لها أن تنجز بما أُسِّست عليه من تهيؤ وإرادة، وبما تمّ إعداده والاستعداد به ليكون تحت أمر المتأهبين وبين أيديهم.

فالتأهب استمداد للقوة المعنوية والمادية من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظرف الزماني والمكاني والتوقيت المناسب.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والتأهب والفعل، فلا يقدم على الفعل ويحقق النجاح أو الفوز إلا المستعدّ المتأهب بإعدادٍ جيد؛ فإذا كان الهدف دخول الامتحان وتجاوزه بنجاح، فلا بدّ من الاستعداد والتأهب له قبل أن يأتي، أي: يجب القراءة والمراجعة والتعرّف على الممكن المتاح حتى لا تحدث المفاجأة يوم الامتحان. وهكذا إذا كان المستعدّ المتأهب مستهدفا خوض حرب فلا بدّ من إعداد العدة بعد التهيؤ النفسي والبدني والمعلوماتي والتدريب والتأهيل ورسم الخطط الرئيسة والبديلة، وكلّ ما من شأنه أن يفاجئ الخصم ويقلل الخسائر وفي المقابل يحقق النصر.

المستويات القيمية للتأهب

التأهب الذاتي:

التأهب الذاتي هو نتاج استجماع القوة الاجتماعية أو الوطنية في شخصية الفرد الذي تكونت شخصيته من تلك القيم المرغوبة عند المجتمع وذلك الدين الذي يعتقده؛ ولهذا فالشخصية الذاتية لا تتأهب لشيء إلا بحيوية تلك القيم والفضائل والأعراف التي تدفعها إلى الإقدام على ما يجب.

ولذلك فالتأهب الذاتي هو نتاج التربية الاجتماعية أو الوطنية التي عندما تترسخ في عقول الأفراد ترتقي إلى مستوى الاعتقاد الذي يجعل أيّ مساس بالمجتمع هو مساسا بشخصية الفرد، وهنا يرى الفرد نفسه وكأنّه المجتمع بأسره، ومن ثمّ فالتأهب هو تأهب تربية وإعداد يُمكن الفرد من التعصّب للمنتمي إليه أكثر من أخذه أو ميله إلى الأخذ بما حقّ وعدل.

إذن التأهب الذاتي لا يخرج عن كونه درجة عالية من الانتباه لما يجب تجاه المكوّن الاجتماعي (الذات العامة للشعب) التي من أجلها المواطن يعمل ويُصلح ويشهد الحقّ ويقولُه ويعمل من أجل إحقاقه، ولكن بمقارنة ما يجب تجاه الشعب الذي ينتمي المواطن إليه

مع ما يجب تجاه الآخرين لا مقارنة. حيث ظهور الانحياز لأبناء الوطن أو بعض منهم ضد الآخرين وإن مال الحق إليهم.

ولهذا يتأهب المواطن للتمسك بالمكان الذي تجاه وطنه؛ فيضحي من أجله، ويحرص على تقدمه، ويعدّ العدة ليرهب بها من أعدّ له عدة، ويقبل الموت في سبيل تحريره إن تعرّض إلى احتلال من عدو. ولكن الذي يتأهب لكل شيء من أجل وطنه حتى وإن كان قرار وطنه غير منصف لا يمكن له أن يتأهب لأوطان الآخرين وأن كان الخلاف معهم ظالما. وبالتالي فإنّ خوفه على وطنه لا يرتقي شعورا متساويا تجاه أوطان الآخرين، ممّا يجعله على غير موضوعيّة فيما يقوله ويفعله تجاه الغير.

وهنا يتّضح المستوى القيمي للتأهب بأنّه لم يتجاوز المستوى القيمي للذات (المتكونة من قيم المجتمع وأعرافه وأماله وآلامه).

الذاتية مستوى معرفي إدراكي؛ فالذات المدركة هي التي تعرف أنّها تعرف أنّ التمرّكز على معرفة الذات لذاتها يؤدّي إلى تمرّكز المعرفة على ما يجب وما لا يجب اجتماعيًا، ولكن ليس دائما كلّ ما يجب على المستوى الاجتماعي هو ما يجب على المستوى الأخلاقي والإنساني؛ فللعصبيّة دورها الانحيازي في بعض الأحيان خاصّة عندما تخاف الآخر. ومثل هذه التربية لا شك أنّها ستهيئ وتؤهب الأجيال على العصبيّة وليس على الحقّ ووجوب إحقاقه. وبالتالي فالمكوّن

الذاتي بالنسبة للمجتمع الذي تنتمي إليه الذات لا يتعارض مع ما
ترغبه العصبية أو تُفضّله.

وعليه: تتكون ذات الإنسان من قيم المجتمع، من أوامره
ونواهيه، ممّا يحب وممّا يكره، فتتوحد آمال المجتمع وآلامه ودينه في
الفرد إلى درجة تتساوى عنده كفتا الحياة والموت من أجل مجتمعه أو
وطنه أو أمته؛ ومن ثمّ يكون متأهبا لذلك وكأنّه مجتمع بأسره، أو أمة
بكاملها نتيجة بناء شخصيته على ما تشرّبه من قيم وأخلاق ونظم
وأعراف وعادات وفضائل وتشريعات اجتماعية؛ فيصبح لسانه لسان
حاله وسلوكه سلوكها، وفعله من الأفعال التي ترتضيها.

ويعدّ التأهب الذاتي مكونا قيميا اجتماعيا على مستوى
الخصوصية وليس مكونا فرديا، فعندما تتجسّد الذات في السلوك، لن
تجد الأنانية (الشخصانية) مكانا لها بين الناس، وعندما تتكوّن في
الإنسان بأمني المجتمع تزيل عنه الأنانية وتغرس فيه الأمة بقيمها، أو
الوطن بكامله، ولهذا يكون الفرد وكأنّه أمة بحاله، وتكون الأمة وكأنّها
الفرد بحاله، وليس بشخصانيته.

وعندما يتأهب الفرد لممارسة السلوك الاجتماعي وفقا
لمرضيات العقل الجمعي، ينال التقدير والاعتراف والاحترام من قبل
أفراد المجتمع، ما يجعل الاتصاف بالذاتية على المستوى الاجتماعي لا

يُعدُّ عيباً كما يعتقد البعض من الباحثين، بل إنّه دال على أهمية التفاعل الاجتماعي في خلق الشخصية المعتدلة بيئياً.

ولسائل أن يسأل:

. ما العيب في أن يتمسك الفرد بقيمه ودينه؟

لا عيب في ذلك، بل العيب إن كان فيهما عيب أن يتّخذها قيماً ويرتضيها ديناً.

إذن لا يمكن أن يكون الإنسان ذاتياً ما لم تتجسد قيم المجتمع في أفعاله وسلوكه، فالذاتية يمكن أن تكون على مستوى الفرد، ويمكن أن تكون على مستوى الجماعة، ويمكن أن تكون على مستوى المجتمع بأسره.

وعليه فإنّ الذاتية تحتوي عناصر القوّة والضعف، وقد يتمّ التمسك بها كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، وقد يتمّ تجاوزها إلى ما هو أفضل، وفي هذه الحالة يحدث التغيّر إلى ما هو أفضل على المستوى الإنساني، وتصبح الحالة التي كانت عليها حالة الفرد أو الجماعة أو المجتمع متأهبة للميل إلى ما هو أفضل (التطلّعية) التي تحتكم بكلّ ما هو منطقي.

وفي مقابل ذلك قد يلاحظ أنَّ البعض غير قادر على المحافظة على الذاتيّة، وفي الوقت ذاته غير متأهّب للميل إلى الموضوعية (التطلّعيّة)، ولكنّه متأهّب إلى الميل إلى الفعل الانسحابي.

ويعدّ التأهّب الذاتي نقطة الاعتدال والالتزان الاجتماعي والانفعالي والنّفسي، وهو مجال وعي الإنسان بإمكانياته في ضوء إمكانيات الآخرين والتصرّف وفقا لهذا الوعي في حدود ما يجب وما لا يجب؛ فالذات هي مجال لامتداد الشّعور الاجتماعي، وعندما تلتزم الشخصية بأوامر المجتمع ونواهيه تصبح شخصية متّسقة، حيث تتّسق فيها الأنا مع نظم المجتمع ومعايير وقيمه المعتمدة بإرادة، وعندما تشكّل قيم المجتمع الإطار المرجعي للإنسان، تسلك الشخصية سلوكا ذاتيا؛ وتتأهّب لما يمكنّها من تجسيده في الفعل والسلوك؛ فتوصف بالذاتية، وعندما لا تلتزم بهذا السلوك وتبتعد عنه متهيئة للسلوك الانسحابي، تُقيّم الشخصية في هذه الحالة على أنّها انسحابية، وإذا لم يتوقّف تأهّبها عند نقطة معينة، لابدّ أن تصل إلى مستوى أقل أو حالة أقل توصف بأنّها حالة أنانية. وهي التي لا تكون إلّا بقبول الأمر الواقع وإن كانت نتائجه سلبية، ولا خروج من الأنانية إلّا باستشعار الأنا للخوف من مخاطر الآخرين؛ فعندما تسود معايير الأنانية تسود الشخصائيّة، وعندما تسود معايير الذات تسود الذاتيّة، وهكذا عندما تسود المعايير الانسحابية والمعايير المنطقية والموضوعية

تسود بالضرورة الشخصيات المماثلة لها. ولهذا تعدّ الذاتية شعرة توازن كفتي الميزان الاجتماعي، فعندما يكون الضمير هو المعيار العام لأفراد المجتمع، يصبح الإطار المرجعي لهم هو الموروث المشترك بينهم بإرادة، وتصبح الذاتية هي نقطة تركز الفكرة، وعندما تميل عن نقطة التمرکز هذه لابد أن تميل إلى ما هو سالب في حالة تغلب النفس الانسحابية، أو تميل إلى الموجب في حالة الاعتماد على الأحكام المنطقية التي يتم فيها الاستماع للآخر وأخذ رأيه فيما يتعلق بالأمر المشترك.

فالذاتية بما يملؤها من خوف تستطيع أن تجسّد سلوكا للموروث الاجتماعي الفكري والثقافي، وكلّ شيء بالنسبة لها على المستوى الذاتي قابل للنقاش والحوار والموافقة وعدم الموافقة، شريطة ألا يتعارض مع الإطار المرجعي للمجتمع المحقّق للاعتبار الفردي والجماعي والجمعي.

فالذات مكوّن علائقي بين الأنا وغاياته وآماله وبين المجتمع وأعرافه ومعتقداته وأنساقه القيمية، ولهذا لا تعدّ الذات من مواليد الطبيعة؛ فهي مجال الحركة والامتداد السلوكي لكلّ خصوصية اجتماعية. فأنا (i) كفرد وأنا كوطن وأنا كدين وعرف تجعل لي ضمير المتكلم (me)، ولا قيم لأنا إلا بالمعنى المصاحب الذي يميّزني عن أنت ويميّزنا عن الآخر (هم)؛ فعندما يتوحّد الموضوع في (أنا وأنت

وهم)، يصبح حال الجميع على الضمير (نحن) اللسان واحد والقضية واحدة والعرف والتقاليد (هي هي) مما يجعل الكلّ من حقّه أن يقول في الوقت الواحد (أنا) ويقول (نحن)، نحن الشركاء، وأنا الشريك، وأنت شريكي. إنّها المكونات الذاتية التي جعلت بين الجميع الضمير الاعترافي (نحن) بإرادة، وعندما يحيد أحدٌ عن (نحن) الضمير المشترك بإرادة يحدث الانحياز والتأهب للميل السالب أو الميل الموجب، وذلك حسب الموضوع المنحرف عنه والموضوع المنحرف إليه؛ فإذا كان الميل من موضوع موجب إلى موضوع آخر موجب يعدّ الميل أو الانحراف موجبا وفقا لدرجة التأهب ومستواه القيمي (ميلا منطقيًا) وتعدّ الحالة (متطلّعة)، وإذا كان الميل من موضوع موجب إلى موضوع أكثر إيجابية يكون الميل والانحراف موجبا وتوصف الحالة (الموضوعية) التي تمّ بلوغ مستواها القيمي بأسباب التأهب التام لبلوغ الموضوعية. أمّا إذا تأهب الفرد للميل من موضوع موجب إلى آخر سالب؛ فإنّ هذا الميل يُعدّ سالبا وتوصف الحالة بالانسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية)، وإذا كان الميل أو الانحراف من الحالة الانسحابية إلى الحالة الشخصية؛ فإنّ هذا السلوك يجعل الحالة أو الشخصية في المستوى الأدنى (مستوى الأنانية) التي لو كان لها من التأهب لكانت في غير ما هي عليه من شخصانية.

التأهّب التطلّعي:

التأهّب قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى؛ وإذا لم يتأهّب الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع تأهّباً لما هو مأمول ويسعى إليه عملاً يبلغه غاية، وهنا يعدّ التأهّب التطلّعي مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذات من حيّز التمرکز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيات التي تميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يُحقّق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلّعيّة تُعدّ منطقة وسطاً بين الذاتية والموضوعية، وهي مجال النشاط الفكري والسلوكي المتميّز عن (الذاتية) والمتميّز عن (الموضوعية)، ولكنّه في الوقت ذاته مكّون مشترك بين مقوّمات الذاتية ومقوّمات الموضوعية، ممّا جعله قاطعاً مستقلاً بذاته في خماسي تحليل القيم¹⁵¹.

¹⁵¹ عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص

وعندما تقتصر رؤى الشخصية على مكوّنات الدّات القيّميّة،
توصّف بالذّاتيّة، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها
ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف
الشخصية في هذه الحالة بأنّها منطقية أو تطلّعية، حيث تتطلّع إلى ما
هو أفضل وفقا لافتراضاتها المنطقية لما هو متوقّع أو مفترض.

والحذور الذي قد يظهر في هذه الشخصية المتطلّعة، هو ليس
كلّ ما يمكن أن يتأهّب له تطلعا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقّعة؛
ذلك لأنّ المتوقّع المتطلّع إليه تأهّب بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات
الإثبات أو النفي، ولذا فإنّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكت
الشخصية أو فعلت أو حكمت وفقا لافتراضاتها؛ فقد تفعل أو
تسلك خطأ، ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ.

وعليه فالإنسان المتطلّع تأهّب للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو
في حالة تطلّعيّة، أي أنّه في حالة النّقلة، من التمرّك على الدّات إلى
حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه
ومعتقداته، ثمّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ
على ما يقصره دائما على تراثه القيّمي، بل هو من يكون في حالة
امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي الوقت
ذاته لا يُفَرِّط في خصوصيّة الذاتية التي جعلت له تاريخا وفيه ما فيه
من الكنوز المعرفية والقيّمية.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذوقية بالخوف تتهدّب تدبرا وتطلّعا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم.

إذن التطلّعيّة تأهّبا هي الشخصية التوافقية، التي تستوعب قيم وفضائل (الذاتية) وتتفتح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة، وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤولية على مستوى الذات ومستوى الآخر، وعندما تتأهّب الشخصية لتجسيد هذا المفهوم التطلعي توصف بأنّها متطلعة ومستواها الفكري هو على المنطقية.

ولذا فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسلوك بالتمام، يُفسح مجالا جديدا للعقل والنفس وتتأهّب منطقا بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النفس تسعى لما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التأهّب والتطلّع للأفضل، الذي يحافظ على الهوية والخصوصية، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه. وهذا لا يعني أنّ كلّ تأهّب وكل ميل هو موجب، فعندما تتأهّب الشخصية وتميل من حالة التمرّكز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيمية تصبح الشخصية

على حالة من الانسحابية؛ فتوصف في هذه الحالة بالشخصية الانسحابية التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلّعية تأهّباً هي مرحلة من الوعي يُمكن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنّ التطلّعية هي حالة تأهّب ووعي بالحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تُعدّ مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصية المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرّ من التعامل معه.

ولأنّ (الذاتية) هي ما يدور من حوار بين الرغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات، في حدود الدّين والعرف والقيم السائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلّعية هي درجة من الاعتراف بأنّ لآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوقاً وواجبات ومسؤوليات ينبغي أن تُقدّر وتُحترم، وإن لم تُقدّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة، ولذا فمن غير المنطقي أن يتمّ تجاوزها أو إغفالها، كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيمية للشخصية المتأهّبة أقول:

1. الأنانية: معيارها الشخصانية (أنا كلّ شيء).

2. الانسحابية: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولاً، وإلا..).

3. الذاتية: معيارها العاطفة (نحن كلّ شيء).

4. التطلّعية: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5. الموضوعية: معيارها العقل (نحن معا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتأهّب للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدر قيم الآخر ومعاييرها، في هذه الحالة تعدّ ذاته في حالة تطلّعية، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيرة بغض النظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعية، وتُعدّ معاييرها إنسانية. ولذا عندما تميل كفة المعايير العامة بمنطق على حساب كفة المعايير الخاصّة، حينها تتأهّب الشخصية وتميل إلى الموضوعية فتوصف بالتطلّعية، وعندما تتأهّب وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشخصية في حالة ميلان إلى الأنانية.

ومع أنّ المنطق يفترض أنّ النّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، فإنّ الواقع قد يثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الآخر في حالة إيثار حيث يُقدّم من هو في حاجة أو من هو أفضل

على من هو أقل، ولذا فالشخصية المؤثرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحق وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} 152.

وهنا فالشخصية المتطلّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، بل تمتدّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتأهب للمغالبة وتميل إليها.

التأهب الانسحابي:

التأهب الانسحابي قرار مبدئي للتخلي عمّا كان متمسكا به، أو سحب الثقة من ذلك المتمسك به أو المعتقد فيه؛ فيصبح الانسحاب شيئا فشيئا بمزيد من التنازلات، أي بعد تلك المدافعات والمرافعات عمّا كان مبدأ أو قيمة أو معتقدا أصبح التخلي عنها في حالة تتابع وكأّتها مسبحة وقد انقطع الخيط الذي كان بنظمها.

ومع أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه وذاتي بالضرورة، فإنّ هذه الضرورة قد يتمّ التخلي عنها والانسحاب عمّا تدعو إليه كلّما مرّت الشخصية بمواقف تفقدها ثباتها وصمودها، وعندما تحيد الشخصية عن مستواها الذاتي؛ فحيادها لا يلغي أنّها اجتماعية الطبع والتطّبع،

152 . سورة الحشر، الآية 9.

ولكن تأهّب الفرد للشيء يجعل الشيء أمرا واقعا. فإن تأهّب للتطّلع تطّلع إليه، وإن تأهّب للموضوعية والارتقاء علما ومعرفة وإيمانا وثقة أصبح موضوعيًا، وهكذا أن استمرت الشخصية المنسحبة في انسحابها من قيم الذاتية الاجتماعية ستصل في النهاية إلى المستوى الأناني ممّا يجعلها مندرجة تحت الشخصية الأنانية التي تعتقد أنّها مركز العالم في الوقت الذي هي فيه سلبية حيث لا تفاعل ولا تطّلع لما يجب التطّلع إليه، مع وافر ما تسلكه من سلوكٍ سالبٍ تجاه القضايا والمواقف والمواضيع التي ينبغي أن يكون لها دور متفاعل تجاهها.

فالذات باعتبارها مكوّنًا قيميا ومركزا لاندماج المشاعر والعواطف على المستوى الاجتماعي، تشكّل رقبيا على الأنا وأطماعها الشخصية، وتكوّن قاعدة عريضة لأفرادها وجماعاتها المتهيّين للتطّلع تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقق لهم مستقبلا أفضل. ولهذا توقّعات الذات من أفرادها وجماعاتها هي دائما أن يكونوا مثالا اجتماعيا يصبو لما هو أفضل، ولكن هذا التوقّع أو ذلك الافتراض، لن يتحقّق دائما، بل في بعض الأحيان والظروف يتحقّق ما هو أدنى أو أقل من المتوقّع. وعندما يسلك الفرد سلوكا أدنى أو أقل قيميا ممّا ينبغي، أو أن يتخلّى عن أداء المهام والمواقف أو ينسحب من ميادين أدائها، في هذه الحالة يوصف بالانسحابي (ذاتية تميل إلى الأنانيّة).

إذا على المستوى الذاتي يتوقع المجتمع من أفرادهِ الالتزام بأوامره ونواهيه، ويتوقع منهم أيضا أن تكون شخصياتهم تطُّعية، وفي الوقت ذاته يودُّ أن يكونوا حريصين على التمسُّك بذات المجتمع التي تميزهم عن غيرهم، وتحافظ على هويَّتهم، ولكن لا يودُّ لهم التقدُّم بدون تأهَّب، ذلك لتوقعه أنَّ التقدُّم دون تأهَّب هو الذي سينهي خصوصياتهم العقائدية والثقافية والقيميَّة، ولا يودُّ لهم الانسحاب جِنا من ميادين إثبات الهوية، إنَّه لا يقبل التخلي عن الذات ولا يسمح لأحدٍ من أفرادهِ بالتفريط فيها، ومن يسلك أو يفعل ذلك توصف شخصيته بأنَّها شخصية انسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية).

إنَّ تأهَّب الشخصية للميل عن التمرُّكز على الذات إلى الاستحسان فيما تودُّ أن تقدِّم عليه بشخصانيَّة، أو ترغب في فعله والقيام به، يجعلها في حالة مراجعة لما كانت تؤمن أو فيما كانت تعتقد، وعندما تصحو من غفلتها، تتطلَّع، وعندما تتعمَّق في غفلتها تستجبن وتنطوي وتراجع إلى ما هو أدنى بالمنظور الذاتي، ولكنَّه قد لا يكون أدنى بالمنظور الشخصاني Personalism، فالشخصانية يتمركز تفكيرها على ما يُفيد أنا، دون وضع أهمية للآخرين، أي المهم أنا. والأنا هي المتجرِّدة من عاطفة الانتماء الاجتماعي الذي يُبرز أهمية الذات على أهمية الأنا. أمَّا عندما تصبح الشخصية في حالة ميل من الذاتية إلى الانسحابية؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّ الشخصية لم تتخلَّ

عن كافة مكونات ذاتها، بل إنّها أصبحت متأهبة للتخلّي عن شيء منها، والذي يجعلها في حالة مغالبة هو تفضيلات الأنا على تفضيلات الذات الاجتماعيّة، وهذا الأمر يؤدّي بالضرورة إلى مغالبة معايير الأنا ورؤاها على معايير الذات ورؤاها.

والفرق بين الشّخصية الانسحابية والشّخصية المتطلّعة هو أنّ الانسحابية متأهبة للميل إلى الاتجاهات ذات المردود (السّالب) بمعايير الذاتية الاجتماعيّة، أمّا الشّخصيّة المتطلّعة فهي المتهبّة إلى الاتجاهات ذات المردود (الموجب)، وهذا لا يعني أنّ كلّ انسحاب هو ذو مردود سالب، ولا كلّ تطلّع هو ذو مردود موجب، فعندما تنسحب الشّخصية من القيام بالأفعال المؤذية والمؤلة خوفاً، فإنّ ذلك الانسحاب يعدّ انسحاباً موجبا، وعندما تتطلّع إلى ما هو مؤلم وضار؛ فإنّ تطلّعها هذا يعدّ تطلّعاً سالباً، وتوصف هذه الشّخصية بالشّخصية السّالبة أو الانسحابية حيث انسحابها من ميادين العمل الموجب وميلها إلى ميادين العمل السّالب الذي فيه من الآلام ما فيه.

وتعدّ الانسحابية مكّونا من مكّونات الشّخصية القابلة للانحراف والهدم السلوكي، وليس مكّونا بنائياً؛ فالشّخصية التي ترتكب أو تسلك الأفعال غير المقبولة أو غير المفضّلة اجتماعياً ثمّ تكفّر عن ذاتها، وتعود مرّة ثانية، وتندم بين الحين والحين، ثمّ تعود إلى ما فعلت، وهكذا، تُعدّ هذه الشّخصية متردّدة ومتبدّلة؛ لمغالبتها القيم

المتبدلة على القيم الثابتة المفضلة. وعندما يصل الحال بالشخصية إلى أن تقطع كل علاقتها مع كلٍ موجب، ومع كلٍ ما بني على القيم الضميرية أخلاقاً؛ فإنّها لن تتوقّف عن انسحابها إلى أن تصل إلى حالة الانطباع بالخصائص الأنانية والأفعال الشخصية، وفقاً لخماسي عقيل لتحليل القيم¹⁵³.

إذن تأهّب الأفراد للشيء سواء أكان موجبا أم سالبا يجعل من شخصياتهم بين الإيجاب والسلب، ممّا يجعل لكلٍ منهما بدايات معلومة ونهايات غير معروفة، قد تصل فيه حالة الشخصية المنسحبة من فضائل المجتمع الخيرة وقيمه الحميدة إلى درجة من التوتر الذي يؤدّي بها إلى فعل السوء لمن يتعارض مع مصالحها أو تعتقد أنّه يشكل خطراً عليها أو على ما تسوّله النفس وتعتبره منافع لا ينبغي غيرها أن يشاركها فيها، {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}154. النفس الأمارة بالسوء هي النفس المائلة للشهوات، والمبتعدة عن الأفعال المنطقية والأخلاقيّة التي تجعل الإنسان في حالة وعي وتمييز متّزن بين ما يجب وما لا يجب.

وعندما يحدث التحلّل من العلائق القيمية الاجتماعية الضابطة للسلوك، سواء أكان هذا التحلّل على مستوى الأسرة أم

¹⁵³ عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

¹⁵⁴ . سورة يوسف، الآية 53.

الجماعة أم المجتمع بكامله، تحدث الانحرافات والميول التي تُغيّر سلوكيات وأفعال الأفراد من مكانة اجتماعية إلى مكانة أخرى، ومن موقف إلى موقف، مع اختلاف درجة تأثيرها من شخص إلى شخص آخر. وفي مثل هذا الأمر نجد الشّخصية الانسحابية المتردّدة، أو المتطرّفة والمنفعيّة، والمصلحيّة الخانعة، ومسلوبة الإرادة وغير المبالية؛ فكلُّ هذه الصّفات تحتويها صفة الشّخصيّة الانسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية)، التي تنمو فيها مغالبة الرّغبات والشّهوات الخاصّة على الرّغبات والضوابط العامّة، فتميل إلى ما تأهّبت إليه من سلوك متعارض مع القيم الحميدة والمعارف الضميرية، فتُثقل على المطالبة بالحقوق والابتعاد عن أداء الواجبات وتجنّب حمل المسؤوليات؛ ذلك لأنّها شخصيّة انسحابية.

ولأنّ الانسحابية مرحلة يملؤها الخوف بين إرادة سلبية، وبين كرهٍ كما هو في مرحلة اليأس التي هي مرحلة عمرية نفسية ضعفا ووهنا؛ فهي عندما تسود يسود الوهن في العقل والجسم والقدرة والاستعداد؛ فيحدث الانسحاب، ويسود النفس في بعض الأحيان التردّد، أو التخلي عن أداء ما ينبغي أن يؤدّى بين الناس قيما حميدة وفضائل خيِّرة.

وحالة اليأس هذه لا تقتصر دائما على المرحلة المتقدّمة عمريّا، بل في بعض الأحيان تسود الشخصية الانسحابية وهي في

ربيع العمر عندما تستسلم للأمر الواقع، نتيجة الضعف الذي يلمّ بها، وهو في كثير من الأحيان تسببه الحاجة، أو الرغبة فيما لا يجب، أو الجبن أثناء المواجهة من عواقب الأمور، وهذه من مبررات النفس اليائسة القانطة من رحمة الله، أمّا النفس التي لا تيأس ولا تقنط من رحمته فهي التي دائما يراودها الأمل، ولذا نراها متأهبة للجد والاجتهاد فتسعى حتى بلوغ الأمل الذي جعل منها شخصية متأهبة متطلّعة تمتلك الحُجّة والمنطق المحقّق لإحداث التّقلّة إلى ما هو أفضل وأعظم.

وعليه فإنّ التأهّب للانسحاب هو نتاج مقارنة عقلية بين ما يعانيه الفرد من ضغوط الحاجة أو الثقافة أو السياسة، وبين ما هو عليه من إمكانيات سواء أكانت مادية أم معنوية، ممّا يجعل الانسحاب يحتاج إلى وقت كافٍ لذلك؛ فالانسحاب لم يكن قرارا قابلا لأن ينقذ في ساعة واحدة، بل هو مولود المعاناة والضغط النفسية والمادية والسياسية على شخصية الإنسان الذي من وجهة نظره لا يرى شيئا ينقذه من هذه التّأزّمات إلّا الانسحاب مما هو فيه أو ممّا هو عليه. ولذلك فتحقيق الشخصية الانسحابية يحتاج إلى:

. زمن الاستيعاب: الفترة التي تُمكن المنسحب من استيعاب المتغيرات والمبررات الجديدة.

. زمن الانفكاك النسبي: الفترة التي تُمكن المنسحب من التخلُّص من الارتباطات القيمية السابقة، والعلائق التي انتظمت على مستوى الذات.

. زمن الارتباط: الفترة التي يكون فيها المنسحب علائق جديدة مع الوسط القيمي الجديد.

. زمن الفعل: فترة التبدُّل التي تُمكن المنسحب من الإقدام على الأفعال التي كانت محرمة أو محذوفة من قاموسه القيمي.

. زمن العادة: فترة التكرار السلوكي مع الديمومة بما يشكِّل الخصوصية الجديدة والسلوك الجديد.

ومن هنا لا يمكن أن يتمَّ التغيُّر نُقْلة واحدة من التمرکز على الأنا أو الذات أو الموضوع، بل لابدَّ من مسافة تسمح بالامتداد للممتدِّ وتسمح بالانكماش للمنكماش، وكذلك لابدَّ من زمن لكلِّ امتداد أو انكماش. ولا يمكن أن تكون الذات مكوِّنا مستقلا عن الأنا أو الموضوع، ولا يمكن أن تتجرَّد من الميلان إلى الموجب أو السَّالب، ولكن كلُّ حسب الظَّرف والموضوع والمتغيرات المدخلة أو المخرجة.

ولذا عندما ينسحب الفرد من موقف لموقف، أو من موضوع لموضوع؛ فهو بالضرَّورة يضع نفسه في مكان التخلِّي عن موقف أو

موضوع ما والتأهّب لموضع آخر يجد نفسه منحازا إليه، وهذا لا يعني أنّ كلّ انحياز هو ذو عائدٍ سالبٍ، بل هناك من الانحيازات ما هو ذو مردود موجب، كالانحياز للحقّ والعدل، أمّا الانحياز للعبودية والظلم؛ فهو انحياز ضعف وجبن ووهن سالب، وهذا النوع من الانحيازات هو الذي تمتدّ فيه الشخصية الانسحابية إلى النهاية.

التأهّب الأناني (Egoism)

ومع أنّ التأهّب قيمة، ولكنّه لا يكون قيمة إلاّ بين سالبٍ وموجبٍ؛ فإن كان التأهّب للموجب وعُمل من أجله كان العمل موجبا، وإن كان التأهّب للسّالب وعُمل من أجله كان العمل سالبا، أمّا التأهّب الأناني فهو يتعلّق بتوجيه التأهّب وفقا للرغبة الخاصّة بمطمع خاصّ حتى وإن كان على حساب الغير، أو حتى وإن كان فيه ضرر للغير، ممّا يجعل عنوان الأنانية (أنا ومن بعدي الطوفان) وكأنّ العالم خلق للأنا دون غيرها.

فالأنا هو ضمير يعود على من ينطق به؛ فأنا يشير إلىّ وأنت تشير إليك، وهم تشير إلى من لم يكن أنا وأنت، ونحن تحتوينا، وتستنّين غيرنا. وترتبط الأنا بالأنانية عندما تخرج عن الذات والموضوع، وفي هذه الحالة توصف بأنّها في حالة ميل أو انحراف سلوكي يؤدّي بها إلى الأنانية، حيث إظهار السلوك الأناني على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ في الوجود أو الظهور المماثل.

فالأنانية مرحلة من مراحل الجبن المكوّن للشخصية الفاقدة للقيم والثقافة والسلوك الاجتماعي والإنساني، والمستجيبة للرغبات والأهواء والأطماع الخاصة، التي تأهّب الفرد بها سلوكاً وفعلاً وعملاً أنانيّاً، حيث لا مكان في نفسه للقيم والفضائل التي تكون ذات المجتمع والانتماء إليه.

وترتبط الأنا بالآخر والموضوع عندما تكون العلاقة موجبة، وتنفصل عن الآخر والموضوع عندما تكون العلاقة سالبة، وكلّما ظهر الأنا مع الآخر في الموضوع الواحد وهما في حالة تساوٍ وفق الحاجة والجهد قويت العلاقة بينهما، وكلّما ظهر الأنا أنانيّةً على حساب الآخر ضعفت العلاقة بينهما، وقد يحدث الصدام وتسود الفرقة إلى حين الالتزام بحق الآخر في الموضوع دون منّة؛ فالأنا الموجبة هي التي تتمسك بما لها من الموضوع دون أن تمسّ حق الآخر فيه.

وعندما تكون أهمية الأنا وعيا عند الآخر، وتكون أهمية الآخر وعيا عند الأنا، تصبح الأنا متأهّبة بالخوف الذي به تتمكّن من الاعتراف بحق الجميع في الموضوع العام، وفي مقابل ذلك عندما تعمّ الجهالة الأنا والآخر في الموضوع المشترك يُطمس أحدهما على حساب الآخر ويسود السلوك الأناني الذي تترتب عليه الأفعال السالبة.

وبما أنّ لكل فرد خصوصية تميّزه عن غيره وفقاً لقدراته واستعداداته وميوله وثقافته، إذن فلا داعي لطمسها، بل من الواجب

إظهارها بما يمكنها من أداء مهامها الخاصة بموضوعية واعتبار، وعندما لا تطمس الخصوصية لا تطمس الذات العامة التي هي مجموع تفاعل الخصوصيات، فأنا كفرد أعرف أنّ ليّ حقوقا وعليّ واجبات، ولذا أتحمّل المسؤولية مع الآخرين الذين لهم علاقات بالمواضيع المشتركة بيننا.

ولأنّ لكلّ أنا عاقل حقوقا يخاف عليها، إذن بدون شكّ إن لم تعط له بإرادة ليس له بدّ إلّا أن يأخذها بالقوة، وله الحقّ في التصرّف الحرّ في حقوقه، ولا يحقّ له الامتداد على حساب حقوق الآخرين، ولا يحقّ لأحدٍ أن يقيّده عن ممارسة حقوقه، وإذا وُضع القيد على الحقوق وجب فكّها أو كسرها بالقوّة، ولا ننسى ما يتركه وضع القيد من أثرٍ على الأنا، الذي بلا شكّ سيفكّر تأهّبا مرتين أو أكثر قبل أن يفعل أيّ أمر، وسيضع إشارات الاستفهام والتعجّب على من كان سببا في وضع القيد، وقد تحدث المواجهة كلّما توافرت اشتراطاتها، ولكي تصبح حركة الأنا موجبة ينبغي أن يفسح له الامتداد في مجالات العلاقات القيمية الآتية:

. مجال العلاقات القيمية الاجتماعية.

. مجال العلاقات القيمية الإنتاجية.

. مجال العلاقات القيمية السياسية.

. مجال العلاقات القيمة النفسية.

. مجال العلاقات القيمة الدوقية.

. مجال العلاقات القيمة الثقافية.

وعليه إذا لم يُسمح للأنا بحريّة الامتداد في المجالات العلائقية السابقة تصبح الأنا في حالة سلبية تؤدّي بها إلى ارتكاب الأفعال التي تضفي عليها صفة الأنانية (الشخصانية)، وعندما تصبح الأنا مملوءة أنانية، تظلّ فاقدة لمكوّنها الإنساني؛ فلا تعطف ولا تخاف ولا تقدم على ما من شأنه أن يجعل لها شأنًا اجتماعيًا وإنسانيًا.

ولسائل أن يسأل:

لماذا بلغ الحال بها إلى هذا المستوى الشخصاني؟

أقول:

لأنّ التآهّب بأسباب الغفلة والجبن قد سكن فيها سكونا؛ فلا حركة ولا امتداد. ولذا فمع أنّ الذي لا يخاف لا يُخيف، فإنّه يشكل عبئا على الآخرين الذين يخافون على الجميع.

وفي مقابل أخذ الحقوق ينبغي أن يتأهّب الأنا لتأدية واجباته، وإذا لم يتمّ أخذ الحقوق بإرادة، فلن يتأهّب إلى تأديتها، ومن ثمّ، فلا

ينبغي أن يُطلب منه أداءها، ذلك لأنّ الواجبات تؤدّى في مقابل أخذ الحقوق، حيث تماثل أخذ الحقوق مع أداء الواجبات.

وإذا لم تؤدّ الأنا واجباتها بالتمام في ضوء ما تأخذه من حقوق تصبح الأنا ذات خصائص وصفات أنانية، ولهذا ترتبط الأنا بالشخصانية والفردية عندما تنفصل عن الموضوع والذات، وترتبط بهما عندما تنفصل عن الأنانية (الشخصانية).

ولأنّ الأنا إثبات وجود موجب عندما تتماثل فيه ممارسة الحقوق مع أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات، لذا فإنّ لم يتمّ التماثل الموجب، تصبح الأنا في منعرج السلوك الأناني الشخصاني الذي يُقيّم الأمور من زاوية تحقيق المنفعة التي تعود عليه، بغض النظر عمّا يصيب الآخرين من ضرر، ممّا يجعل لسان حال الأنا (المهم أنا).

ومع أنّ المسؤولية عبء وحمل ثقيل؛ فإنّها ضرورة للأنا، وفي الوقت ذاته هي حقّ يجب أن يؤخذ، وواجب ينبغي أن يؤدّى، ولذا تعدّ المسؤولية الضلع الثالث في مثلث ممارسة الديمقراطية، حيث لا ديمقراطية بلا تأهب يُمكن من ممارسة الحقوق، ولا ديمقراطية بلا تأهب يُمكن من أداء الواجبات، ولا ديمقراطية بلا تأهب يُمكن من حمل المسؤوليات وتحمل ما يترتب عليها من أعباء.

وعليه:

فمن زاوية نظرية أنّ لكلّ (أنا) حقوق وواجبات ومسؤوليات،
ومن واقع فعليّ قد لا تمتلك الأنا شيئاً من هذه المكوّنات الرّئيسة
لمثلث ممارسة الدّيمقراطية، ممّا يجعلها فاقدة لذاتها، ولا مفرّ لها من أن
تسلخ عنها لتمارس السلوك الأناني والشخصاني كرّدة فعل.

ومع ذلك ليس دائماً الأنا تسلك أو تفعل نتيجة ردود أفعال
سالبة، بل في بعض الأحيان تمتلك الأنا كلّ الحقوق والواجبات
والمسؤوليات المتعلقة بها ثمّ فوق ذلك تمتد طمعا على حساب ما
يمتلكه الآخر، فتوصف هذه الأنا بالطّامعة الفاقدة لقيم الاحترام
والاعتراف والتقدير والاعتبار للآخرين.

وبناء على ما سبق أتساءل:

لماذا يودُّ البعض أن يُظهر أنانيته (شخصانيته) على حساب
قيم وفضائل المجتمع الإنساني؟

أقول:

متى ما تأهّب الفرد لضيق أفقه ضاق به أفقه أو ضاق عليه،
فتصبح رؤيته ضيّقة وتفكيره قاصراً، ممّا يجعله في حاجة لمن يخرجّه من
همّه وغمّه؛ ولهذا ستظل الأنانية مرض (اجتماع نفسي) يمكن
للمتخصصين الاجتماعيين والنفسيين التعامل معه بعد دراسة
موضوعية وافية؛ فانتشار المظالم بأنواعها المتعدّدة وفي كلّ المجالات

(السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والذوقية والثقافية) ينتج الكثير من التآزمات التي تؤدّي بالبعض إلى الانسحاب من ميادين المنافسة وإثبات الذات والتطلّع إلى صناعة المستقبل.

ومع أنّ مكانة الأفراد والجماعات والمجتمعات ذات علاقة بالتاريخ والقيم والفضائل التي تصنع الهوية، فإنّ البعض لا يضع لكلّ ذلك أهميّة؛ فينسحب من بعض القيم والفضائل المرسّخة للمكانة والهوية، وينطوي على أناته وكأثما العالم بأسره، في الوقت الذي هو فيه غافل عمّا يجب تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

ولأنّ للفروق الفردية أثر على مكّونات الشخصية، فالأفراد يتفاوتون في درجات التمسك بما يجب، ودرجات التخلّي عمّا يجب، وفي درجات التقبّل والرفض، ممّا جعل لكلّ أحد مستوى من المستويات القيمية في خماسي تحليل القيم.

ومع أنّ الإنسان قد خلّق في أحسن تقويم، إلّا أنّه خلّق ضعيفا من حيث أنّه لا يكون قادرا على الحياة ما لم تتلقّفه أيدٍ آمنة تمّده بالرّعاية والعناية كما تمّده بحنان الأبوة والأمومة والأخوة، ومع أنّ هذا الإنسان الضّعيف خلّق ضعيفا، فإنّه قادر على استمداد القوّة وإظهارها متى ما شاء، ولهذا يتظاهر البعض بالقوّة بين الحين والحين كلّما عرف بأنّ الآخرين في حالة وهن وضعف، فيتمرّد البعض على المساكين، والبعض الآخر يتمرّد على الظلم في مصادره؛ فنجد البعض

ينسحب من ميادين أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات، في مقابل إقدام البعض الآخر على أدائها، مما يجعل التمرد على المساكين في دائرة الممكن سلوكا سالباً لا يقدم عليه إلا الجبناء، ويجعل التمرد على الظلم سلوكاً موجبا لا يقدم عليه إلا من كان لبنة تأهب لصناعة التاريخ.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو على حالة من التأهب بين سلوكٍ موجبٍ وسلوكٍ سالبٍ، إذن لا استغراب فيما يفعل، بل الاستغراب ألا يفعل، وعليه، فالإنسان الذي عصي الله الذي خلقه لا يُستغرب منه أن يعصي المجتمع الذي لم يخلقه، ولذا فالأنانية عندما تسود أفعالها تُنسي الإنسان معرفة من هو؟ ومن الذي خلقه؟ ولماذا خلقه في حاجة والخوف في مكُوناته؟

أقول:

خلقته على الحاجة ليكون متأهباً وخائفاً حتى يبلغ مشبعاتها، وخلقته على الضّعف ليكون متأهباً وخائفاً حتى يستمدّ القوّة، وخلقته قاصراً حتى يتأهب إلى معرفة التمام، وخلقته جاهلاً حتى يتهياً ويبلغ درجات العلم الرفيعة، وخلقته فرداً متأهباً وخائفاً ليكون مفردة من مفردات المجتمع الآمن.

التأهب الموضوعي (Objectivity)

التأهب الموضوعي تأهب عن حُسن تدبّر وتدبّر وتفكر واختيار وإرادة حيث لا ضغوط سوى التأهب لما يجب؛ فمع أنّ التأهب واحد لا يتجزأ، فإنّه على السُّلم القيمي درجاته لا تتساوى؛ فمنها التأهب الذاتي الذي لا يتعدّى الروابط الاجتماعية، ومنها التأهب التطلعي المحتوي للذات والمتطّع لكلّ ما لم يكن على حسابها، ومنها التأهب الانسحابي الذي فيه تتخلّى الشّخصيّة عن بعض القيم المفضّلة لدى أفراد المجتمع وجماعاته، ومنها التأهب الأناني الذي يغالب الجبن فيه صاحبه، ممّا يجعل التأهب والخوف ساكنا حيث لا حركة تؤدّي إلى معرفة الحلّ.

أمّا المستوى القيمي للتأهب؛ فهو التأهب العدل الذي لا يسعى صاحبه إلى قول باطل، ولا ارتكاب مظالم، ولا سلوك ليس بقدوة، حيث لا انخياز لعصبيّة بغير حقّ، ولا إقصاء لمن له حقّ، ولا تغييب لمن عليه أداء واجب أو حمل مسؤولية.

فالمستوى القيمي للتأهب الموضوعي يأمل الحلّ الذي يقضي على الألم كما يقضي على ارتكاب المظالم، وأصحاب هذا التهيؤ هم الذين يشحّصون الحاضر، ويستقرّئون المستقبل؛ فيقررون ما يجب، ويحرّضون عليه، ويبيّشرون به، ويرشدون إليه.

ولذا كلّ شيءٍ عندما يتطابق مع ما يجب يكون في محله متطابقا موضوعيًا، وكلّ شيءٍ عندما يتميّز عن غيره بما يجب، ينبغي أن يكون تميّزه في محله موضوعيا، ولهذا التنوّع والتمييز والاختلاف والتباين من الطّباع الموضوعية التي يجب أن تُقدّر وتُعتبر وتُحترم ويتم الاعتراف بها في دائرة الممكن.

وعليه تُعد الموضوعية مكّونا قيميا استيعابيا تندمج فيه المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسلوكيات تؤدّي من قبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيمية ذات أبعاد ومرامٍ إنسانية خالية من التعصّب والتحيز خوفا من سيادة المظالم والمفاسد على حساب الأمن والسكينة.

إذن الموضوعية مستوى من القيم والفضائل الإنسانية، فيها تسود أخلاق المساواة بكلّ شفافية دون أن يسود أحد على حساب سيادة آخر، فلا تحتكم إلّا للعقل، فبعد أن كانت الشخصية تحتكم في قاطع ذاتية تميل إلى الموضوعية (التطلّعية) بالمنطق الذي يعتمد في أحكامه على ما هو متوقّع أو مفترض، أصبحت تحتكم بالعقل الذي به تتميّز في أحكامها وسلوكياتها بعد أن تتبيّن الحقّ من الباطل والخير من الشر وما يجب وما لا يجب مخافة من المظالم.

فالموضوعية مستوى من مستويات التفكير الإنساني الورع، حيث يخاف الإنسان من ارتكاب الأفعال الظالمة ومن المترتّب على

فعل الظلم. ولا يمكن أن تكون الموضوعية سلوكا أو فعلا ما لم يرتق التفكير إلى مستوى توفّر الثقة الدّاعمة للإرادة، والممكنة للفرد من اتخاذ قرار إنساني عن وعي وبتجرّد.

في هذا المستوى القيمي الموضوعي تُقيّم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعات خوفا على الجميع وبكلّ موضوعية عندما تتوافر معطيائها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولذا فإنّ الموضوعية مرحلة وعي متقدّم على مستوى الثقافة والفكر الإنساني؛ فهي المملوءة بالمخاوف من أجل التأهب للحقائق المجردة قولاً وعملاً وسلوكاً وفعلاً؛ فلا تميل كلّ الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة خوفاً من ارتكاب الأخطاء أو المظالم، ولهذا فالموضوعية مرحلة تيقّن ومعرفة يتهيأ بها العقل ليتجاوز مراحل الانحرافات والميول السّالبة التي تحيد أفعالها كثيراً أو قليلاً عن الحقيقة، وتنحاز إلى غير ذلك، إنّها المبتعدة عن المنقوص والمتمسّكة بكلّ فعل تام.

المستوى القيمي للتأهب الموضوعي فيه تُقيّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذاتية في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرّف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي (الأنانية) و (التطلّعية)، بل هي

حالة من الانسجام والتطابق مع مبررات المواضيع ومعطياتها العلمية،
ولذا فإنَّ الموضوعية تتمركز دون تردّد ولا جبن على:

. التجرّد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشخصانية.

. لا تعترف إلّا بما يجب، ولا تؤدّي إلّا الأفعال الواجبة
السّلوكة.

. تُقيّم الأنا والذّات والآخر بمنظور معياري، لا بمنظور مزاجي
عاطفي ولا بمنظور شخصاني.

. السّلوكة والأفعال الحضارية المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكلّ
خصوصية.

. الاعتراف بوجوبية أخذ الحقوق.

. الاعتراف بأحقّية أداء الواجبات.

. الاعتراف بأهمّية حمل المسؤوليات.

. التقدير لمن يجب ولم يجب.

وعليه: فإنّ التّأهّب الموضوعي يحقّق الشّخصيّة المتوازنة معرفة،
كونها تعتمد على قوّة البصيرة التي تمكّنها من معرفة الحقيقة، وتميّزها
عن غيرها من الأنفس، {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى

مَعَاذِيرُهُ {155؛ فالْبَصِيرَةُ قُوَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَاعِيَةٌ يَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِهَا الْإِنْسَانُ
الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردد، لثقتة
فيما يفعل أو يسلك عن معرفة سبقتها متأهبات صائبة.

ولسائل أن يسأل:

. من أجل ماذا التأهب الموضوعي؟ ومن الذي يتّصف به؟

أقول:

التأهب الموضوعي من أجل الحقّ ليس إلّا، والذي يتّصف به
هو السّاعي لإحقاقه.

ولهذا فالذين يسعون دائماً لإحقاق الحقّ لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون، أي أنّ الذين استقاموا لا اعوجاج فيهم؛ فهم على
الصّراط، ولكن متى يكون الإنسان على الصّراط؟

أقول:

عندما تمتلئ نفسه بالسّكينة حتى تصبح مطمئنة، مصداقاً
لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ

¹⁵⁵ القيامة 14، 15.

أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ {156}.

إذن الموضوعية يملؤها التأهب والأمل لا يفارقها من أجل
إظهار الحقيقة مهما اختلف الزّمان والمكان والثقافة أو الدّين والعرف؛
فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثّر سالب أم ذات مؤثّر موجب؛
فالكذب حقيقة والصّدق حقيقة، والنفاق والرّفص والتمرّد حقائق
كغيرها من الحقائق، والموضوعية هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، وفي
المنطق الموضوعي ليس عيباً أن يقال للكاذب كاذب، وللسّارق سارق
وللصّادق صادق، بل العيب ألا يقال ذلك حقيقةً. هذه هي
الموضوعية كحقيقة لا تتبدّل ولا تتغيّر مهما تغيّر الزّمان والمكان أو
تغيّرت وجهات نظر الأفراد وتبدّلوا نتيجة تعرّضهم إلى مؤثّرات
ومتغيّرات من الدّاخل أو من الخارج.

وبما أنّ الحقيقة هي ما يتطابق مع الموضوع، إذن ليس
بالضرورة أن تكون الموضوعية منطقية، وذلك لأنّ معايير الحقيقة
ليست هي المعايير المنطقية، فمعايير الحقيقة هي الصّدق والثبات، أمّا
معايير المنطق؛ فهي الافتراض والتوقع؛ فالإنسان كونه موجوداً وجوده
حقيقة موضوعية وليس وجوداً متوقّعا، وتفكيره منطق، ذلك لأنّ
التفكير مرتبط أو مترتّب على وجود الإنسان باعتباره متميّزاً بقدرات

¹⁵⁶ فصلت 30، 31.

العقل المفكّر، والحكم على أنّ الإنسان موجود وأنّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعية، ولكن ليس بالضرورة أن كلّ إنسان موجود هو مفكّر، حيث أنّ البعض موجودون ولكنّهم فاقدون حاسة التفكير والتذكّر اللذين هما من خاصيّة الإنسان، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضرورة أن يعكس الحقيقة على ما هو واقع.

وفي الموضوعية ينطبق الحكم على المحكوم، حيث تطابق المعطيات المثبتة بالملاحظ أو المشاهدة، وإذا لم ينطبق الحكم على المحكوم تصبح الحالة المحكومة تحسّ بالظلم؛ فترفض وتطالب بالنقض، وإلاّ ستمتدّ وتثور بأسباب التأهّب والخوف من مصدر الظلم، ولذا عندما يتطابق الحكم أو الفكرة مع الواقع تسود الموضوعية؛ فتصبح سلوكا أو فعلا ماثلا إثباتا وليس افتراضا.

وعليه: عند إجراء الدراسات والبحوث العلمية لظاهرة أو مشكلة ما يطلب البعض من الباحث موضوعيا أن يتجرّد من خصوصيته الاجتماعية والتشريعية التي بها يتميّز عن غيره، لكي لا يتأثّر بها عاطفيا على حساب موضوعية البحث العلمي، ولكن إذا كان الأمر كذلك، هل تُعدّ الخصوصية عيبا علميا يجب تلافيه، أم أنّها تُعدّ ميزة علمية ينبغي ألا تُهمَل بالبحث الموضوعي؟

أقول:

إذا كانت الخصوصية ذات تأثير سلبي على إظهار الحقائق (هي كما هي)، بدون شك هي عيب لا علاقة للعلم بها؛ فالعلم تجريد الحقائق مما يعلق بها، وليس تلبس الحقائق بباطل، ولذا فإنّ البحث العلمي الموضوعي هو الذي يتدارك الخصوصيات بالبحث دون أن يهمل شيئاً منها، ولكن البعض الذي يدّعي الموضوعية أو يودّ لها أن تكتسي بما ليس فيها هو الذي يُعدُّ في حقيقة أمره خارجاً عنها، تلحقه الإشارات ولا يستطيع إلحاق الآخرين بإشارة منها.

ولأنّ للخصوصية دلالة ومعنى، لذا لقد خُلقنا عليها، ممّا جعل بصمات الجميع لا تتساوى ولا تتطابق مع الجميع؛ فلكلّ خصوصيته التي خُلق عليها دون غيره، مصداقاً لقوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} 157.

ولذا إن كانت الخصوصية من صنعنا، فقد يكون العيب فيها، وإن كانت من صنع صانعنا؛ فكيف يمكن لأحد أن يتخلّص منها؟

وعليه فالموضوعية هي: أن تُقدّم الحقائق كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، ذلك لأنّ ما ينبغي أن تكون عليه هو المطلب، وستظلّ الحقيقة كامنة في الموضوعية إلى أن يتحقّق ذلك المطلب الذي يُقدّمها موضوعياً (هي كما هي).

إذن الحقيقة علميا هي كشف الزيف عن المعلومة سواء أكانت هذه المعلومة صادقة أم كاذبة، فينبغي أن تُقدّم (هي كما هي) ولا تُقدّم كما يودّ البعض أن يقدمها.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعية، ينبغي أن نفرّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصي المعلومات والبيانات التي تعكس حقيقة الموضوع، وبين شخصية الباحث وأنانيته التي لا تعكس حقيقة الموضوع، ولذلك التزم الباحث بدينه وتحيّزه إليه هو حقّ لا يعدّ عيبا، بل العيب ألا ينحاز إليه باعتباره الحقّ، وعلينا في مثل هذه الحالة أن نميّز بين الدّين كموضوع وبين سلوك البعض، وبخاصّة الذين ليس لهم علاقة بالموضوع، ولهذا فمن الموضوعية أن يتميّز موضوع الباحث المسلم عن موضوعات غيره من الباحثين غير المسلمين عندما يكتبون عن الدين الإسلامي، وفي مثل هذه الحالة لسائل أن يسأل:

من الباحث الموضوعي يا ترى؟

أقول:

في اعتقادنا سيكون الباحث المسلم أكثر موضوعيّة من غيره عندما يتعلّق موضوع البحث بالدين الإسلامي، ويكون المسيحي أكثر موضوعية من غيره عندما يكون الموضوع قيد البحث يتعلّق بالمسيحية، وهكذا يكون الباحث اليهودي أكثر موضوعية عندما

يتعلّق أمر البحث بالدين اليهودي، ولذا فالباحث المسلم عندما يكتب عن دينه (الإسلام) يُفترض أن يكون هو الأقرب إلى المعلومة الصّادقة من الكاتب غير المسلم، وهكذا حال الباحث الكنفوشي أو البوذي عندما تكون مواضيع البحوث ذات علاقة بأديانهم ومجتمعاتهم؛ فكلّ منهم يُفترض أن يكون موضوعيا عندما يتعلّق موضوع البحث بدينه أو مجتمعه، وهكذا هي الموضوعية من يتهياً لها يصبح متصفا بها ومن لا يتأهّب لها فلا إمكانية.

صدر للمؤلف

صدر للمؤلف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له 90 مؤلفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلفات باللغة الإنجليزية والتركية.

مواضيع المؤلفات

- 1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.
- 2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.
- 3 . فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.
- 4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.
- 5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.
- 6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.
- 7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.
- 8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.
- 9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،

2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت،

2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة،

بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثه، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة،

2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية

للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية

للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية

للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت - دمشق، 2009م.
- 22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2009م.
- 23 . أُلستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

27 . أسماء حسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق .
بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت،
2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار
ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت،
2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت،
2010م.

39 . محمد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت،
2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة
الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب
ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

- 42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

- 50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 51 . التطرف من التهيؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 52 . ألسنا أمةً وسطاً، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة والنشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.
- 57 . خريف السُلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى
للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى
للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقى
للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تقيينية)، شركة الملتقى للطباعة
والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة
الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع الناس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة
والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر
والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الربيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهوية الوطنية بين متوقع وغير متوقع، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

- 84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.
- 85 . مبدئ التنمية البشرية تحت الطباعة.
- 86 . منابع الأمل تحت الطباعة.
- 87 . التهيؤ، تحت الطباعة.
- 88 . من الفكر إلى الفكر تحت الطباعة
- 89 . الفاعلون من الإرادة إلى التأهب تحت الطباعة.
- 90 . صُنِعَ المستقبل تحت الطباعة

المؤلف في سطور

أ.د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشرف الأولى جامعة
الفتاح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م
مع درجة الشرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب مفتشا عاما لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثم كلف
بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشعب العام
2009م.

. صدر للمؤلف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له 88 مؤلفاً منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1. الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2. طرق البحث الاجتماعي.

3. الفكر والسياسة.

4. الإسلاميات.

5. الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلفات باللغة الإنجليزية والتركية